بسم الله الرحمن الرحيم

منهج الإمام أحمد بن حنبل في الدعوة الإسلامية

بحث مقدم إلى كلية أصول الدين – القاهرة

جامعة الأزهر

للحصول على درجة التخصص – الماجستير

في الدعوة والثقافة الإسلامية

إعداد

محمد سيد أحمد عامر

المعيد بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية

إشراف

الأستاذ الدكتور: أحمد أحْمد غلوش

وكيل كلية الدعوة – القاهرة

رجب ١٣٩٩ – يونيه ١٩٧٩م

إ هـد ا ء

إلى

الداعية الأول

سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أخبرنا رب العزة جل جلاله عنه بقوله: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا (٤٦))

"سورة الأحزاب الآيات ٤٥ و ٤٦"

وخاطبه بمنهج الدعوة فقال:

(ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)

"سورة النحل الآية ١٢٥"

وحدثنا عن منزلة الداعية إليه فقال:

(وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ)

إلى سيدي وحبيبي وإمامي وقدوتي سيدنا رسول الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم.

أهدي هذا البحث

مـقـــد مـــة

بسم الله الرحمن الرحيم

****

الحمد لله الذي خلق فسوّى وقدّر فهدى، خلق الكون بقدرته وعمه بإحسانه ورحمته.

أشهد أن لا إله إلا الله اختار لنا الإسلام ديناً فقال جل شأنه: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) (١).

والصلاة والسلام على الداعية الأول سيدنا رسول الله الذي أخبرنا عنه رب العزة بقوله (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا* وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا) (٢).

اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه الكرام البررة الذين تحملوا مسئولية نشر الدعوة الإسلامية فنشروها نقية طاهرة بيضاء كما سمعوها من سيدنا رسول الله فرضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون.

وبعد ،،،

فإن الناظر إلى هذا الكون البديع إلى أرض وسمائه وكواكبه ونجومه وبحاره وأنهاره وجباله وسهوله وزرعه وضرعه يَجِده نظاماً دقيقاً وتنسيقاً فريداً ومنهجاً مستقيماً وحركة دائبة لا تفتر تسير وفق قانون ثابت محدد لها بأمر ربها الخالق البارئ المصور، قال تعالى: (وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ* وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ* وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ* لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ] (٣).

---

(١) سورة المائدة بعض آية ٣.
(٢) سورة الأحزاب آيتي ٤٥ و ٤٦.
(٣) سورة يس آيات ٣٧ : ٤٠.

الكل قد سجد لجلاله وسبح بحمده وأذعن لعظمته وأقر بوحدانيته طوعاً وحباً: (تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا)(١).

هذا الكون على الرغم من تباعد أجزائه وترامي أطرافه وسعة طوله وعرضه وتنوع وظائفه إلا أنه واحد في خلقه واحد في وظائفه واحد في غايته لأنه خلق بكلمة واحدة: (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)(٢) ووظائفه واحدة، خلقه ربه لمصلحة الإنسان ومنفعته: (أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ)(٣).

والغاية واحدة فقال: (يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ)(٤).

والإنسان كجزء من هذا الكون ومن أجله خلق الكون وسخره –للإنسان– على الرغم من كثرة أعداده وتعدد أجناسه واختلاف صوره وأشكاله وتنوع ميوله وعواطفه وتباين وظائفه إلا أنه واحد في خلقه، واحد في وظائفه، واحد في غايته واحد في خلقه: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا)(٥). (مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ)(٦). واحد في وظائفه وهي تعمير الكون: (... هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا

---

(١) سورة الإسراء آية ٤٤.
(٢) سورة يس آية ٨٢.
(٣) سورة لقمان آية ٣٠.
(٤) سورة الجمعة آية ١.
(٥) سورة النساء آية ١.
(٦) سورة لقمان آية ٢٨.

إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ)(١). والغاية واحدة : (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ* مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ* إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ)(٢). والإنسان السوي السليم الذي لم تختلط به هواجس الشيطان ولم تسيطر عليه الشهوة الجارفة يهتدي لخالقه بفطرته، ولكنه يريد أن يعرف الطريق الصحيح السليم إلى بارئه وكذلك الإنسان الذي سيطرت عليه الشهوة وغرر به الشيطان. فسار على حسب هواه يريد هو الآخر أن يخرج من حصار شهوته ليثوب إلى رشده ويطّلع إلى من يأخذ بيده ليعود إلى طريق خالقه.

فكان من رحمة الله على الاثنين معاً –على الرغم من وجود العقل لقصره– لم يترك الأول حائراً، ولا الثاني يتخبط في ظلمات الجهل، فريسة للشيطان فأرسل الرسل وأنزل عليهم الكتب ليبلغوا دعوة الله لهما ليسيرا على منهجها ويتبعا هداها فلا يضلا ولا يشقيا: (رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا)(٣).

وعلى الرغم من كثرتهم صلوات ربي وسلامه عليهم أجمعين إلا أن الرسالة واحدة، وإن تعدّد المرسلون والمرسَل إليهم واحد، وهم البشر وإن كثروا والوظيفة واحدة، وهي تبليغ الناس دعوة الله لإخراجهم من الظلمات إلى النور (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ)(٤). والغاية واحدة وهي: (اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ)(٥).

وما دام الخالق واحداً ودينه واحداً وإن اختلف الداعون إليه فلابد –بداهة– أن تكون أصول المنهج واحدة، وإن اختلفت الشرائع وتعددت الوسائل للدعوة إليها ونشرها :

---

(١) سورة هود آية ٦١.
(٢) سورة الذاريات آيات ٥٦ : ٥٨.
(٣) سورة النساء آية ١٦٥.
(٤) سورة إبراهيم آية ١.
(٥) سورة هود آية ٨٤.

(آَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ)(١)، (لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا)(٢).

فقاموا صلوات الله عليهم أجمعين بتبليغ دعوة الله إلى خلقه، كما أمرهم ربهم وكما كلفهم الله به، وقد مرّ على الإنسانية حينٌ من الدهر وعلى فترة من الرسل وهي تتخبط في ضلال متسع الأرجاء وتسير في غمرة من الأوهام ومضطرب فسيح من فوضى الأخلاق، وتنازع الأهواء، ثم أراد الله لهذه الإنسانية المعذبة أن ترقى بروح من أمره وتسعد بوحي السماء فأرسل إليها –على حين فترة من الرسل– رسولاً برسالة عامة وشاملة للإنس والجن لإهدائهم في الدين والدنيا والآخرة آتية بما تحتاج إليه من كل مكونات ومقومات الإنسان مراعية عاطفته ووجدانه وعقله وروحه وجسده، ذلكم الرسول هو الداعية الأول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وتلكم الرسالة هي رسالة الإسلام الخاتمة.

أرسله الله إلى هذه البشرية ليزيل شقوتها ويضع عنها إصرها والأغلال التي كانت في أعناقها.

وأنزل عليه القرآن الكريم كتاب الدعوة ومصدرها فيها منهجٌ ووسائل نشرها وأمره ربه أن يسير على منوال من سبقه من إخوته من الرسل فقال له: (أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ)(٣).

وكلفه بتبليغ الرسالة فقام تواً فبلغها على أحسن وجه وأكمل حال وأتم صورة (يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ) (٤) (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا

---

(١) سورة البقرة آية ٢٨٥.
(٢) سورة المائدة بعض آية ٤٨.
(٣) سورة الأنعام آية ٩٠.
(٤) سورة المدثر آيتي ١ و ٢.

بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) (١). (وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)(٢).

وحدّد له وظيفته: (مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ)(٣) وحدّد له منهجه في التبليغ: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)(٤).

فبلّغ الدعوة كما أمره ربه على حسب منهجها فأرسل الرسل وبعث البعوث وأرسل الدعاة وعلّم وشرح وكان صلى الله عليه وسلم هو القدوة العملية والسلوك التطبيقي للدعوة إلى الله: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا)(٥). (وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ)(٦).

ثم أمر الله نبيه أن يحمل أمانة تبليغ الدعوة إلى المسلمين من بعده لأنها دعوة عامة وشاملة وخاتمة والدعوة ككائن معنوي لابد لها من ينشرها بين الناس.

والإنسان ميّال –غالباً– إلى الدعةِ والكسل والنسيان، فلابد من يذكره فقال جل شأنه: (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ)(٧).

وأنزل عليه القرآن يحمل المسلمين من بعده أمانة تبليغ الدعوة الإسلامية إلى الناس بياناً وتثبيتاً ودفاعاً كل على حسب إمكانياته فقال جل شأنه: [وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ

---

(١) سورة المائدة آية ٦٧.
(٢) سورة القصص آية ٨٧.
(٣) سورة المائدة آية ٩٩.
(٤) سورة النحل آية ١٢٥.
(٥) سورة الأحزاب آية ٢١.
(٦) سورة القلم آية ٤.
(٧) سورة يوسف آية ١٠٨.

يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ] (١).

بل جعل خيرية هذه الأمة مرهونة بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: [كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ] (٢).

بل فوق ما مضى كلف طائفة بهذا الغرض فقال جل شأنه: [وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ] (٣).

وحمّل صلوات ربي وسلامه عليه المسلمين أمانة تبليغ الدعوة إلى الله فقال فيما يرويه البخاري: (ليبلغ الشاهد منكم الغائب) (٤).

(بلغوا عني ولو آية ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار) (٥). (جاهدوا المشركين بأموالكم وأيديكم وألسنتكم) (٦). (نضّر الله امرءاً سمع مني شيئاً فبلغه كما سمع فرب مبلغ أوعى من سامع) (٧).

وقد استجاب الصحابة واستجابت الأمة الإسلامية إلى أوامر القرآن الكريم وتوجيهات الرسول صلي الله عليه وسلم فنشروا الدعوة الإسلامية بكل ما أوتوا من قوة بدافع من دينهم من غير طمع دنيوي وفي الإطار الذي رسمه القرآن الكريم والرسول صلى الله عليه وسلم.

---

(١) سورة آل عمران آية ١٠٤.
(٢) سورة آل عمران آية ١١٠.
(٣) سورة التوبة آية ١٢٢.
(٤) صحيح البخاري (ج١/ ص٣٧)، كتاب العلم، باب تبليغ الشاهد الغائب.
(٥) البخاري.
(٦) نيل الأوطار (ج٧/ ص٢١٩).
(٧) أبو داود، والترمذي.

واضعين أمامهم أن أحلى كلمة تقال وتصعد إلى الله مع العمل الطيب هي: كلمة الدعوة إلى الله (ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله ومل صالحاً وقال إنني من المسلمين) [١]

وإن أشرف وظيفة على وجه الأرض يتشرف الإنسان المسلم هي وظيفة الدعوة إلى الله تعالي: [ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ] [٢].

إن كل الوظائف على وجه الأرض تصدر عن تنظيم بشرى إلا وظيفة الدعوة إلى الله فإنها تصدر عن تفويض رباني وتكيل عن النبوة: [قل إنما أعظمكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة إن هو إلا نذير بين يدي عذاب شديد] [٣].

فقام الخلفاء الراشدون والمسلمون نشيطين في نشر الإسلام والدعوة إليه بسلوكهم قبل أقوالهم وبالتزام منهجهم قبل النطق بحرف منه فكان من آثار هذا النشاط قيام هذه الدولة العظيمة التي وقفت تتحدى الشرك والظلم والتقليد وتقضي عليه وتحتل مكان الصدارة في العالم كله قروناً طويلة.

انطلق أصحاب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في حال حياته وبعد وفاته يحملون لواء نشر الدعوة إلى الله مجاهدين بالقرآن: [وجاهدهم به جهاداً كبيراً] [٤].

داعين إلى الإسلام ومكارم الأخلاق وقواعد العدل وبنفسيتهم الطاهرة العفيفة وارتفاعهم فوق مستوى الماديات المغرية زحفت الدعوة الإسلامية حتى اتسعت رقعة الإسلام وتكونت دولة لا تغيب عنها الشمس في عصر الدولة العباسية إلا أنه على الرغم مما وصلت إليه الدولة العباسية وازدهار اقتصادي فإن هذا أدى إلى نوع من الدعة والكسل والترف الحسي والعقلي.

---

(١) سورة فصلت آية ٣٣.
(٢) سورة فاطر آية ٣٢ .
(٣) سورة سبأ آية ٤٦
(٤) سورة الفرقان آية ٥٢.

وعلى الرغم مما وصلت إليه من نهضة علمية لا ننكره عليها إلا أن الدعوة الإسلامية والعمل على نشرها لم تحظ بالحظ الأوفر من قبل معظم الخلفاء العباسيين مما جعل الإلحاد ينتشر والمجون يزيد وتفشو البدع وتتعدد المذاهب وتفرض الأفكار قسراً على العلماء، فتفرقت الأمة بعد تجمع، وتقطعت بعد وحدة واختلفت بعد اعتصام بحبل الله، وركدت رجال الدعوة إلى الإسلام من قبل الخلفاء أنفسهم إلا القليل وخاصة بعد وصول الفرس إلى الحكم في زمن المأمون وكان منهم من أسلم ظاهراً ولم يؤمن باطناً، فانتهزوها فرصة لاستعادة مجدهم البائد فصبغوا الحياة الإسلامية بصبغتهم فكرياً واجتماعياً وسياسياً فانتشرت البدعة وعم الفساد وتعددت الفرق وكثرت المناهج. وارتفع صوت الشَّعُوبية ينادي بالتعالي على المسلمين العرب وأصبح هم الخلفاء فقط الحفاظ على الكرسي والمنصب والرضوخ لآراء المنافقين ممن تقلدوا زمام الدولة من أهل فارس ليردوا لهم جميل قيام دولتهم على أكتافهم.

في هذه الظروف القاسية والتشتت الفكري الملبد بالظلام لا بد من داعية فذ يجمع الأمة بعد شتات ويوحد بين صفهوفهم بعد تمزق واختلاف، ويقضى على الفُرقة المصطَنَعة بين المناهج يزيل ويمحو المناهج الضارة الفاسدة المفسدة وينادي بمنهج يجمع المناهج كلها، لا لبس ولا غموض فيه ولا اختلاف ولا تشتت في أفكاره وقواعده.. يا ترى من سيكون هذا الداعية؟

وما هو هذا المنهج الفذ الفريد الذي يعود بالأمة الإسلامية إلى عصر النبوة؟

هذا الداعية هو الإمام الرابع المحتسب الصابر أحمد بن حنبل.

وهذا المنهج هو عنوان رسالتنا وهي.

(منهج الإمام أحمد بن حنبل في الدعوة الإسلامية)

لقد عاش الإمام أحمد هذا العصر وشاهد فيه ما شاهد من اختلاف وتمزق فأبت عليه حميته وغيرته الدينية إلا أن يجعل نفسه وقفاً على تخليص مجتمعه مما عرفه فيه من الخلافات وأن يطهره من البدع والمنكرات.

فأخذ يدعو إلى الرجوع إلى ما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعون ونبذ كل ما استحدث من أمور في الدين لم تكن موجودة مما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة وهو بهذا داعية من الطراز الأول ينقل مجتمعه نقلة ضخمة إلى عصر الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة.

وإذا كان الإمام أحمد يدعو إلى ما كان عليه الرسول وصحبه نراه يتخذ هذا منهجاً خاصاً لنفسه يدعو به وإليه تميز بسماته وطريقته في عرضه.

والإمام أحمد بن محمد بن حنبل شخصيته ثرية المادة متعددة الجوانب كثيرة المنحى.

فالمتمسكون بالحق والثابتون عليه والممتحنون فيه يجدون فيه الشموخ والعزة وحفّاظ القرآن ومرتلوه ترتيلاً صحيحاً سليماً يجدونه إماماً حافظاً ومفسراً سلفياً خالصاً وأحد أئمة القراءات الفطاحل. وعلماء السنة يجدون بغيتهم وغايتهم في مسنده وعلماء الفقه وأصوله يرون في مسائله ما يروي ظمأهم وطلاب البحث والمعرفة يجدون في صبره في طلب العلم ومنهجه في بحثه ما يشفي غليلهم.

والزهاد في الحياة ونعيمها يجدونه يعدل بالعريض من الجاه البسيط من مظاهر الحياة فينكبون على حبه ويتسارعون إلى الالتزام بالمنهج الذي التزمه.

فأصبح الإمام مثلاً يُحتذى به في جميع فروع المعرفة العلمية والعملية- تقريباً- وقدوة يُتَأسّى بها.

والحق أقول إن هؤلاء جميعاً محقون فيما يقولون، ولكنهم نظروا إليه من زاوية واحدة محدودة محددة كلٌّ على حسب نظرته ومبتغاه وجاذبيته ورغبته فيما يريد، وعلى الرغم من هذه النظرة الضيقة إلا أنه وصل إلى الإمامة في كل زاوية ينظرون إليه منها فما بالك لو نظروا إليه من جميع زواياه؟

لو أن الجميع نظروا إليه كداعية وصاحب منهج نظروا إليه نظرة موضوعية وشاملة وسألوا أنفسهم ما الذي صنفه وشكّله؟

فوجدوا الإجابة حاضرة وهي التزامه للمنهج الذي نادي به وعمل من أجل نشره وهو منهج الكتاب والسنة، ومن هنا تأتي أهمية هذه الرسالة.

وفوق ما تقدم فلقد دفعتني دوافع أخرى لاختيار هذا الموضوع للكتابة فيه أجمل بعضها فيما يأتي:-

- الإمام أحمد شخصيته اتسمت بالشجاعة والثبات على المبدأ ل يحفل بالتعذيب في سبيل منهجه الذي آمن به.
- شدة ورعه وزهده يتعفف عن عطايا الخلفاء حتى لا يستذلوه أو يؤثروا عليه أدنى تأثير.
- شدة أمانته العلمية في كل ما يرويه وصبره في طلب العلم.
- ثقافته ثقافة إسلامية خالصة نابعة من كتاب الله وأحاديث سيدنا رسول الله وما روى عن الصحابة والتابعين.
- تمسكه بالنص لا يحيد عنه.
- لأنه قاد مجتمعه وأثر في توجيهه وشارك في بنائه في أحلك فترة من فترات الفكر الإسلامي وبذلك أصبح حلقة من سلسلة الفكر الإسلامي الخاص.
- فتح رافداً جديداً أمام الباحثين لدراسة أئمة الفقه والمحدثين والمفسرين على أساس أنهم أصحاب مناهج دعوا إلى الله بوسائل مختلفة.
- وحدة المنهج في تفكيره فنرى منهجه في العقيدة هو تماماً في الشريعة وهو بنفسه في الأخلاق حتى كان سلوكه ومنهجه شيئاً واحداً.
- تقنين حياة الدعاة وطرقهم في الدعوة إلى الله في صورة مناهج وقواعد تساعد الدعاة في العصر الحديث على الإطلاع بيسر على هذه المناهج.
- ومما شجعني على ارتياد هذا الموضوع – كذلك – أنني لم أجد من قام بمثل ما اعتزمت القيام به من هذه الدراسة المنهجية الموضوعية الواسعة اللهم إلا كتابات عن شخصيته فقط أو فقهه أو حديثه متفرقة، ونحن في العصر الحديث أحوج ما تكون إلى الناحية المنهجية لأنها الأصل الأصيل منه وعنها تبزع جميع ما يجول في صدر صاحبها، وإلى تقنين الدعوة ومناهجها في

صورة قوانين عامة كليه لتوضع أمام الدعاة المعاصرين يأخذون منها العبرة والزاد.

- إلى جانب هذا كان من أعظم الدوافع على هذا الموضوع هو إيماني بأن هذا العمل ما هو إلا إسهام بسيط يسير لخدمة الدعوة الإسلامية أتقرب به إلى ربي وأرجو أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم.

منهج البحث

وإذا كنت فيما سبق قد بينت الدوافع إلى اختيار موضوع البحث وأهميته فإني أذكر هنا المنهج الذي رأيت أن التزم به في البحث والدراسة وهو:-

لقد اعتمدت في البحث على ما جاء على لسان الإمام أحمد وما دوِّن عنه سواء في كتبه أو في كتب تلاميذه من أجل هذا رجعت إلى المصادر الأصلية الأصيلة وفي الوقت ذاته لم أنس ما كتبه المحدثون عنه للاستئناس له فجمعت الروايات وقارنت بينها وفحصتها ومحصتها ورجّحت الراجح منها مع ذكر الدليل على ذلك ثم نقد ما يحتاج إلى نقد – إن وجد – ولم أقتصر على ذلك فحسب بل كلما ذكرت رواية إذا بي أعلّق عليها وأشرحها وأستنتج منها قواعد كلية تفيد الداعية في عصرنا الحديث ولقد وفقني الله سبحانه وتعالى بأن جعلني دائماً أقبل على الناحية المنهجية الموضوعية بأن أقنن قواعد عامة في صورة مناهج أرى فيها – فيما يبدو لي– المصلحة العامة من أجل أن يطبقها الدعاة المعاصرون.

مثل منهج الإمام في التحديث وكذا منهجه في التفسير ومنهجه في الوعظ والإرشاد ومنهجه الفذ في البحث والمعرفة ومنهجه في تدوين الكتب وإرسال الرسائل وكذلك منهجه في التبليغ وهذه المناهج وإن تعددت أسماؤها إلا أنها واحدة لأنها نابعة من الكتاب والسنة.

وفي الوقت ذاته أذكر نماذج تطبيقية لكل منهج أذكره وفي آخر كل مبحث أو فصل أو باب –غالباً– أقوم بتلخيصه واستنتاج ما يستنتج منه من قواعد هامة يستطيع الدعاة المعاصرون– ومن بعدهم – السير عليها.

أقسام الرسالة

وفوق ما تقدم فإن الرسالة تأتي في مقدمة وخاتمة وبينهما أربعة أبواب:

أما المقدمة قد ذكرت فيها:

- موضوع البحث والتعريف به. **- أسباب اختياره.**

- أهميته. **- أقسامه.**

وأما الباب الأول فيبحث في:-

" المؤثرات الرئيسية لتكوين أحمد بن حنبل ومنهجه".

وهو ينقسم إلى ثلاثة فصول:

الفصل الأول ويبحث في:

" عصر الإمام أحمد بن حنبل وأثره في تكوينه وتكوين منهجه ".

وفيه تناولت المباحث الآتية:-

- **المبحث الأول: الحالة السياسية وأثرها.**
- **المبحث الثاني: الحالات الاجتماعية وأثرها.**
- **المبحث الثالث: الحالة الثقافية وأثرها.**

والفصل الثاني يبحث في:

" البيئة الأسرية التي نشأ فيها أحمد بن حنبل وأثرها في تكوينه وتكوين منهجه "

وفيه تناولت المباحث الآتية:-

المبحث الأول مولد الإمام أحمد.

المبحث الثاني نسبه وأسرته.

المبحث الثالث نشأته ورعاية أمه له وأثر ذلك عليه.

المبحث الرابع حياته الخاصة الذاتية التي كان يحياها الإمام أحمد.

والفصل الثالث ويبحث في:

" البيئة العلمية الخاصة التي نشأ فيها أحمد بن حنبل وأثرها في تكوينه وتكوين منهجه".

وفيه تناولت المباحث الآتية:

- المبحث الأول اجتهاد الإمام في طلب العلم والحديث.
- المبحث الثاني تواضعه مع شيوخه والمشاق التي لقيها في سبيل طلب العلم.
- المبحث الثالث وفاة الإمام أ؛مد وأثر وفاته.

ثم يعقب ذلك الباب الثاني وهو :

" أصول منهج الإمام أحمد في الدعوة الإسلامية "

ويشتمل على مدخل وثلاثة فصول:

تناولت في التمهيد النقاط الآتية:

- التعريف بكلمة منهج.
- منهج الإمام أحمد.
- أصول المنهج إجمالاً.

والفصل الأول ويبحث في:

"القرآن الكريم"

والفصل الثاني:

" السنة النبوية المطهرة الشريفة "

وفيه تناولت المباحث الآتية:

- المبحث الأول تعريف السنة.
- المبحث الثاني حجية السنة.

- المبحث الثالث منزلة السنة من القرآن الكريم.
- المبحث الرابع مراتب الاستدلال بالسنة عند الإمام أحمد.

والفصل الثالث:

"الإجماع والقياس "

وفيه تناولت المبحثين الآتيين:-

- المبحث الأول الإجماع.
- المبحث الثاني القياس.

ثم ذكرت ما يستنتج من الباب كله

ثم يعقبه الباب الثالث وهو:

" الوسائل التي نشر بها الإمام أحمد منهجه "

ويشتمل على مدخل وثلاثة فصول

تناولت في المدخل النقاط الآتية:

- تعريف الوسيلة.
- الفرق بين الوسيلة والأسلوب.

الفصل الأول: " وسائل التبليغ بالقول "

وفيه تناولت المباحث الآتية:-

- المبحث الأول المقابلة.
- المبحث الثاني الوعظ والإرشاد.
- المبحث الثالث المناقشة والمناظرة.

الفصل الثاني: " وسائل التبليغ بالتدوين"

وهو يشمل على مدخل وثلاثة فصول:

تناولت في المدخل:

- الإمام أحمد وتصنيف الكتب.
- مناقشة قضية كراهية تصنيف الإمام بالكتب والرأي الصحيح فيها .
- المبحث الأول كتب الإمام أحمد.
- المبحث الثاني تقسيم كتب الإمام .
- المبحث الثالث الرسائل.

الفصل الثالث: " وسائل التبليغ بالأسوة "

وفيه تناولت المبحثين الآتيين:-

- المبحث الأول صفات الإمام أحمد .
- المبحث الثاني سلوك الإمام التطبيقي.

ثم يأتي الباب الرابع والأخير وهو :

" مميزات منهج الإمام أحمد بن حنبل"

وتشتمل على مدخل وثلاثة فصول:

الفصل الأول:

" التمسك بالأصول الإسلامية الصحيحة.

الفصل الثاني:

" الإحاطة والأخذ بالحيطة والحذر"

تناولت فيه مبحثين:

- المبحث الأول: الإحاطة.
- المبحث الثاني: الأخذ بالحيطة والحذر.

الفصل الثالث:

" مجابهة الواقع المخالف للدين الصحيح"

وأخيراً الخاتمة وتتضمن :

- **أهم النتائج المستخلصة من البحث .**
- **التوصيات.**
- **أهم المراجع التي رجعت إليها.**

وبعد:-

فهذه كلمة موجزة عن موضوع الرسالة والدوافع التي حفزتني إلى اختياره والخطة التي سرت عليها في بحثه ودراسته وكذلك أقسامه.

فإن أكن قد هديت وأصبت في بحثي هذا فلله وحده المنة والفضل والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، وإن تكن الأخرى فكل إنسان يؤخذ منه ويرد عليه إلا صاحب الروضة الشريفة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وحسبي أني اجتهدت فمن أصاب فله أجران ومن أخطأ فله أجر واحد وكل ابن آدم خطاء وخير الخطاءين التوابون ومع هذا فقد كان الإخلاص لله رائدي والخير قصدي –والله من وراء القصد– والوصول إلى الحق غايتي والاستفادة العلمية الخاصة بغيتي.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يرزقني حسن القبول وأن يهيئ لي من أمري رشدا إنه نعم المولى ونعم النصير وبالإجابة جدير.

وصلى اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

هذا وبالله التوفيق

تمهيد

لأجل أن ندرس منهجاً ما من المناهج لابد من دراسة الظروف المختلفة المحيطة به والبيئة التي نبع فيها كي نقف على المؤثرات التي أدت إلى بزوغه وعملت على ظهوره والتي كانت تهيمن على سيره وتسييره.

والمنهج وصاحبه ظل ظليل لا يفترق ولا ينفصل كلاهما عن الآخر لأنهما كالإنسان وظله فلا يتصور إنسان بلا منهج ولا منهج بدون إنسان.

ومن هنا إذا أردنا أن نبحث عن المؤثرات التي تؤدي إلى تكوين أو ظهور منهج من المناهج فلابد أن نضع في الاعتبار البحث عن المؤثرات التي أثرت في صاحب المنهج لأن كل حي في الوجود يتأثر بالجو المحيط به وبالبيئة التي ينمو في رحابها، ولأن البيئة تؤثر في النفس الإنسانية تأثيراً بالغاً دون أي تأثير من عوامل التربية.

وكذلك العصر سياسياً كان أو اقتصادياً أو اجتماعياً وفكرياً الذي يعاصره عالم من العلماء أو داع من الدعاة أو مصلح من المصلحين له تأثيره الفعال في طبع انفعالاته واتجاهات حياته إلا أنه قد يختلف هذا التأثير في إنسان عن الآخر فقد يكون سوياً تناسقاً مع العصر وخصائصه فيصلح المرء بصلاح عصره أو

ينحرف بانحرافه أو يطغى انحراف العصر ويتفاقم فيحمل ذلك رجل من المصلحين أو داع من الدعاة على التفكير الجدي في مدافعة الشر والقضاء عليه وإعادة حياة الخير لطريقها المرسوم فيعمل جدياً على طلب العلم والنهل من نور المعرفة ويسعى جاداً لتحديد أمراض مجتمعه، والعمل على سد الرتق الذي ألحق به في الدعوة إلى منهج أو صياغته يكون أثراً للمؤثرات التي كونته وصورة تطبيقية لما تأثر به من مؤثرات محاولاً وضع ما يراه من أصول وقواعد فيه لإخراج مجتمعه مما هو فيه أو يدعو إلى اختيار منهج من المناهج السابقة عليه يلتزم به ويدعو إليه لأنه يراه في نظره- علاج لأمراض مجتمعه سواء أكان هذا المنهج سماوياً أو أرضياً، إلهياً أو بشرياً.

وهكذا تؤثر البيئة والوراثة والنشأة والتنشئة والمادة العملية والشيوخ والحياة العامة تأثيراً مباشراً في صياغة الإنسان -إلى حد ما - وبالتالي في تكوين منهجه أو الدعوة إلى منهج من المناهج الذي يريد أن يؤثر به في مجتمعه لأنه كما تأثر يريد أن يؤثر.

وإذا كان للمؤثرات السابقة تأثير مباشر لتكوين الشخصية ومنهجها-كما قلنا - فإن هذا بداهة يخرج الأنبياء والمرسلين ومنهجهم لأنهم لم يتأثروا ببيئة بل هم مرسلون بمنهج سماوي لإصلاح المعوج من البيئة وبالعودة بها إلى الطريق المستقيم طريق رب العالمين.

ولا ننسى نحن الدعاة ونحن في غمرة هذا -إذا كنا نقول بأن هذه المؤثرات تؤثر في صياغة الإنسان وتكوين منهجه أو تدعوه إلى إحياء منهج سابق عليه يراه صالحاً لإصلاح مجتمعه يلتزم به ويدعو إليه فإننا لا ننسى - في الوقت نفسه أن لكل شيء سبباً ولكل سبب مسبباً والمؤثر[1] في الكل والمتصرف في الوجود هو الله وحده رب العالمين [إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون][2].

---

(١) التأثير بقاء الأثر في الشيء وأثره في الشيء ترك فيه أثراً والآثار الأعلام وأثر فيه تأثيراً أي ترك يه أثرا- لسان العرب جـ ٦٠/٥
وعلى هذا فالمؤثر هو الذي يترك في الإنسان أثراً.
(٢) يس ٨٢.

فهو الذي خلق الأسباب والمسببات وإذا كان الله جل جلاله قد جعل لكل شيء سبباً خاضعاً لقدرة خالقه ولا يحيد عن أمر بارئه ولا يؤثر بذاته بل بإرادة ربه فإن قولنا بأن هذه المؤثرات تؤثر من باب الأخذ بالأسباب الظاهرية – كما أمرنا رب العزة– دون نسيان أو غفلة عن المؤثر الحقيقي وهو خالق الخلق أجمعين فتوفيق الله وإرادته أولاً، ثم أسبابه التي خلقها وأمرنا بالأخذ بها من بيئة ووراثة ونشأة وتنشئة وعلم وشيوخ وسياسة واجتماع وفكر واقتصاد تساعد بأمر خالقها على تكوين إنسان ومنهج.

وإذا كان الأمر كذلك فإن هناك مؤثرات لعبت دوراً مهماً في تكوين الإمام أحمد ابن حنبل وفي صياغة منهجه والدعوة إليه. هذه المؤثرات سنبحثها في **(الباب الأول)**.

الباب الأول:

ويبحث في: المؤثرات الرئيسية لتكوين أحمد بن حنبل ومنهجه ويشتمل على ثلاثة فصول:–

الفصل الأول: ويبحث في المؤثر البيئي.

عصر الإمام أحمد بن حنبل وأثره في تكوينه وتكوين منهجه.

الفصل الثاني: ويبحث في المؤثر الأسري.

البيئة الأسرية الخاصة التي نشأ فيها الإمام أحمد بن حنبل وأثرها في تكوينه وتكوين منهجه.

الفصل الثالث: ويبحث في المؤثر العلمي.

للبيئة العلمية الخاصة التي نشأ فيها الإمام أحمد بن حنبل وأثرها في تكوينه وتكوين منهجه.

الفصل الأول:

ويبحث في:

عصر الإمام أحمد بن حنبل وأثره في تكوينه وتكوين منهجه (المؤثر البيئي)

ويشمل على:-

مدخل وثلاثة مباحث:-

المبحث الأول الحالة السياسية

المبحث الثاني الحالة الاجتماعية

المبحث الثالث: الحالة الثقافية.

مدخل:-

كانت حياة الإمام أحمد رضي الله عنه في العصر الذي نضجت فيه كل عناصر العصر العباسي فقد نضج فيه كل شيء وأتى أكله سواء كان حلواً أو مراً فقد نضج الشيء بخواصه على أي حال ولدراسة حال هذا العصر وما يتعلق بالإمام أحمد لابد من الإشارة إلى أن الدولة العباسية كانت تمتد من حدود الصين وأواسط الهند شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً ومن المحيط الهندي والسودان جنوباً إلى بلاد الترك والخزر والروم والصقالبة شمالاً وبذلك ضمت بين جناحيها بلاد السند وخراسان وما وراء النهر وإيران والعراق والجزيرة العربية والشام ومصر والمغرب وهي أوطان كثيرة [١]. وكان المجتمع الإسلامي آنذاك يتكون من عدة عناصر هي:-

١- العرب ٢- الفرس ٣- الأتراك ٤- المغاربة.

وواضح أن هذه العناصر تختلف في ميزاتها اختلافاً كالذي بين أفرادها فهي تختلف في عاداتها وتجاربها ومنهج تفكيرها وكفايتها ودرجة عقليتها ومقدار ثقافتها وحدة عواطفها أو هدوئها[٢].

إلا أن الإسلام قد قضى على هذه الفوارق الموجودة ومزج بين هذه العناصر الأربعة لأن الإسلام ينظر إلى الإنسان لا على حسب جنسه ونوعه وقوته وفقره ولكن على حسب تقربه من ربه [إن أكرمكم عند الله أتقاكم] [٣].

واستطاع الإسلام بتعاليمه السمحة أن يحدث امتزاجاً قوياً بين العناصر المختلفة التي كانت تتألف منها الدولة الإسلامية منذ عصر الرسول صلى الله عليه

---

[١] العصر العباسي الأول ص٨٩ د/ شوقي ضيف، ط ٦ دار المعارف مصر.
[٢] ضحى الإسلام د/ أحمد أحمين حـ١ ص ٥ ط(٨) ١٩٧٤ مكتبة النهضة المصرية الحديثة القاهرة.
[٣] سورة الحجرات بعض آية (١٣).

وسلم والخلفاء الراشدين والدولة الأموية أيضاً فكان الدين هو الحكم وكانت الشريعة هي الفيصل ألا أن الدولة العباسية قامت على أكتاف الفرس وبالتالي لابد أن ترد الجميل لهم فسلمت لهم زمام أمور الدولة في كل شيء فتحكم الفرس في بقية الطوائف. وبالتالي صبغت الدولة العباسية بطابع مميز نتكلم فيه عن مباحث ثلاثة هي:-

المبحث الأول: الحالة السياسية وأثرها:-

لقد استقرت الأمور للدولة العباسية ولم ينازعها منازع ذو قوة يحسب حسابها فالخوارج قد قلت شوكتهم ولم يعد لهم في هذه الدولة شأن والعلويون من بعد الرشيد لم تكن لهم قوة يصاولون بها بني عمهم وينازلونه فلم تخرج منهم خارجة لا يتغلب عليها بغير عناء.

ولكن إذا كانت الدولة قد استعصمت على الخارجين عليها من غيرها سواء كانوا منا الأقربين لها أم كانوا من غيرهم فقد ابتدأ التنافس والتنازع بين أعضائها وكانت الفتنة بين الأمين والمأمون أولى هذه المظاهر وقد انتهت بقتل الأمين وغلبه ولكنها نهاية لم تكن محمودة المغبة في كل نواحيها بل كانت سيئة المغبة في أظهرها. ذلك لأن المأمون انتصر بسيوف بني فارس إذ كانت المعركة بين الأمين والمأمون معركة بين الجيش الفارسي والعربي، فلما انهزم الأمين كان انهزامه هزيمة للعرب[1].

ويعتبر هذا في نظري هو المحور الذي أثر في العصر كله سواء ما كان منه سياسياً أو اجتماعياً أو فكريا.

وإذا كنا نعلم أن الدولة العباسية قامت أصلاً على أكتاف الفرس وتأكد هذا في فتنة الأمين والمأمون فمال العباسيون إلى الفرس وآثرهم بالمناصب المدنية والعسكرية.

وما أن وصل الفرس إلى السلطة حتى استغلوها لاستعادة مجدهم التليد وحضارتهم البائدة ولم يتنبه الخلفاء إلى هذه النقطة فقاموا بغزوة شرسة بقوتهم

---

[1]) ابن حنبل حياته وعصره، محمد أبو زهرة بتصرف ص ١١٨ دار الحمامي للطباعة توزيع دار الفكر العربي.

وسلاحهم وعلمهم وتفكيرهم ومكرهم ودهائهم ضد المسلمين للقضاء على أعز شيء عندهم وهو عقيدتهم فانتشرت الفلسفة وعمَّ الجدل واضطربت العقول وقلت قيمة النصوص.

من هذا المنطلق بدأ الغزو للمجتمع الإسلامي المنظم للقضاء عليه ونخر عظامه للسيطرة عليه.

وقد أثر الفرس في جميع مجالات الحياة العباسية فصبغوا الدولة بالصبغة الفارسية في الحقيقة وإن كانت في ظاهرها إسلامية دينية فصبغوا الناحية السياسية بالناحية الفارسية وطبقوا كل أنظمتهم فيها وأدى هذا إلى ثورات سياسية واجتماعية وظهرت:

١- الجفوة بين بني العباس والعرب وما أدت إليه من نتائج وخيمة العاقبة.

٢- نظام الإقطاع الذي أسرف فيه بنو العباس إسرافاً أدى إلى تصدع دولتهم.

٣- ضعفت قيمة العهود [١].

٤- قيام حركات مناوئه للعباسيين.

٥- رواج الرشوة واستشرى الفساد في جميع نواحي الحياة المختلفة.

٦- إفشاء السر وسوء الظن في العلاقات [٢].

هذا:-

وقد توافرت للخلافة الإسلامية في هذا العصر عناصر السيادة والقوة وكانت مهيبة الجانب في الداخل والخارج وكانت الدولة الأجنبية تخافها وتطلب ودها كما عد بعض خلفائها مثل الرشيد سيد عصره وراحة زمانه ومع هذا فقد حدث نوع من الانكماش في بعض النواحي مثل ما حدث في الأندلس حينما انفصلت عن الدولة الأم وغيرها من البلاد[٣].

---

[١] ابن قتيبه عبد الحميد سند الجندي ص ٤٨ – سلسلة أعلام العرب عدد ٢٢

[٢] المرجع السابق نفسه ص ٦١.

[٣] موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية جـ ٣ ص ٢٥٥ د/ أحمد شلبي ط٥ سنة ٧٤ مكتبة النهضة المصرية القاهرة.

أما من الناحية الداخلية فقد اعتنى الخلفاء العباسيون عناية فائقة بدولتهم وتنمية مواردها وزيادة ثرواتها إيماناً منهم بأن الاستقرار الداخلي هو أساس الاستقرار الاقتصادي الذي بدوره يؤدي إلى التأثير في الناحية الاجتماعية والثقافية في الدولة على اتساع رقعاتها ويجلعها تتفرغ على الأقل لمواجهة مشاكلها الخارجية والقضاء على الحركات المناهضة لها في الداخل ولذلك نراهم وجهوا عنايتهم نحو تنمية الاقتصاد في الولايات الإسلامية التابعة لهم في مختلف المجالات الاقتصادية كالزراعة والصناعة والتجارة[١].

المبحث الثاني: الحالة الاجتماعية وأثرها:-

ويقصد بالحالة الاجتماعية في بلد ما من البلاد ذكر طبقات المجتمع في هذا البلد من حيث الجنس والدين وعلاقة كل من هذه الطبقات بعضها ببعض ثم بحث نظام الأسرة وحياة أفرادها وما يتمتع به كل منهم من الحرية ثم وصف البلاط ومجالس الخلفاء والأعياد والمراسم والولائم والحفلات وأماكن النزهة ووصف المنازل وما فيها من أثاث وطعام وشراب ولباس وما إلى ذلك من مظاهر المجتمع[٢].

وبما أن الحالة الاجتماعية صدى للحالة السياسية وظل ظليل لها فمن هنا أى تدخل الفرس بمنهجهم أيضاً من الناحية الاجتماعية فما كادوا يصلون إلى السلطة حتى تدخلوا بكل قوتهم أيضاً في الناحية الاجتماعية بعد أن تم لهم السيطرة على الناحية السياسية فاختفت الحياة العربية الأصيلة أو كادت وتغيرت أصول العادات والأخلاق فانتشر المجون وشاعت الزندقة واستحالت الحياة العربية السامية إلى حياة معقدة تجمع بين السامي والآري وتأخذ من هذا ومن ذاك[٣].

فأدخل الفرس عادات وتقاليد عصفت بالمبادئ الإسلامية عصفاً وأخمدت أنفاس المسلمين العربي وتغلغلت بسببها عادات الموالي وتقاليدهم في الحياة العامة والخاصة أشد تغلغل ولأنهم العنصر الغالب المتحكم والمسيطر فكان من نتيجة ذلك:-

---

[١]) المرجع السابق نفسه ص ٣٠٣ بتصرف شديد.
[٢]) تاريخ الإسلام السياسي د/ حسن إبراهيم جـ٢ ص ٣٩٦ ط ٨ سنة ٧٦ مكتبة النهضة المصرية.
[٣]) ابن قتيبة ص ٧١.

١-انتشرت الزندقة والشعوبية [١].

٢- الطبقية بين الشعب [٢].

٣- مجالس الغناء والطرب حتى في قصور الخلفاء أنفسهم.

٤- انتشر الرق والبذخ ويتجلى ذلك في الطعام والملبس.

٥- ظهور أعياد الفرس والاحتفال بمواسمهم وظهور مواكب الخلفاء بعد أن كانت غير موجودة.

٦- ظهور أنواع التسلية المختلفة كالرمي بالنشاب والرمي بالبندقية وسباق الخيل[٣].

وإذا أنتجت الحياة الاجتماعية ما مضى – من زندقة ومجون ورفاهية إلى ما غير ذلك فإنها أيضاً أيقظت روح التدين والعودة بالناس إلى أصول دينهم فظهر اتجاهان في هذا العصر.

١- **الاتجاه الأول:** الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حيث ظهرت فرقة المتطوعة للنكير على فسّاق بغداد وكان لهذه الفرقة زعيمان لكل منهما برنامج فالأول هو خالد الدريوش وبرنامجه أن يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر ولكنه لا يثور على السلطة فهو يطلب الإصلاح ويتولاه في حدود الطاعة للحكومة والزعيم الآخر لهذه الفرقة هو سهل بن سلامة الأنصاري وبرنامجه أيضاً الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والعمل بكتاب الله وسنة رسوله "صلى الله عليه وسلم" ومقاتلة من خالفه كائناً من كان سلطاناً أو غيره[٤].

٢- **الاتجاه الثاني: الزهد**

---

[١]) العصر العباسي الأول د/ شوقي ضيف ص ٧٤ ط ٦ دار المعارف – مصر.
[٢]) تاريخ الإسلام السياسي جـ٢ ص ٣٩٣ وما بعدها.
[٣]) تاريخ الإسلام السياسي جـ٢ ص ٣٩٣ وما بعدها.
[٤]) ضحي الإسلام د/ أحمد أمين جـ ١ ص ١٣٢ ط ٨ مكتبة النهضة المصرية.

حينما وجد كثير من علماء هذا العصر هذا المجون والتحلل زهدوا في الدنيا تقرباً إلى الله لما في الزهد من خفة المؤنة وسهولة الحساب وللسيطرة على نوازع الشيطان فيهم وعدم مجاراة الداعين للتحلل من أكوامهم فأعلنوا التمسك بدينهم عن طريق الزهد في الحياة [1].

المبحث الثالث: الحياة الإنسانية وأثرها:-

إذا نظرنا أيضاً إلى المجتمع لوجدنا أنه يتكون من عناصر مختلفة مثل العرب والفرس والهنود وأهل المغرب وكان لكل منهم عاداته وتجاربه ومنهج تفكيره وثقافته وكل واحد من هؤلاء يستمد أدبه وفكره من طبيعة إقليمه وتاريخه وخياله، ومن هنا تنوعت الثقافات فكانت هناك الثقافات الفارسية والهندية واليونانية واليهودية والنصرانية ثم جاء الإسلام بثقافته المتميزة وجمعهم على ثقافة واحدة ومنهج واحد ولكن بقيام الدولة العباسية – وعلى الرغم من اعتناء خلفائها بالحالة الثقافية فإن الفرس سيطروا بكل ثقافتهم لمحاولة صبغ الثقافة الإسلامية بالصبغة الفارسية لأن الثقافة ظل ظليل للناحية السياسية والاجتماعية.

وقد اشتغل الموالي بالعلم وزادت حركة الترجمة وخاصة العلوم العقلية وانتشرت كذلك الفرق المختلفة كل فرقة تريد أن تثبت نفسها ومنهجها وفي هذا العصر ظهرت المدارس التالية:-

١- مدرسة الرأي بعلمائها من الفلاسفة والمتكلمين.

٢- مدرسة أهل الحديث.

وعلى الرغم من ظهور المدرسة الأولى فإن المدرسة الثانية بقيت واعتمدت في منهجها على الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين أي أن وظيفة العقل فيها تدور في دائرة النص، يفهمه ويستنبط منه ما يريد. أما المدرسة الأولى هي تعتمد على العقل وإنْ اختلف المنهج فطائفة المتكلمين تؤمن أولاً ولكنها تخضع النص للعقل فيأتون بالأدلة العقلية المكونة من المقدمة الصغرى والكبرى والنتيجة لإثبات

---

[1]) المرجع السابق نفسه جـ١ ص ١٣٢ وما بعدها.

النص الديني أي أنهم يجعلون العقل أصلاً ويُخضِعُون له الدين ويختلف منهج الفلاسفة عن منهج المتكلمين في الآتي:

١- المتكلمون اعتقدوا قواعد الإيمان وأقروا بصحتها وآمنوا بها ثم اتخذوا أدلتهم العقلية للبرهنة عليها أما الفلاسفة فإنهم يبحثون المسائل بحثاً مجرداً ويفرضون أن عقولهم خالية من المؤثرات والاعتقادات ثم يبدؤون النظر منتظرين ما يؤدي إليه البرهان[١].

٢- المتكلمون دافعوا كثيراً عن عقيدتهم الإسلامية ودحضوا حجج خصومهم أو على الأقل ما اعتقدوه صحيحاً في رأيهم ودافعوا عنه. أما الفلاسفة فلم نجد لهم ذلك[٢].

وعلى الرغم مما خلّفه لنا العصر العباسي الأول من الناحية الثقافية كما سبق إلا أنه يعتبر بحق عصر النهضة الفكرية والحركة العلمية، وكانت النهضة العلمية في ذلك العصر تتمثل في ثلاثة جوانب:-

١- حركة التدوين. ٢- الترجمة من اللغات الأجنبية[٣].

٣- تنظيم العلوم، لقد نظمت العلوم في العصر العباسي الأول واتخذت أوضاعاً مستقلة وانفصل بعضها عن بعض وتميز كل علم عن الآخر وانقسمت إلى:-

أ- العلوم النقلية الشرعية واللسانية مثل التفسير والقراءات والحديث والفقه وعلم الكلام، النحو، الأدب، اللغة والبيان.

ب- العلوم العقلية مثل الفلسفة، الهندسة، علم النجوم، الموسيقى، والطب والسحر والكيمياء والتاريخ والجغرافيا[٤].

---

[١] ضحى الاسلام د/ أحمد أمين جـ ١ ص ١٨ ط ٨ مكتبة النهضة المصرية بتصرف.
[٢] المرجع السابق نفسه جـ ٣ ص ١٩ بتصرف.
[٣] موسوعة التاريخ الإسلامي جـ ٣ / ٢٣٤ د/ أحمد شلبي ط ٥.
[٤] تاريخ الإسلام السياسي جـ٢/ ص ٣٢٣ د/ حسن إبراهيم ط ٨. الأول / ١٠٥ بتصرف.

إذن اكتملت العلوم من حيث علوم الوسائل والمقاصد وظهر الأئمة الأربعة واشتغل بعض الناس بالعلوم العقلية كما اشتغل غيرهم بالعلوم النقلية وكانت معاهد العلم في العصر العباسي والتي عن طريقها ينتشر العلم ويدرس هي:-

١- الكُتَّاب ٢- المسجد وكان هو أهم معهد للثقافة في الإسلام.

٣- مجالس المناظرة ٤- المكتبات[١]. ٥- مجالس الخلفاء [٢].

أما مراكز الحياة العلمية فتوجد في مكة والمدينة والكوفة والبصرة وبغداد والشام ومصر، وترجع عناية واهتمام العباسيين بالعلم إلى :-

١- حب الخلفاء للعلم والتشجيع لحركة الترجمة.

٢- رغد الحالة الاقتصادية وخاصة في العهد الأول للدولة.

٣- الحرية الفكرية التي أيدها المأمون بكل ثقله.

٤- الصراع بين العرب والموالي.

٥- ظهور الفرق المختلفة.

ومما سبق كله نستطيع أن نستنتج ما يأتي:-

١- المدن الإسلامية كانت تمرّ بعناصر مختلفة من فرس وروم وهنود وعرب وسريان وكانت بغداد مركز الحكم وحاضرة العالم الإسلامي تأتي إليها الوفود من كل بقاع العالم، حاملة معها علومها وثقافتها لتتبادلها مع علماء بغداد المسلمين فكثرت المناظرات والمحاورات وازدادت بذلك آفاق العلم وحلقات العلماء ومجالسهم.

٢- نشطت في ذلك العصر حركة الترجمة وتولاها الخلفاء العباسيون بالتنمية والتشجيع فازدادت اللغة العربية نمواً بما كان لدى السريان من أفكار وآراء وعلم، وقد كان لهذا السيل من هذه الأفكار تأثيره في الفكر الإسلامي وكان من المسلمين من هضم هذه المعلومات واستفادوا منها علوماً فوق علومهم

---

[١]) ضحى الإسلام (جـ ٢/ ٤٩، و٧٣) أحمد أمين.

[٢]) العصر العباسي الأول (ص١٠٤، و١٠٥) بتصرف د/ شوقي ضيف.

ومنهم من ضلت عقولهم التي عجزت عن فهمها وهضمها وحيرتهم، وأفسدت عقائدهم فكان منهم الزنادقة الذين أخذوا يعلنون آراءً ضالة مضلة لجماعة المسلمين بما دسوه في نفوسهم من شبهات وشكوك وأوهام أرادوا بها الكيد للإسلام والمسلمين[١].

٣- اهتمام بعض الخلفاء المسلمين بأمر الرد على هؤلاء الزنادقة وعلى الرغم من ذلك فقد انحرف بنو العباس بالدولة الدينية الأصول عن سبيل القصد والصحة الفكرية والنفسية إلى التعاظم والتعاجم الأجوف، وهي السبيل التي نقلت البذخ الكسروي وركوع الرعايا للملوك من الشرق إلى قصور اليونان والرومان. وكان خضوع العباسيون الفكري والعقلي والسياسي والاجتماعي للفرس آفة الزمان كله وسبيل الدمار للدولة [٢].

ولقد غزا هذا العنصر الدخيل الأمة العربية بقوميته وسلاحه وعلمه وتفكيره وفكره ودهائه فانتشرت الفلسفة وعم الجدل واضطربت العقول وقلت قيمة النصوص. هذا هو حال العصر الذي عايشه الإمام أحمد فقد رأى فيه انحرافاً من المنهج الإلهي الذي أدى بدوره إلى تسلط الفرس على بقية طوائف المجتمع من الناحية السياسية.

أما من الناحية الاجتماعية فقد أدي بدوره إلى ظهور المجون والفجور والزندقة وظهور اتجاهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والزهد.

وأما من الناحية الفكرية على الرغم من ازدهار الحركة العلمية إلا أنها أدت إلى ظهور فرق وازدهار أخرى، وبالتالي أدت إلى ظهور مدرستي العقل والنقل فنظر أحمد بعين ثاقبة وببصيرة مطمئنة إلى هذه الأمراض، فوجد بأن أساسها هو الانحراف عن منهج القرآن الكريم.

وبالتالي فإن هذا العصر يحتاج إلى نقلة ضخمة من حالته التي كان عليها إلى حالة العصر الإسلامي الأول ويحتاج إلى منهج وداعية يتخذ القرآن والسنة منهاجاً له، وقد أكرم الله هذا العصر بالإمام أحمد.

---

[١]) أئمة المذاهب الأربعة، محمد إسماعيل إبراهيم، ص١٠٨، دار الفكر العربي سنة ١٩٧٨ م.
[٢]) أحمد ابن حنبل إمام أهل السنة عبد الحليم الجندي ص٢٦، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٧٠ م الكتاب ٦٥.

الفصل الثاني:-

ويبحث في:

البيئة الأسرية الخاصة التي نشأ فيها الإمام أحمد بن حنبل وأثرها في تكوينه وتكوين منهجه ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول : مولده.

المبحث الثاني: نسبه وأسرته.

المبحث الثالث: نشأته ورعاية أمه له وأثر ذلك عليه.

المبحث الرابع: حياته الخاصة.

المبحث الأول: مولده ومكان ولادته – كنيته.

تكاد تجمع المصادر على أن الإمام أحمد ولد في ربيع الأول سنة أربع وستين ومائة من الهجرة النبوية الشريفة، حُكي ذلك عن صالح وعبد الله ولدي الإمام أحمد رواية عن أبيهما، يقول صالح سمعت أبي يقول: (ولدت سنة أربع وستين ومائة في أولها في ربيع الأول).[١] ويقول عبد الله: قال أبي: (ولدت سنة أربع وستين في شهر ربيع الأول) [٢] (الموافق نوفمبر سنة ٨٧٠ ميلادية) [٣] وقيل: إنه ولد في (ربيع الآخر) [٤] من نفس السنة الموافق (ديسمبر سنة ٨٧٠) [٥] والصحيح أنه ولد في شهر ربيع الأول وليس في ربيع الآخر لأن:-

أغلب المصادر أجمعت على ذلك.

الرواية التي ينقلها الحافظ الذهبي المذكورة آنفاً يرويها على لسان أحمد بن أبي خيثمة وفي نفس الوقت يروى لنا رواية عن ابنه عبد الله يقول: قال لي أبي: (ولدت في ربيع الأول سنة أربع وستين ومائة) [٦]. وما نقل عن لسان ابنيه أوثق مما نقل عن غيرهما، ثم ذكر كلمة (قيل) بإسنادها للمجهول يشتمُّ منها عدم التوثيق والتأكيد منها، ولربما نقلت على لسان أحمد بن أبي خيثمة فقط.

وعلى هذا يكون الإمام أحمد بن حنبل قد وُلِد في ربيع الأول من سنة أربع وستين ومائة من الهجرة النبوية الشريفة.

وقد ولد الإمام أحمد في (بغداد وجيء به حمْلاً من مرو) [٧]. خلافاً للرواية القائلة بأنه وُلِد (بمرو وحمِل إلى بغداد وهو رضيع) [١]. لأن راويها يذكر الرواية

---

١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبدالله بن الأصبهاني ت ٤٣٠ هـ جـ٩ ص ١٦١ ط ٢ دار الكتاب العربي بيروت لبنان.
٢) المرجع السابق نفسه جـ ص ١٦١
٣) دائرة المعارف الاسلامية جـ٢ ص ٣٦٥ الشعب ط٢
٤) ترجمة الامام أحمد من تاريخ الإسلام للحافظ الذهبي ت ٧٤٨ هـ تحقيق أحمد محمد شاكر ص ٨٠ دار المعارف مصر سنة ١٩٤٦.
٥) دائرة المعارف الاسلامية جـ٢ ص ٣٦٥.
٦) تاريخ الاسلام ص ١٠ للحافظ الذهبي.
٧) الحلية (جـ٩ /ص١٦١) (بغداد فيها لغات كثيرة وبغداد بدالين مهملتين، وهي في اللغات كلها تذكر وتؤنث وتسمى مدينة السلام أيضاً، أيضاً وإنما سميت مدينة السلام لأن السلام هو الله فأرادوا مدينة الله، بناها أبو جعفر

الأولى ويذكر أنه ولد في بغداد ثم يذكر الرواية الثانية ذاكراً قبلها (قيل) وهذا يدل على أن الرواية الأولى أقوى وأوثق، ولأن جميع المصادر أجمعت على ولادته ببغداد وعلى هذا يكون الإمام أحمد قد ولد ونشأ ببغداد.

واختلف في أصله فقيل: مروزي، وقيل: بصري يذكر الروايتين صاحب تاريخ بغداد فيقول: هو "أي الإمام أحمد" (مروزي الأصل) [٢] ويقول: (أصله بصري وخطته بمرو) [٣]، والصحيح أن أصله بصري مروزي الخطة لما يأتي.

يخبر الإمام نفسه أنه من البصرة يقول عبد الله الرومي: (كنت كثيراً ما أرى أبا عبد الله أحمد بن حنبل وهو بالبصرة يأتي مسجد بني مازن ويصلي فيه فقلت يا أبا عبد الله إني أراك كثيراً ما تصلى في هذا المسجد فقال إنه مسجد آبائي). [٤]

- الرواية التي ذكرها تاريخ بغداد من أنه مروزي الأصل منقولة عن محمد بن حاتم وما نقل على لسان أحمد نفسه وابنه في الرواية الثانية لصاحب تاريخ بغداد أوثق وآكد وعلى هذا يكون أصله بصري.
- ويكني بأبي عبد الله على الرغم من صغره عن ابنه صالح لأن عبد الله لازم أباه وأخذ عنه العلم ونشر علمه يقول صاحب المناقب: (أحمد بن حنبل يكني أبا عبد الله سدوس من أنفسهم بصري من أهل خرسان ولد ببغداد ونشأ بها). [٥]

المنصور، أنفق عليها ثمانية عشر ألف ألْف درهم في الوقت الذي كان التمر ستون رطلاً بدرهم ولحم البقر تسعون رطلاً بدرهم). معجم البلدان (جـ ١/ ص٤٥٦) وما بعدها (مرو الروذ) المرو الحجارة البيض تقدح بها النار، ولا يكون أسود ولا أحمر، والروذ ، بالذال المعجمة هو بالفارسية النهر، وكأنه مرو النهر وهي مدينة قريبة من مرو الشاهجان وهي صغيرة بالنسبة إلى مرو الأخرى، خرج منها خلق من أهل الفضل ينسبون مروروذي ومروذي)" معجم البلدان ١١٢/٥.

[١])التاج المكلل من جواهر الطراز الأول، ط ٢ الهند، ص٢٤، ت ١٣٠٧هـ.

[٢]) ت بغداد للحافظ أبي بكر أحمد بن على الخطيب ٤٦٣ هـ مجلد ٤/ ص ٤١٢، دار الكتاب العربي بيروت لبنان (٤) المرجع السابق جـ ٤ / ص٤١٢.

[٣]) المرجع السابق (ج٤/ ص٤١٢).

[٤]) مناقب الإمام أحمد بن حنبل لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، تـ ٥٩٧، ط (١) ١٩٧٢ دار الآفاق الحديث بيروت ص ١٢٩، البصرة وهما بصرتان العظمي بالعراق وأخرى بالمغرب. وأما البصرتان: فالكوفة والبصرة، قال المنجمون البصرة طولها أربع وستون درجة وعرضها إحدى وثلاثون درجة وهي في الإقليم الثالث، قال ابن الانباري: البصرة في كلام العرب الأرض الغليظة" معجم البلدان ط/٤٣٢ وما بعدها.

[٥]) ص١٤

ومجعل ما سبق أن الإمام أحمد يكني بأبي عبدالله وولد في ربيع الأول سنة أربع وستين ومائة من الهجرة النبوية الشريفة في بغداد وأصله وخطته بمرو، وولد الإمام أحمد في عهد الخليفة العباسي الثالث (أبي عبد الله محمد المهدي بن المنصور).

المبحث الثاني: نسب الإمام أحمد وأسرته:-

١-نسب الإمام أحمد.

إذا نظرنا إلى نسب الإمام أحمد نجد أن الروايات أجمعت على أنه:-

" أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حيان بن عبد الله بن قاسط بن مازن....) [١] ثم تختلف الروايات بعد ذلك في تقديم الأسماء وتأخيرها وزيادتها ونقصانها فنجد:-

١- رواية تقول " مازن بن شيبان " [٢] وعلى هذه الرواية يكون الإمام أحمد شيباني فقط.

٢- رواية تقول " مازن بن ذهل بن شيبان"[٣] وعلى هذه الرواية يقول الإمام أحمد ذهلي شيباني.

٣- ومن الرويات من تصل بنسبه إلى هذا الحد فقط "أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حيان بن عبد الله بن قاسط بن مازن بن – شيبان بن ذهل– أو مازن بن ذهل بن شيبان[٤]

والذي يبدو والله أعلم أن وقوفهم عند هذا الحد لأن الأعلام بعد شيبان أو ذهل يختلف في عددها وترتيبها وكثرتها وقلتها والعلم والجهل بها ولأنه قيل "

---

[١] الحلية لدى نعيم جـ ٩ ص١٦١ المرجع السابق نفسه جـ٩ ص ١٦١ .

[٢] المرجع نفسه جـ١ ص ١٦١ مازن بن شيبان بطن من شيبان من بكر بن وائل من العدنانية وهم بنو مازن بن ذهل بن ثعلبه بن عكابة بن صعب بن على بن بكر أيمن وائل كانوا يقطنون عمان- معجم قبائل العرب جـ٣ ص ١٠٢٤.

[٣] طبقات الحنابلة جـ١ ص ١٤ للقاضي أبي الحسن محمد بن بعلي ت ٥٢٦ هـمازن بن ذهل بن شيبان قبيلة بن بكر بن وائل ، من العدنانية تنسب إلى قهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل واليهم يرع الذهليون واستمرت نيران الحرب بينهم وبين بني عجل في الحرية وهي موضع في ذيار بني عجل – معجم البلدان جـ١ ص ٤٠٦.

[٤] النجوم الزهعراة جـ٣ ص ٢١٩

أحمد بن حنبل الشيباني" ولبيان أنه ينسب إلى شيبان أو ذهل على ما سيحققه بعد.

٤- ومن الروايات من يصل بنسبه إلى عدنان " أحمد بن محمد.... بن مازن ابن شيبان ابن ذهل بن ثعلب بن عكابه بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هِنْب بن أفْصى بن دُعَمِي بن جُدَيْلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان"[١].

ويبدو ومن وصولهم بهذا النسب إلى عدنان لبيان:

- مكانة نسبه وتفرعه من بطون العرب لأن من نزار تشعبت بطون العرب كلها، وعلى هذا يكون الإمام ذهلي شيباني ربعي.
- ووقفوا عند هذا لأن الأعلام بعد عدنان لا يعرفها العرب ولأنها مختلف فيها وفي عددها ولذلك يقولون: أمرنا أن نمسك عما وراء عدنان لأن ذلك لم يكن مدوناً التدوين الذي يوثق به ويطمأن إليه"[٢].

٥- ومن الروايات من تصل بنسبه إلى سيدنا إبراهيم الخليل فنقول: (أحمد بن حنبل.... ابن عدنان بن أدَّ بن أدد بن الهميسع بن حمل بن نبّيت بن قيدار بن إسماعيل بن الخليل "[٣].

وإذا نظرنا إلى هذه الرواية وجدنا من يصنع- مليحا- مكان حمل- والنَّبيت- مكان النبت"[٤] وهذه الرواية فيها ضعف واضطراب من حيث تقديم الأسماء وتأخيرها ولأنها "مترجمة من اللغة العبرية ومأخوذة منها"[٥]

٦- ومن الروايات من تصل بنسبه إلى آدم فتذكر بعد سيدنا إبراهيم فتقول " إبراهيم بن مارح وهو آزرة بن ناحُور بن ساروغ بن رَعُون بن فالِغ بن عابد بن

---

[١] المنهج الأحمد جـ ١ ص ٦ هامش
[٢] المرجع السابق نفسه جـ١ ص ٦.
[٣] حلية الأولياء جـ٩ ص ١٦١
[٤] مناقب الامام ص ١٧
[٥] أختصار طبقات الحنابلة جـ١ ص ٣ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبد القادر بن عثمان النابلسي ت ٧٩٢

سالخ بن قنيان بن أرفخشد بن سام بن نوح بن لامخ ويقال: لامك بن مَتُوسلخ بن أخنوخ هو إدريس بن يرد بن مهلابيل بن أنوش بن شيت بن آدم عليه السلام[١] وهذه الرواية أضعف من سابقتها لأنه إذا كان عدد الأسماء وقوتها من بعد عدنان مشكوكٌ فيها، وبأنها مترجمة عن العبرية فيكون من باب أولى التوقف أمام هذه الرواية خاصة وأن كل الأسماء الموجودة أمامنا عبرية.

وأوضح هذه الروايات – فيما يبدو – الرواية التي تصل بنسبة لعدنان وهي:-

"أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حيان بن عبد الله بن قاسط بن مازن بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابه بن صعب بن على بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان" لأن أسماءها معلومة عند النسابين من العرب ومن عدنان جاء معد – ومن معد جاء نزار – وولد لنزار أربعة هم " مضر بن نزار – وربيعة بن نزار وأياد بن نزار وأنمار بن نزار، ومن هؤلاء الأربعة تشعبت بطون العرب كلها" [٢] وعلى ذلك يكون الإمام أحمد عربي النسب أباً وسيأتي أنه عربي النسب أما أيضاً.

أما الرواية التي تصل بنسبه إلى مازن فقط التي ذكرها في أول نسبه هي رواية تقي نفسها شر الوقوع في الخطأ الذي وقع فيه المؤرخون، ولذا آثر صاحبها السلامة فاكتفى بنسبة الإمام إلى مازن فقط أما الرواية الأولى التي تقول – مازن بن شيبان بن ذهل– فهي الرواية الصحيحة، وعلى هذا يكون الإمام أحمد شيباني فقط.

أما الرواية الثانية التي تقول" مازن بن ذهل بن شيبان فغير صحيحة والأولى هي الصحيحة للأسباب الآتية:

١- الرواية الصحيحة ينقلها عبد الله عن أبيه مباشرة فيقول حدثني أبي " أحمد بن محمد بن حنبل بن مازن بن شيبان بن ذهل"[٣]

---

[١]) المنهج الأحمد جـ١ ص ٧٦.
[٢]) مناقب الإمام أحمد ص ١٩.
[٣]) الحلية أبو نعيم جـ ٩ ص ١٦١

٢- الرواية الصحيحة موجودة في كتب الإمام أحمد نفسه حيث يقول صالح ابنه كما في كتب أبي رحمه الله نسبة أحمد بن حنبل.. بن مازن بن شيبان بن ذهل."[١]

٣- يروي هذا النسب أيضاً عم الإمام أحمد فيقول سمعت أبا عبد الله وجاءه رجل فقال يا أبا عبدالله أملى على نسبك، قال عمِّ إلى عمي حتى يملي عليك نسبي فأملي عمُّه حنبل نسبه فقال: "أحمد بن محمد بن حنبل بن مازن بن شيبان بن ذهل "[٢] وعلى هذا فالإمام ذهلي على الإطلاق، ولذا قيل" أحمد بن حنبل الذهلي" [٣] وقد نسبه البخاري إليهما معاً فقال "الشيباني الذهلي"[٤].

٤- يرجع خطأ الرواية الثانية " مازن بن ذهل بن شيبان " التي نقلها صاحب طبقات الحنابلة إلى نقلها خطأ عن صالح بن الإمام أحمد على الرغم من أن وجود روايات كثيرة عن صالح يذكر فيها النسب الصحيح لأبيه منها رواية ذكرها آنفاً، ومنها قول صالح رأى أبي هذا النسب" أحمد بن محمد بن حنبل... ابن مازن بن شيبان بن ذهل في كتاب لي ولم ينكر النسب"[٥]

<u>من أين جاء هذا الخلط؟</u>

الرواية الصحيحة " مازن بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة"

الرواية المنقولة خطأ " مازن بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة " وقد جاء الخلط من أن ذهل بن ثعلبة الموجود في الرواية الصحيحة هو عم ذهل بين شيبان الموجود في الرواية المنقولة خطأ ويقول صاحب تاريخ بغداد يخطئ الرواية المنقولة خطأ ويثبت الرواية الصحيحة " أن أحمد من بني ذهل غلط إنما هو من بني ذهل بن ثعلبة وذهل بن ثعلبة هذا هو عم ذهل بن شيبان "[٦] ومنه فنستنتج أن الجد الأعلى للاثنين هو ثعلبة وثعلبة هذا ولد له بنان: ١- ذهل بن ثعلبة. ٢-شيبان بن ثعلبة.

---

[١] المرجع السابق جـ ٩ ص ١٦١.
[٢] الحلية لأب نعيم جـ ٩ ص ١٦٢
[٣] تاريخ الإسلام للذهبي ص ٩
[٤] المرجع السابق ص ٩
[٥] البداية النهاية جـ ١٠ص ٣٢٥ لأبي الفداء.
[٦] تاريخ بغداد جـ ٤ ص ٤١٣.

وذهل بن ثعلبة وُلِد له ابن فسماه شيباناً على اسم أخيه، وشيبان أنجب ابناً فسماه ذهل على اسم أخيه أيضاً، فيكون أمامنا الآن السلسلة " شيبان بن ذهل بن ثعلبة وهذا هو الجد الأعلى للإمام أحمد بن حنبل " ويقال كما قلنا سابقاً أحمد بن حنبل الذهلي على الإطلاق أو الشيباني الذهلي "ذهل بن شيبان بن ثعلبة" وعلى هذا يكون ذهل بن ثعلبة الجد الأكبر للإمام أحمد هو عم ذهل بن شيبان بن ذهل وهو الجد الأكبر للمثني بن حارثة.

ونتج عن ذلك فرعين الثعلبة:

١- **الفرع الأول:** فرع شيبان بن ذهل بن ثعلبة الجد الأكبر للإمام أحمد وهو فرع العلم وهو عم ذهل ابن شيبان وعلى الرغم من عمومته له وكبره عنه لا أنهم يطلقون عليه ذهل الأصغر لقلة أولاده وأتباعه.

٢-**الفرع الثاني:** ذهل بن شيبان بن ثعلبة " وهذا هو الجد الأكبر للمثنى بن حارثة وعلى الرغم من أنه ابن أخ لذهل بن ثعلبة وأصغر منه إلا أنهم يطلقون عليه " ذهل الأكبر " لكثرة أولاده في الجاهلية والإسلام ولأنهم أهل حرب.

يقول صاحب المناقب عن فرع الإمام أحمد "مازن بين شيبان بن ذهل بن ثعلبة" هو بن عكابة بن صعب– وهي قبيلة أبي عبدالله أحمد بن حنبل – وهذا هو ذهل الذي منه دُعْقل بن حنطقة، ومحارب بن دثار، وعمران بن حطان وهو بطن كثير العلماء والخطباء والنسابين"[١]

ثم يقول عن الفرع الآخر" وذهل الأكبر هو بن أخي هذا وسمي الأكبر لأن العدد في ولده وهو ذهل بن شيبان بن ثعلبة ومنه المثنى بن حارثة وفي ولده العدد والشرف والفخر"[٢] وهذا النسب فيه منفعة عظيمة للإمام أحمد لأن البطون الرئيسية:

١- عائلة إحدى البطون الرئيسية الأربعة التي تفرعت عنها العرب.

٢- إنه عربي يقول صاحب المناقب " تلاقى مع نسب رسول الله في نزار لأن النبي صلى الله عليه وسلم مضري من ولد مُضر بن نزار وكل قرش من

---

[١]) المناقب لابن الحوزي ص ١٩

[٢]) المرجع السابق نفسه ١٩

مُضر وأحمد بن حنبل ربْعي من ولد رَبيعة بن نزار وهو أخو مُضر بن نزار، ووُلِد لنزار أربعة: مضر بن نزار وربيعة بن نزار وأياد بن نزار وأنمار بن نزار ومن هؤلاء تشعيب بطون العرب كلها[١]وبذلك يكون اجتمع للإمام أحمد العلم والفخر في الرفعة والقوة والعدد والشجاعة من أبناء عمومته منه، وبأنه كان عربياً يقول يحيى بن معين: "ما رأيت خيراً من أحمد ما افتخر علينا بالعربية ولا ذكرها"[٢] ويقول صاحب تاريخ بغداد: " إذا كنت في ربيعة فكاثر بشيبان وفاخر بشيبان وحارب بشيبان. قال فإن قلت الشيباني لم يعد المطلق في هذا إلا ولد شيبان بن ثعلبة، وإذا قلت الذهلي لم يُفِد ملق هذا إلا ولد ذهل بن ثعلبة فينبغي أن يقال أحمد بن حنبل الذهلي على الإطلاق"[٣]

ومما سبق نستنتج أن:-

الإمام أحمد ذهلي بصري مروزي الخطة، بغداد المنشأ ربعي البطن، عربي النسب فرْعي العلم أحمد بن محمد بن حنبل... بن مازن بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عطابة.... بن عدنان ويلتقي نسبه في الرسول صل الله عليه وسلم في نزار.

٢-أسرته:-

أبوه هو محمد بن حنبل، واختلف في عمله الذي كان يقوم به فقيل " كان أبوه جندياً ومات شاباً"[٤] وقيل: (كان والياً على سرخس)[٥]

وقيل: (كان أبوه قائداً) [٦] ولا ندري متى ولد؟ لأن المراجع التي بين أيدينا لم تحدثنا بذلك والصّحيح أنه كان جندياً وكان أبوه حنبل هو والي سِرْخِس وربما يرجع السبب في اشتغاله بهذا العمل أن العرب في هذا العصر لم يكونوا زراعاً ولا صناعاً بل

---

[١]) المناقب ص ١٩
[٢]) طبقات الحنابلة جـ١ ص ١٩
[٣]) جـ ص ٤١٢
[٤]) شذرات الذهب في أخبار من ذهب جـ٢ ص ١٩٦ لأبي الفتح عبد الحي الحنبلي ت ١٠٨٩ هـ.
[٥]) المناقب ص ١٩ سرخس بفتح أوله وسكون ثانيه ويقال سرخس بتحريك الراء و الأول أكثر، مدينة قديمة من نواحي خراسان كبيرة واسعة وهي بين نيسابور ومرو وفي وسط الطريق وقد خرج منها كثير من الأئمة، معجم البلدان، (جـ٣/ ص٢٠٨).
[٦]) المنهج لأحمد جـ ١ ص ٧

كانوا حماة وغزاه[١] وكان يقطن البصرة، فنزل ببني عامر فتزوج منهم صفية بنت ميمون بن عبدالله الشيباني ودخل بها عندهم وأقام بها في البصرة، ويروى عن الإمام أنه حيثما كان يذهب إلى البصرة ويصلي في مسجد بني مازن قوله " إنه مسجد آبائي"[٢]، ولم يستمر مقام محمد بن حنبل فيها فإن أباه حنبل قد أنتقل إلى "مرو" عاصمة خُرسان [٣] فانتقل أحمد بزوجته معه وما لبث أن عاد أبو الإمام أحمد (محمد بن حنبل) إلى بغداد ولا ندري ما السر الحقيقي في عودته إلى بغداد – وربما يكون:

١- إنهاء مهمته في العمل كجندي.

٢- حنينه إلى مسقط رأسه حيث إن عائلته انتقلت إلى بغداد.

٣- شعوره بدنو أجله.

٤- اضطهاد العرب بمروه.

٥- لم تعد مرو قاعدة الغزو الذي يوجهه العرب إلى أواسط آسيا (في مرو).

٦- عدم إتاحة فرص المجد التي تتاح لبني شيبان.

٧- وفاة والده.

٨- البحث عن عمل بعد ما ترك والده في مرو.

والظاهر أنه رجع إلى بغداد في عام أربع وستين ومائة من الهجرة وهو العام الذي وُلِدَ فيه الإمام أحمد " وجيء بن حمْلاً من مرو" [٤] وقدِمَت أمُّه إلى بغداد وهي حامل فولدته ونشأ بها "[٥]

---

[١] أحمد بن حنبل حياته وعصره وآراؤه الفقهية، ص ١٦ بتصرف

[٢] المناقب ص ١٩

[٣] خراسان: بلاد واسعة أول حدودها مما يلي العراق أزاوار قصبة جوين وبهيق، وآخر حدودها مما يلي الهند طخارستان وغزنة وسجستان وكرمان ويشتمل على أمهات من البلاد منها نيسابور ومرو وهراة وهي كانت قصبتها – معجم البلدان جـ٢ ص ٣٥٠.

[٤] الحلية ابو نعيم جـ ٩ ص ١٦١

[٥] تاريخ بغداد جـ ٤ ص ٤١٤

ولأن المراجع لم تخبرنا بزمن رجوعه إلى بغداد بالضبط وما لبث أن توفي" وهو في سن الثلاثين"[١] وكان عمْر الإمام أحمد آنذاك ثلاث سنين" [٢] ولم يتركه أبوه كالاً يطب المعونة بل ترك له ببغداد عقاراً يسكنه، وآخر يغل له غلة قليلة وهي تغطية الكفاف من العيش" [٣] وبعد وفاة والده نقلته أمه وقامت على رعايته.

أمه:- وأم الإمام أحمد شيبانية الأصل من بني عامر كان قد نزل بهم محمد بن مقبل والده فبنا بها وهي صفية بنت ميمون بن عبدالله بن الشيباني من بني عامر يقول صاحب نفثات صدر الحكمة وأم الإمام أحمد شيبانة أيضاً واسمها صفية بنت ميمون بن عبد الله بن الشيباني من بني عامر كان نزل محمد بن حنبل بهم فتزوجها. [٤]

والإمام أحمد شيباني الأصل أباً وأماً فلقد " حاز شرف النسبين وكمل له بأصليه أتم الشرفين" [٥] ولم تسعفنا المراجع بزمان مولدها ووفاتها ويبدو أنها ماتت بعد أن جاوز الإمام التاسعة عشر عاماً لأنه يقول" خرجت بالكوفة فكنت في بيت تحت رأس لبنة فحممت فرجعت إلى أمي ولم أكن استأذنها"[٦] وخرج إلى الكوفة سنة ثلاث وثمانين فهو يقول" مات هشيم سنة ثلاث وثمانين وخرجت إلى الكوفة في تلك الأيام "[٧] فهي التي رعته وربته وكانت تحبه وكان الإمام يحبها ويجلها.

المبحث الثالث: نشأته

١-نشأته ورعاية أمه له وأثر ذلك عليه.

توفى والد الإمام أحمد وسنه لا يتجاوز الثالثة وقد ترك له أبوه عقاراً يعيش منه هو وأمه، ويقول ابن كثير" وتوفي أبوه وهو ابن ثلاث سنين فكفلته أمه"[٨] ومن البديهي

---

[١] البداية والنهاية جـ١٠ ص ٣٢٥
[٢] المرجع السابق نفسه جـ ١٠ ص ٣٢٥
[٣] أحمد بن حنبل ص ١٨ محمد أبو زهرة
[٤] نفثات صدر المكمد وقرة عين المسعد لشرح ثلاثيات الإمام أ؛مد جـ١ ص ٦ محمد السفاريني الحنبلي الطبعة رقم (١).
[٥] المرجع السابق نفسه جـ١ ص ٦، المناقب – أيضاً – ص ٢٠
[٦] المناقب ص ٢٦
[٧] تاريخ الإسلام ص١١ للحافظ الذهبي.
[٨] البداية والنهاية جـ ١٠ ص ٣٢٥

في مثل هذه الظروف – القاسية– مثلاً أن تتجه به إلى أهلها أو تعيش كالة على غيرها أو توجّهه إلى أي جهة تغل هي من ورائه دخلاً – لا – وأنى ذلك وهي الشيبانية الأَصل[1] لقد أرادات له منذ اللحظة الأولى لوفاة والده أن يكون على علم الدين الذي يعكف عليه والذي يتوافر له. من هنا حملت الأم تبعاتها في تنشئة فتاها فقامت على تربيته أشد قيام واعتنت به أكثر عناية وأحبته وتعلقت به لأنه يحمل ذكريات عائلته وأمجاد أجداده ومن شدة حبها له كانت تضع في أذنه حبة من لؤلؤة.

يحدثنا الإمام أحمد عن شدة تعلق أمه به وحبها له فيقول " كانت أمي يرحمها الله " تُصِرُّ فيها– أي في أذنه– حبة لؤلؤة فلما ترعرعت فكانت عندها فدفعتها إليّ فبعتها بنحو من ثلاثين درهما"[2] فلما ترعرع حرصت على تنشئته نشأة طيبة صالحة فمتعته بوقائع المجد من أهل بيتها وبيته وتراث الفرعين من بني شيبان أغلى المقتنيات، وفي القصص أبلغ المواعظ، الصغير يتعلم على أمه وبخاصة إذا كان ما تلقنه معلومات عامة مُسَلّحة.

- فنقلت الأم جلائل المجد التي اختص بها فرعه مقرونة بالسيرة العطرة وسير أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وإلى جوارها أخبار معاوية ودغل وعمران وكبار الصحابة والتباعين وتابعيهم وأدباء الكبار والمحدثين عن أم المؤمنين كدعقل ومحارب.
- كذلك تولت الأم وضع التجربة الحية أمام طفلها للفرع الآخر من شيبان فنقلت له بطولات المثني بن حارثة مع أبي بكر وعمر وخالد وسعد والمثني مع كسرى ثم معن بن يزيد مع خلفاء بني العباس ونقلت له دور أهله في قيام الدولة العباسية. [3]

أثر هذا التوجيه على أحمد وأثر البيئة عليه:

---

[1]) شيبان قبيلة تقيم بين عدبه والمكلا وهي بطن من بكر بن وائل من العدنانية من قبائل هذا البطن بنو رقاعن وآل عمر بن حرثد بنو مازن وكانت لهم كثرة في صدر الإسلام شرقي دجلة في جهات الموصل و تنسب إلى شيبان محلة بالبصرة – معجم قبائل البلدات جـ٦ ص ٢٢ -

[2]) الحلية جـ٩ ص ١٦١.

[3]) أحمد بن حنبل إمام أهل السنة بتصرف ص ٢٨ – ٢٩ للاستاذ عبد الحليم الجنري.

حينما عرضت له والدته ما سبق فوجد الطفل أمامه فيضاً عميماً من الوقائع المجتمعة وكأنها مدارس شتى في فنون المعرفة يكمّل بعضها بعضاً في العمل للدين وفي العلم والفقه واللغة والأدب والتضحيات وإنكار الذات.

فوضحت التجربة أمامه وكأنما تهيب به أن يدلي بدلوه فيها، كمثل ما صنع أهله الأقربون من شيبان. وعندما يقتدي الفتى الناشئ بهؤلاء فهو يهتدي بغريزته إلى إتباع الأمر الأول من عمل النبي صلى الله عليه وسلم الذي ورّث العلم ولم يول الولايات أهلَه ومن عمل صحبه الذين بلغوا عنه.

وفي الغريزة حصاد البيئة من بقايا الماضي ومعاناة الحاضر وهتاف المستقبل ونداء الفطرة الأصلية النبيلة على يد أمٍّ ذات بصيرة تؤثر له الانطلاق في سماء المعرفة العالية على السعي في الدنيا لمعاشها ومعاشه فقامت بتوجيههم إلى فرع العلم والمعرفة[١]

وكانت أمه قد اختارت له منذ صباه فرع العلم والمعرفة، فانطلق يحفظ القرآن الكريم ولازمه حتى انفتحت له أبواب كثير في العلم واللغة والحديث وأدب الدين والدنيا وأدب النفس وقد حفظ القرآن الكريم على (يحيى بن آدم) وبعد أن استحفظ القرآن اتجه إلى علم اللغة والقراءة فأخذ القراءة وأتقنها عن الإمام (أبو القاسم الهدبي) وأجرى له اختباراً فنجح فه وأخذها أيضاً عن (يحيى بن آدم) عبيد بن عقيل، إسماعيل بن جعفر عبد الرحمن بن قلوفا. [٢]

يقول الجزري إن الإمام أحمد "روى الحروف عرضاً" [٣] ويقول: "وأجرى له الهدبي اختباراً في القراءة"[٤] فنجح فيه ثم اختلف إلى الديوان وهو في سن الرابعة عشر واختلف في سبب ذهابه إليه فقيل:-

١) ليتمرن على التحرير والكتابة[٥]

---

[١] أحمد بن حنبل أمام أهل السنة ص ٢٨ يتصرف
[٢] غاية النهاية في طبقات القراء (جـ ١/ ص١١٢) لشمس الدين أبي الخير محمد بن محمد الجزار تـ ٨٣٣ هـ ط الخانكي بمصر.
[٣] المرجع السابق نفسه جـ ١ ص ٢١٢
[٤] المرجع السابق نفسه جـ١ ص ١١٢
[٥] أبن حنبل ص ٢٠ محمد أبو زهرة

٢) لقبض حقوقه الأسرية معه.

٣) لزيارة أهله من عمّال السلطان هناك وكل هذه الأسباب محتمل ولا تناقض بين ذهابه لها جميعاً، وليس ذهابه إلى هناك للعمل لدى السلطة فموقفه معروف منها منذ حداثة سنه يتجلي ذلك في سؤال حينما بعثه بالبريد ليوصله إلى نائب بغداد إذا بأحمد يرميه في البحر ويقول له: "أنا أرفع من تلك الأخبار وقد رميت بها في الماء"[١]

وأتاحت له هذه الفرصة الذهاب إلى الديوان وهو صبي أن يعرف كل ما يدور في بغداد من نشاط[٢] ولم تكتف والدته بذلك بل علمته لغة أجنبية لأنها تضطلع به أمام المستقبل كداعية يدعو بها إلى دين الله كما سيأتي بعد إن شاء الله من إتقانه لها وتحدثه بها إلى أهل من يتكلمون بها[٣].

الصفات التي اكتسبها أحمد من دراسته:-

بينت فيما سبق الصفات الغرائزية التي توارثها الإمام أحمد من أسرته، وكذلك أثر توجيه أمه عليه وفوق ذلك نراه قد اتسم، وبصفات ظهرت عليه أثناء دراسته وهو طفل صغير كان لها مع سابقتها أثر فعال في تكوينه، هذه الصفات هي: ١- **الأمانة ٢- حفظ السر ٣- النجابة من صغره.**

ويروي ذلك كله صاحب المناقب فيقول: " كان الخليفة بالرِّقة فيكتب الناسُ إلى منازلهم، فيبعث نساؤُهم إلى المعلِّم: أبعث لنا بأحمد بن حنبل ليكتبَ لهن جواب كتبهم فيبعثه، فكان يجئ إليهن مطأطئ الرأس فيكتب جواب كتبهم فربما أملوا عليه الشيء من المنكر فلا يكتبه لهم" [٤] يا سبحان الله غلام في سن الرابعة عشر تأتمنه النسوة في الدخول عليهن، وقراءة خطاباتهن ويتعافى عن ذكر أو كتابة أي كلمة فيها منكر ويذهب مطأطئ الرأس يخشى الله ثم تأتي علامة إرسال أستاذه له، لماذا هو؟ لحسن سيرته وسلوكه وحفظه.

---

[١]) المناقب ص ٢٠
[٢]) أحمد بن حنبل أمام أهل السنة ص ٣٤ بتصرف
[٣]) تاريخ الإسلام ص ٢٥ للذهبي.
[٤]) ص٢٠

– إنها الأمانة – حفظ السر – النجابة.

٤) شهرته بين أقرنائه بالفضل والورع يروي ذلك صديقه في الطفولة والصبا أبو عفيف حينما ذكر أبا عبدالله أحمد بن حنبل – فيقول: " كان في الكتّاب معنا وهو غُليّم نعرف فضله"[١]

٥) حسن أدبه وطريقة عرضه مما أثار انتباه أحدِهم فيقول: " أنا أنفق على ولدي وأجيئهم بالمؤدِّبين على أن يتأدبوا فما أراهم يفلحون، وهذا أحمد بن حنبل غلام يتيم أنظر كيف يخرج؟ وجعل يعجب"[٢] انظر معي إلى قوله: (أنفق على أولادي آتيهم بالمؤدِّبين والنتيجة لا أراهم يفلحون).

٦) الورع وعدم الخضوع لمغريات السلطة في القصور فلقد كان عمه يجمع أخبار بغداد ليوصلها إلى السلطة وفي يوم من الأيام أبطأ عنه فأرسله ليذهب بها إلى السلطان فأخذها فرماها في البحر أو وضعها في صفقة في المنزل. ويقول داود بن بسطام قصة ورع الصبي متعجباً منه " أبطأت عليّ أخبار بغداد فوجهت إلى عم أبي عبدالله بن حنبل لم تصل إلينا الأخبار اليوم وكنت أريد أن أحرّرها وأوصلها إلى الخليفة فقال لي قد بعثت بها مع أحمد بن أخي قال فبعث عمه فأحضر أبا عبد الله – وهو غلام – فقال أليس بعثت معك الأخبار، قال: بلى قال فلا شيء لم توصلها؟ قال أنا كنت أرفع من تلك الأخبار رميت بها في الماء قال فجعل ابن بسطام يترجع ويقول هذا غلام يتورع فكيف نحن" [٣] وفي رواية يصفها في الطاقة ويبدو لي – والله أعلم – بأن الحادثة من الجائز تكون قد تكررت مرتين مرة حينما وضعها في الطاقة " هو ذا الكتاب في الطاقة "[٤] ثم استمالوه ثانية فرماها في البحر ليبين لهم ورعه ومنهجه من مغريات السلطة وكان من الممكن أن يسايرهم وخاصة هو الطفل اليتيم الفقير وكيف ذلك؟ والله سبحانه وتعالي يحفظه بحفظ القرآن،

---

[١]) المناقب ص ٢١
[٢]) المرجع السابق نفسه ٢١
[٣]) المناقب ص٢٢.
[٤]) المناقب ص٢١.

ومرة ثانية رد على من يدعي بأن الفقر سبب للانحراف مدعاة للذلة والخضوع.

٧) قيامه الليل وهو صغير يقول إبراهيم بن شماس " كنت أعرف أحمد بن حنبل وهو غلام كان يُحيِي الليل[١].

٨) الصبر والبعد واحتمال المكاره في سبيل تعلم العلم يقول هو بنفسه " كنت ربما أردت البكر في الحديث فتأخذ أمي بثيابي وتقول: حتى يؤذّن الناس أو حتى يصبحوا، وكنت ربما بكرت إلى مجلس أبي بكر بن عباس[٢].

عوامل نبوغه:-

فوق ما تقدم لا أنه أثرت فيه عوامل كنت سبباً في نبوغه.

١- إرادة الله له وتوفيقه إياه مع شرف النسب والحسب لأننا نرى إذا كان للبيئة والوراثة أثر فمن الذي خلق البيئة والوراثة؟

أولاً: عناية الله هي المؤثرة ثم تأتي عوامل ثانوية تؤثر وليست هي المؤثر الفعال.

٢- اليتيم الذي نشأ فيه منذ صغره وتوجيه أمه له بأن وجهته إلى سيرة وآثار الرسول والخلفاء والصحابة ثم وضعت معه شجرة فَرِعَةً اختارت له بعد إرادة الله واختباره فرع العلم.

٣- حالة الفقر غير المقدع ربت فيه الصبر والقناعة والإباء.

٤- نزوع نفسه إلى العلاء. [٣]

نستطيع أن نستنتج مما سبق بأن الإمام أحمد – وهو ما يزال طفلاً قد وضحت لنا صورته كالآتي:-

– حدد منهجه العلمي الإسلامي، آثار الرسول وسيرته والخلفاء الراشدين وسيرتهم والصحابة وسيرهم وكبار التابعين.

---

[١]) المناقب ص ٢٢٨.
[٢]) المناقب ص٢٦ ، أبو زهرة ص٢١.

[٣]) أبو زهرة ص١٧

- تجلت فيه بوضوح منذ صغره صفات الداعية الناجح علمياً وسلوكياً.
- حدد منهجه من مغريات السلطة بعدم الخضوع لها.
- شهرته بعلمه وبفضله وأدبه منذ صغره.
- بدت فيه بجلاء العلوم التي يجب على الداعية أن يتحلى بها وأن يتعلمها وهو في مرحلته الأولى من حياته فألم بعلوم الوسائل والمقاصد.

١- علوم الوسائل اللغة – بما فيها – من نحو وصرف، وأدب.

٢- علوم المقاصد حفظ القرآن – تجويده – أخذ الحديث وعلومه.

٣- اللغة الأجنبية الفارسية وهذا شيء ضروري للداعية.

- لم ينس الإدارة في حياته والاطلاع على أحوال بلده أي تفاعل الداعية مع مجتمعه فانطلق إلى الديوان ليتمرن على التحرير والكتابة وليعرف أحوال بلده وجانب الإدارة في العصر الحديث بالنسبة للداعية، كذلك جانب التفاعل مع الأحداث فأثرت هذه المرحلة ثمراً يانعاً.

المبحث الرابع : حياته الخاصة – حياته الذاتية

(المؤثر الذاتي)

كان الإمام يعيش عيشه الكفاف على غلة عقار تركه والده وعمه– كما ذكرنا ذلك آنفاً – ويظهر أن أجرة العقار الذي كان يدره عليه كان لا يكفيه فأخذ الأجرة في السنة كانت ثمانية عشر درهماً يقول محمد بن حسن بلدي: " كنت جالساً مع أبي عبدالله فجاءه بعض سُكَّانه بدرهم ونصف، فلما وقع في يده تركني وقام فدخل إلى منزله ورأيت السرور في وجهه فظننت أن كان قد أعده لحاجة مهمة[١]

وكثيراً ما كانت تضطره الحال وصحيح فيعمل بيده ليكسب أو أن يؤجر نفسه في عمل يعمله إذا انقطع به الطريق فكان يقوم بزرع الدار التي يسكنها ومن شدة ورعه كان يخرج عنها بالزكاة في كل سنة يقول الإمام أحمد " أنا أزرع هذه الدار التي

---

[١]) مناقب الإمام أحمد، لابن الجوزي ص ٢٢٥، ط١ بيروت ٧٣.

أسكنها وأخرج عليها الزكاة في كل سنة أذهب في ذلك إلى قول عمر بن الخطاب في الأرض السواد"[١] ونرى الإمام أحمد حينما وجد بأن هذا المورد لا يكفيه أخذ يجوب الأرض ويعمل ويستفتح لنفسه مواردا للرزق نجملها فيما يلي:-

١- اللقاط: كان الإمام أحمد رحمه الله يَخرج ويحمل حبله على عنقه ويذهب إلى الحقوق ويلتقط بقايا الجذور الموجودة في الأرض المباحة، وبعد أن يستأذن أصحابها يقول أبو جعفر الطرطوسي: ما نزل علي الإمام أحمد" خرج في اللقاط فجاء وقد لقط شيئاً يسيراً وقلت له قد أكلت أكثر مما لقطت فقال رأيت أمراً فاستحييت منه؛ رأيتهم يلقطون فيقوم الرجل على أربعة وكنت أزحف إذا التقطت"[٢] والإمام أحمد قد تضطره بعض الأيام إلى أن يسير مسافات طويلة من أجل الالتقاط وكان يذهب إلى (طرطوس) من أجل أن يلتقط فيقول: "خرجت إلى طرطوس على قدمين وقد كنا نخرج في اللقاط" [٣] ويضع أمامه الورع حتى في التقاط الزرع فلا يفسد على الناس زرعهم ولا يدخل حقلاً إلا إذا أستأذن أهله يقول الإمام أحمد " رأيت قوماً يفسدون مزارع الناس لا ينبغي لأحد أن يدخل مزرعة رجل إلا بإذنه"[٤]

٢- العمل: إن العمل من أجل العيش مطلوب وتلك وظيفة الإنسان في الحياة والعمل للداعية مطلوب، ومطلوب خاصة حين تعوذه النفقة ومطالب العيش لذلك نرى الإمام أحمد قد خاض مجال العمل ودخل غماره من أجل أن يحيا حياة عزيزة، ولو حياة الكفاف فاشتغل الإمام أحمد،

أ) إما في نسخ الكتب: يروى أن رجلاً من أهل الربط رأى الإمام أحمد قد انقطعت به النفقة فأراد أن يعطيه شيئاً فرفض ثم أراد أن يعطيه على سبيل القرض فرفض، قال له الإمام أحمد أليس قد سمعت معي من ابن هيثم

---

[١]) المناقب لابن الجوزي ص ٢٢٥

[٢]) المناقب ابن الجوزي ص ٢١٥.

[٣]) المرجع السابق نفسه ص ٢٢٥، طَرَطوس بفتح أوله وثانية وطاء وسين مهملتين بينهما واو ساكنة، كلمة أعجمية رومية ولا يجوز سكون الراء إلا في ضرورة الشعر وهي مدينة بثغور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم، معجم البلدان (ج٤/ ص٢٨).

[٤]) المرجع السابق نفسه، ص ٢٢٥.

سماعاً كثيراً؟ فقلت بلى، فقال: تحب أن أنسخه لك فقلت: نعم فقال لي أشتر ورقاً وجئني به فكتب به[١].

ب) وإما العمل بالحمل فوق ظهره فحينما ذهب الإمام أحمد إلى الإمام عبد الرزاق يسمع منه انقطعت به نفقته فعرض عليه أصحابه المواساة فلم يقبل منهم شيئاً فأكرى نفسه مع بعض الجمالين يقول اسحق بن راهويه: (لما خرج أحمد بن حنبل إلى عبد الرزاق انقطعت به النفقة فاكري نفسه من بعض الجماليين إلى أن وافى إلى أن وافى صنعاء) [٢].

٣- الاستقراض في حالة الضرورة: كان الإمام أحمد لا يستقرض شيئاً من أصحابه حتى أنهم كانوا يعرضون عليه المواساة، فأبي وكانت هذه صفته فلقد عرض عليه الإمامُ عبد الرزّاق بعض الدراهم فأبي وقال: " أنا بخير ولم يقبل مني"[٣] إلا أننا نرى الإمام أحمد في حالات نادرة كان يستقرض ممن يتوسم عنهم من محبيه وخيرة أصدقائه بشرط أن يكون في الحضر، ويشترط أن يكون قريب الرد لعلة –سنبينها– ومستوثق من أن المقرض أعطاه لا على سبيل العطاء ولكن على سبيل الاستقراض، ويقول إسماعيل بن أبي الحارث كان هذا شيخ مروزي فجاء إليه أحمد بن حنبل ثم خرج فقلت له في أي شيء جاءك أبو عبد الله ؟ فقال هو لي صديق وبيني وبينه أنس وتلكأ أن يخبرنا فألححنا عليه، فقال كان قد استقرض مني مائتي درهم أو ثلثمائة درهم فجاءني بها فقلت يا أبا عبدالله ما دفعتُها وأنا أنوي أن آخذها منك فقال: وأنا ما أخذتها لا وأنا أنوي أن أردها عليك"[٤] والدليل على أنه كان لا يستقرض إلا في الضرورة القصوى وفي حالات الضرورة أنه باع في يوم ما من الأيام نعله وفروته فقد قال الإمام أحمد لأحد من استقرض منه عند الضرورة (يا

---

[١] المناقب، ابن الجوزي، ص ٢٣١.

[٢] المناقب لابن الجوزي، ص٢٢٦، صنعاء منسوبة إلى جودة الصنعة في ذاتها وصنعاء موضعان أحدهما باليمن وهي العظمى وأخرى قرية بالغوطة في دمشق وفرق بين من نسب إلى هذه وهذه، معجم البلدان (جـ٣ ص ٤٢٥).

[٣] المناقب، لابن الجوزي، ص٢٣٢.

[٤] المناقب ابن الجوزي ص٢٣٢، الرَّبض بالتحريك وآخره ضاد معجمة، وهو في الأصل حرَم الشيء والرَّبض: بتشديد الراء من فتح وسكون الباء فيما يقول بعضهم: أساس المدينة والبناء، والأرابض كثيرة جداً وقلّ ما تخلو مدينة من ربض وهي بحسب ما تنسب إليه، راجع معجم البلدان، (٢٥/٣ وما بعدها).

بحر عندي لك درهم، خذ هذه النفل فإني بعثت إليك من صنعاء بالدرهم وإلا فالنعل بالدرهم أرضيت؟ قلت نعم)[1].

الفصل الثالث

وبحث في البيئة العلمية الخاصة التي نشأ فيها أحمد بن حنبل وأثرها في تكوينه وتكوين منهجه) ويشتمل على ثلاث مباحث:

المبحث الأول: اجتهاده في طلب العلم والحديث.

- **في إقليم العراق بغداد ، الكوفة، البصرة، واسط.**
- **في إقليم جزيرة العرب، الحجاز ، صنعاء ، اليمن.**
- **في أقاليم أخرى، طرطوس، الرقة والري.**

المبحث الثاني : تواضعه مع شيوخه والمشاق التي لقيها لطلب العلم.

---

[1]) المناقب، نفس المرجع السابق ص ٢٢٧.

- **تواضعه مع شيوخه.**
- **ثناء شيوخه عليه.**
- **المتاعب والمشاق التي لقيها .**
- **هدف وثمرة.**

المبحث الثالث: وفاة الإمام أحمد.

المبحث الأول: اجتهاده في طلب العلم والحديث.

المطلب الأول: اجتهاده في طلب العلم والحديث في إقليم العراق.

(١) بغداد:

لقد كانت بغداد مركزاً علمياً حافلاً بالعلماء والفقهاء والحكماء والشعراء وفيه مناهل علوم الدين واللغة والرياضة والطب والصرف والأدب[١] وترجمات لعلوم العالم كله حتى ذلك الزمان من اليونان والفرس والهند ومدرسة الإسكندرية.

وكان لابدّ لأحمد أن يقتطف منها وأن يجني ثمارها فتاقت نفسه إلى الدراسات العالية ومالت إلى التعمق في البحث والاستقصاء فيه وطلب العلم وجمعه وأخذه من مشايخه ومن مصادره سماعاً ومشافهة.- وخاصة بعد أن أتمّ وأنهي مرحلته الأولى التي تكلمنا عنها في الفصل السابق- فاتجه أول ما اتجه إلى عاصمة العلم والعلماء بغداد فإلى أي اتجاه يتجه؟ هل إلى دراسة علوم الدين؟ أو دراسة العلوم الأخرى.

إن الذي يتفق مع نشأته الأولى هي علوم الدين، ولأن الأمة كانت تكن وتعلن الاحترام الأعظم لنشر الحديث وحِلَق الفقه لأنها مدرسة الشريعة فاتجه الإمام إلى

---

[١]) أئمة المذاهب الأربعة، ص١٢٦.

مدرسة علوم الدين (الشريعة) وما تمهد له باعتبارها طريق علوم الدين كشأن ذلك العصر وكما هو المعقول في ذاته[١].

وكان على عهده مسلكان لدراسة علوم الدين:-

١- مسلك الفقهاء من أهل الرأي الذين يعنون باستخراج الفتاوى والأقضية أكثر من رواية الحديث.

٢- مسلك المحدثين الذين يعنون برواية الحديث وحفظه أكثر من استخراج الفتاوى[٢]. **فإلى أي مسلك اتجه هل إلى المسلك الأول أم إلى الثاني؟**

إنه بدا أنّ الصدارة لحلق الحديث لأنها الأصل الأول لتفسير الكتاب العزيز والأصل الأول بعد الكتاب لاستخراج الفقه وأنه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم – أما الفقه فرأي الرجال وهذا حلق الحديث الذي يتفق مع ميوله ونشأته[٣] ويظهر – لي أنه قبل أن يتجه إلى المحدثين ارتاد طريق الفقهاء الذين جمعوا بين الرأي والحديث فيروى أن أول تلقينه كان على القاضي أبي يوسف صاحب أبي حنيفة فلقد قال" أول من كتبت عنه الحديث أبو يوسف "[٤]

وأبو يوسف صاحب حديث وصاحب فقه" وليس في أصحاب الرأي أكثر حديث ولا أثبت من أبي يوسف[٥] وعلى هذا يعتبر أبو يوسف أستاذه الأول بلا منازع في ذلك وهذا ما يؤيده لنا ابن كثير فيقول: " قد كان في حداثة سنه يختلف إلى مجلس القاضي أبي يوسف ثم ترك ذلك، وأقبل على سماع الحديث"[٦]

ومن هذه الرواية نستنير أن الإمام اتجه إلى حلقة أبي يوسف منذ أن بلغ الرابعة عشر من عمره إلى السادسة عشر حي تركها– مدرسة الرأي– واتجه إلى مدرسة الحديث فيكون قد مكث فيها سنتين كاملتين.

---

[١]) ابن حنبل حياته وعصره ص٢١، لأبي زهرة.
[٢]) المجددون في الإسلام عبد المتعال الصعيدي ص ١٣١ ط ١٩٦٢.
[٣]) أحمد ابن حنبل أمام أهل السنة عبد الحليم الجندي، ص ١٣١.
[٤]) المناقبب ص٣، وأبو يوسف – عرف الأصل – جده سعد من حسبته أحد الصحابة من الأنصار، أخذ الفقه حين أخذ على أبي حنيفة، ولد سنة١١٣ هـ وتوفى سنة ١٨٣هـ، تولى القضاء لثلاثة من الخلفاء (المهدي ثم الهادي ثم هارون) ضحى الإسلام (ج٢/ ١٩٨).
[٥]) أحمد بن حنبل إمام أهل السنة ص ٤ عبد الحليم الجندي.
[٦]) البداية والنهاية جـ١٠ ص ١٣٢٥ ابن كثير.

أثر أبي يوسف في الإمام أحمد:

لا شك أن الإمام أحمد تأثر بالمدة التي قضاها في حلقة أبي يوسف فلقد تعلم فيها أهمية السنن للفقيه واطلع على منهج أبي يوسف الذي جمع بين الحديث والفقه يقول يحيى بن معين" أبو يوسف صاحب حديث وصاحب فقه وليس في أصحاب الرأي أكثر حديثا ولا أثبت من أبي يوسف"[١]

والتاريخ يسلّم لأبي يوسف بالاتجاه بمدرسة الرأي كلها إلى الحديث ففي مضمار اليسر الفقهي والاتجاه للحديث خطا أحمد أولى خطواته وتابع الخطو ليصبح تيسير تطبيق الحديث في الأحكام الفقهية خصيصته الكبرى ويصبح اليسر في الفقه كله خصيصته الأخرى[٢] وعلى ذلك يكون موقف أحمد من فقه الرأي أنه راد طريقه في صدر حياته ولم تكن حيثه نحوها بل أنه اطلع عليها لأن الاطلاع عليها أمر له ثمراته في علم الدين، لأن الخلال أخبرنا بقوله: "كان أحمد قد كتب كُتب الرأي وحفظها ثم لم يلتفت إليها"[٣]

هذا الخبر كما يقول الشيخ أبو زهرة ليس لنا أن نرده ولكننا نقبله لأنه من غير المألوف أن تكون تلك النتائج العلمية بين يديه ولا يعرفها أو يستنكرها قبل أن يطلع عليها، ولكن مع قبولنا لذلك الخبر لا نقول: إنه أطلع على كتب الرأي وحفظها في مطلع حياته بل إن إلمامه بها في غضون حياته العلمية بعد أن استمكن من علم الحديث وصار فيه الحجة الثبت الثقة[٤].

وإذا كان أبو يوسف هو أول أستاذ لأحمد إلا أنه ليس المؤثر التأثير القوي الفعّال في حياته وفرق بين أن يكون أبو يوسف أستاذه الأول وبين أن يكون المؤثر الحقيقي في حياته لأن بعض الباحثين[٥] يخلط بين أستاذية أبي يوسف لأحمد وبين أنه هو المؤثر الحقيقي فيه وبعضهم يقول أن أول أستاذ له هو هشيم والصحيح- في نظر الباحث- أن أول أستاذ له هو أبو يوسف كما جاء على لسانه والإنسان بطبيعة

---

[١] أحمد بن حنبل أمام أهل السنة ص٤٢.
[٢] المرجع السابق نفسه ص ٤٥ بتصرف
[٣] إذا فيها ص ١٤
[٤] ابن حنبل حياته وعصره آراؤه وفقهه ص٢٢ بتصرف.
[٥] يرى ذلك الأستاذ عبد الحليم الجندي في كتابه أحمد بن حنبل إمام أهل السنة، ص٤٢.

الحال لابد أن يتأثر بأستاذه وأحمد على هذا تأثر بأستاذه ولكنه لم يكن التأثير الذي يجعله يلازم مدة طويلة كما لازم فيها شيخه" هشيم". ومن الممكن أن يكون كل منهما أستاذاً أولاً له، بأن يكون أبو يوسف أستاذه الأول حينما اتجه أحمد إلى دراسة علوم الدين بالتفصيل ولكنه لم يجد فيه البغية المرجوة فيه فاتجه إلى هشيم فيعتبر أستاذه الأول الذي أثر فيه فحينما وجد الإمام أحمد بأن أصحاب الرأي منشغلين بالمناصب وهذا لا يتفق مع نشأته الأولى التي تربى عليها ويقيد من حركتهم ويقلل من زيادة طلب الحديث عندهم اتجه أحمد إلى دراسة الدعوة الإسلامية فوجد في دراسة السنة وجمع الحديث فاتجه إلى الدراسة المتعلقة بالرسول ذاته قولاً وفعلاً وتقريراً وسكوتاً –وخاصة بعد أن أتم حفظ القرآن الكريم وأتقنه وجوده فاجتمع له الكتاب والسنة وهما المصدران اللذان يعتمد عليهما الداعية في دعوته، يستخرج منهما منهجه.

يخبرنا الجاحظ عن صفة أهل الرأي فيقول" قد تجد الرجل يطلب الآثار وتأويل القرآن ويجالس الفقهاء خمسين عاماً وهو لا يعد فقهياً ولا يجعل قاضياً وما هو إلا أن ينظر في كتب أبي حنيفة ويحفظ كتب الشروط في مقدار سنة أو سنتين حتى تمر ببابه فتظن أنه من بعض العمّال وبالحري أن لا يمر عليه من الأيام إلا اليسير حتى يصيرها كما على مَصر من الأمصار" [1]

لكن مدرسة قاضي القضاة، وكتب مدرسته لتخريج القضاة والولاة كانت بالنسبة لأحمد لا شيء لأنه لا يلتمس الولايات بل يطلب ما هو أعلى وأعظم فهي كمجرد مدرسة أولية تُعدّ لدراسات أعلى في سنن الرسول عليه الصلاة والسلام وجمع أحاديث، ولأنها تتفق مع نشأته الأولى التي نشّأته عليها أمه وورثها عن فرعه، ومن هنا اتجه إلى مهمة متعلقة بالرسول صلى الله عليه وسلم ذاته لا مجرد تشريف بوظيفة من وظائف الدنيا فاتجه إلى التعمق في علوم الدين عن طريق طلب الحديث[2].

اتجاه الإمام في طلب الحديث

[1] أحمد بن حنبل أمام أهل السنة عبد الحليم الجندي ص ٤٥.
[2] المرجع السابق نفسه ص ٤٦

بعد أن نهل الإمام أحمد من فجر صباه إلى فجر شبابه من علوم الدين ومدرسة الرأي ولمّا يجد بغية في هذا اتجه إلى طلب الاستزادة من الدين وعلومه – الدعوة – عن طريق الحديث – وخاصة بعد حفظه للقرآن – وكان المحدثون في كل بقاع الأراضي الإسلامية ففي البصرة محدِّثون وفي الكوفة مثلهم وبغداد فيها الكثير منهم وبلاد الحجاز تزخر بهم وقد التقت المدائن والأمصار التقاءً علمياً في ذلك العصر[١].

وعندما اعتزم أحمد في مستهل شبابه طلب الحديث كان لابد أن يرتحل ليأخذه على علماء الأمصار الموجودة آنفاً فارتحل، ولعله أول محدّث قد جمع الأحاديث في كل الأقاليم ودونها وأن مسنده شاهد صادق الشهادة بذلك فهو قد جمع الحديث الحجازي والشامي والبصري والكوفي جمعاً متناسقاً[٢].

وأن المنطق يوجب عليه أولاً أن يتلقى حديث بغداد لأنها حاضر العلم وملتقى العلماء ثم يرحل بعد ذلك بمراكز العلم الكثيرة المنتشرة في جميع أنحاء الدولة الإسلامية على امتداد رقعتها.

يقول صاحب المناقب (ابتدأ أحمد في طلب العلم من شيوخ بغداد ثم وصل إلى الكوفة والبصرة والمدينة واليمن والشام والجزيرة) [٣].

سنه في طلبة الحديث: من المسلَّم به أن أحمد تلقى العلم من فجر صباه إلى الرابعة عشر من عمره ثم اتجه إلى حلقة أبي يوسف إلى أن بلغ السادسة عشر من عمره فأسس نفسه وأطلع وقرأ، ثم أراد التدقيق والتمحيص والتعميم والشمول والاستزادة في جميع فروع الدعوة الإسلامية من عقيدة وشريعة وأخلاق وتفسير وفقه فوجد بغيته المنشودة التي يستطيع عن طريقها أن يجمع بين عناصر الدين في جميع أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم من أماكنها الموجودة فيها ومن أفواه أصحابها إلى ذلك وكان سنه آنذاك ست عشرة سنة ومن البديهي أن يطلب الحديث من حاضرة العالم الإسلامي العلمية وحاضرة العراق فاتجه إلى طلب الحديث.

---

[١] ابن حنبل حياته وعصره، ص ٢٣، محمد أبو زهرة، بتصرف.
[٢] المرجع السابق نفسه ص ٢٣ بتصرف.
[٣] المناقب ص ٢٢

(١) في بغداد:-

طلب الإمام أحمد الحديث فيها وسمع من شيخها هشيم فيقول: (طلبت العلم وأنا ابن ست عشرة سنة، وأول سماعي من هشيم سنة تسع وسبعين) [١] ومكث في بغداد من سنة تسعة وسبعون ومائة إلى سنة ستة وثمانون ومائة أي حوالي سبع سنوات يأخذ من شيوخ الحديث فيها ويكتب كل ما يسمع، لقد قصر أحمد نفسه في هذه السنوات السبع على حديث علماء بغداد وما يحفظون من فتاوى مأثورة وأقضية الصحابة والتابعين في أبواب الفقه[٢].

وأنه من المقرر أن الناشئ لا يبتدئ العلم يلقّف من هنا وهناك، بل هو يلزم عالماً من العلماء زمناً طويلاً أو قصيراً حتى يتخرج عليه، حتى إذا شدأ وترعرع التقف من الثمرات كل ما يصل إلى يده، وكذلك كان أحمد -رضي الله عنه- قد اتجه إلى طلب الحديث وفقه الآثار منذ بلغ السادسة عشر ولكنه لم يترك نفسه للمنازع العلمية المختلفة من غيرها يهتدي به، بل لزم إماماً من أئمة الحديث وعلم الآثار في بغداد، واستمر يلازمه نحو أربع سنوات فلم يتركه حتى بلغ العشرين من عمره ذلك هو الإمام هشيم بن بشير بن حازم الواسطى المتوفى سنة ثلاث وثمانين ومائة من الهجرة وقد روى أحمد خبر تلك الملازمة ومدتها فيقول: (طلبت الحديث وأنا ابن ست عشرة سنة، ومات هشيم وأنا ابن عشرين سنة، وأول سماعي من هشيم سنة تسع وسبعين) [٣].

أثره بهشيم:-

ولقد تأثر أحمد في هذه الفترة بابن هشيم وكتب عنه كتاب الحج وبعض التفسير وكتاب القضاء وكتباً صغاراً يتولى الفضل بن الإمام أحمد قال أبي : (كتبت عن هشيم سنة سبع وسبعين ولم أعقل بعد سماعي ولزمته سنة ثمانين وإحدى وثمانين واثنين وثلاث ومات ابن هشيم في ثلاث وثمانين، كتبنا عنه كتاب الحج نحواً من ألف حديث وبعض التفسير وكتاب القضاء وكتباً صغاراً قال - أي الفضل- قلت

---

[١]) المناقب ص ٢٣
[٢]) ابن حنبل ص ٢٤ بتصرف أبو زهرة
[٣]) الحلية جـ٩ ص ١٦١ أبو نعيم.

يكون ثلاثة آلاف حديث قال- أي الإمام أحمد – أكثر) [1]. كما أخذ عليه كتاب" الجنائز والمناسك " [2]

وأن الناظر لهذه الرواية ليجد أن الإمام أحمد قال كتبت عن هشيم سنة سبع وسبعين وهذا يتعارض مع الرواية الأولى حيث ذكرت أن الإمام أحمد قال بأنه كتب عن هشيم سنة تسعة وسبعين والأظهر – والله أعلم- أن أبا نعيم ربما يكون أخطأ في نقل السنة أو هو خطأ مطبعي، وعلى فرض صحة الروايتين يعطينا بأن الإمام أحمد لازم هشيماً من سنة سبعة وسبعين بدليل أن قال (ولم أعقل بعد سماعي) ثم لزمه من سنة تسعة وسبعين، ويمكن الجمع بين الروايتين بأن الإمام اتجه إليه سنة سبع وسبعين إلى سنة تسع وسبعين ومائة على فترات متقطعة ولم يكتب ثم لازمه من سنة تسع وسبعين وكتب عنه لأن أبا نعيم نقل لنا الروايتين وتعطينا أيضاً بأن الإمام كان ينطلق في آن واحد إلى مجلس هشيم وإلى مجلس أبي يوسف من سنة سبع وسبعين إلى سنة تسع وسبعين ومائة ثم اتجه كلية إلى هشيم ولزمه وكتب عنه.

ولم تكن تلك الملازمة لشيخه هشيم تامة أي أنه لم ينقطع له انقطاعاً تاماً ولم يتصل بغيره في مدى أربع سنوات بل كان يتلقى عن غيره أحياناً، ويحضر بعض مجالس سواه فيروى أنه سمع أيضاً من على بن هاشم بن البريد سنة تسع وسبعين ومائة يقول عبد ا لله قال أبي: (سمعت من على بن هاشم سنة تسع وسبعين في أول سنة طلبت الحديث ثم عدت إليه المجلس الآخر وقد مات وهي السنة التي مات فيها أنس بن مالك) [3].

ولقد سمع أيضاً في هذه الأثناء من عبد الرحمن بن محمد فيروى أنه قال " قدم علينا عبد الرحمن بن مهدي سنة ثمانين، وقد خضب وهو ابن خمس وأربعين سنة وكنت أراه في المسجد"[4]

---

[1]) الحلية جـ ٩ ص ١٦٣ أبو نعيم
[2]) المناقب ص ٤٠
[3]) ت بغداد جـ٤ ص ٤٢٣
[4]) ابن حنبل ص ٢٥

ويروى أنه سمع أيضاً من " عبد المؤمن بن عبد الله بن خالد بن الحسن العبس سنة اثنين وثمانين قبل موت هشيم"[1]

وبعد موت هشيم أخذ أحمد يتلقى العلم والحديث حيثما وجده وحيثما كان ومكث ببغداد نحو ثلاث سنوات يأخذ من شيوخها بجد ودأب من غير أن يخص أحداً بفضل ملازمة دون غيره كما كان شأنه مع هشيم إذا كان قد بلغ العشرين عاماً أو قاربها عند موت هشيم فاستوى عودُه واستقام على الجادة وسار في طلب الحديث في دأب وجد وعزم صادق.

ونجمل ما سبق كله فيما يأتي:-

- المكان الذي أخذ فيه الحديث والعلم هو بغداد.
- سنُّه سَنَةَ أخذه الحديث والعلم فيها سنة تسع وسبعين وكان سنه ست عشرة سنة.
- المدة التي قضاها فيها سبع سنوات.

تنقسم كالآتي :

- أربع سنوات لزم فيها هشيماً والملازمة ضرورية للداعية لتأسيس نفسه ولبناء منهجه ثلاث سنوات مع غيره.

***العلم الذي استفاده:**

١- من هشيم علم الحديث- علم الآثار أكثر من ثلاثة آلاف حديث كتب عنه كتاب الحج – بعض التفسير –كتاب القضاء- كتباً صغاراً لا ندري ماذا فيها – كتاب الجنائز – كتاب المناسك.

٢- من غيره يهيأ لي – والله أعلم – حيث لم تذكر الروايات نوعية العلم الذي استفاده – علم الحديث وما يتصل به.

***شيوخه في هذه الفترة: كثيرون ذكروا لنا الروايات بعضاً منهم:**

---

[1]) المناقب ص ٢٥

١- هشيم بن بشير.

٢- على بن هاشم بن البريد.

٣- عبد الرحمن بن محمد .

٤- عبد المؤمن بن عبد الله بن خالد.

تأثير هذه الفترة في تكوينه وتكوين منهجه:-

وتعتبر هذه الفترة بالنسبة لأحمد فترة تضلع وتمكن وزاده على هذا التضلع والتمكن حباً في الاستزادة مما جعله يقوم برحلات خارج بغداد إلى أقاليم العراق المختلفة.

٢) الكوفة :-

إن الإمام أحمد زيادة منه في حب أحاديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ورغبة في الاستزادة من علمه وزيادة في صلته بالله ارتحل في سبيل جمع الأحاديث لجمع الأمة على منهج واحد ومن أجل هذا استعذب الرحلات في سبيل العلم والحصول عليه فارتحل إلى الكوفة لطلب العلم فيها ولقد لقي المشقة في هذه الرحلة على الرغم من قربها من بغداد فيخبرنا عن تلك المشقة فيقول (فكنت في بيت تحت رأسي لبنة فحممت) [١].

ولكن المشقة تهون ويستعذب التعب في سبيل التلقي على محدثها العظيم وكيع بن الجراح يقول يحيي بن معين : (كان بالعراق أربعة من الحفاظ شيخان وكهلان أما الشيخان فهشيم ويزيد بن ذريع وأما الكهلان فوكيع ويزيد بن هارون) [٢] وعلى الأربعة تعلم أحمد.

لقد أخذ الخير كله واستأثر بالفضل وحده وجمع أحاديث العراق كلها عن طريق حفاظها الأربعة. أخذ العلم في الكوفة عن وكيع بن الجراح وهو رابع الأربعة وفيه جماع مزاياهم وهو يعلم العلم والورع معاً فتأثر أحمد بهما وكان أستاذه يحييه

---

[١])المناقب ص٢٦، والكوفة بالضم: المَصر المشهور بأرض بابل من سواد العراق ويسميها قوم خد العذراء وقال ابن عباس: كانت منازل أهل الكوفة قبل أن تبنى أخصاصاً من قصب إذا مع غزوا قلعوا وتصدقوا بها معجم اللبدان (٤/ ٤٩٠).

[٢]) أحمد بن حنبل أمام أهل السنة ص ٤٨

ويثني عليه خيراً فيقول: (ما قدم الكوفة مثل أحمد بن حنبل) [1] ومن شدة حب شيخه له وحرص أحمد على طلب العلم منه، أن شيخه بعد أن يلقي درسه كان يأخذه في العتمة ويلقنه درساً خاصة له، وفي ذات مرة وقف الإمام: أحمد مع شيخه يطلب العلم منه في العتمة إلى أن أذن الفجر يقول قتيبة بن سعيد (كان وكيع إذا كانت العتمة ينصرف معه أحمد بن حنبل فيقف على الباب فيذاكره فأخذ وكيع ليلة بعضادتي الباب ثم قال أريد أن ألقي عليك حديث سفيان قال هات قال: تحفظ عن سفيان عن سلمة بن كهيل كذا؟ قال نعم حدثنا يحيى فيقول سلمه كذا وكذا؟ فيقول حدثنا عبد الرحمن فيقول كذا وكذا ؟ وعن سلمة كذا وكذا ؟ فيقول أنت حدثتنا حتى يفرغ بن سلمة، ثم يقول أحمد فتحفظ عن سلمة كذا وكذا فيقول وكيع لا. ثم يأخذه في حديث شيخٍ شَيخٍ قال: فلم يزل قائماً حتى جاءت الجارية فقالت: قد طلع الكوكب أو قالت الزهرة) [2].

ولقد ارتحل الإمام إلى الكوفة في سنة ثلاث وثمانين يقول هو بنفسه (مات هشيم سنة ثلاث وثمانين وخرجت إلى الكوفة في تلك الأيام)[3].

ولربما تعددت زيارته لها بعد ذلك حتى في أخريات حياته فلقد روى ابن منيع سمعت جدي يقول (مرّ أحمد بن حنبل جائياً من الكوفة وبيده خريطة فيها كتب فأخذت بيده فقلت مرة إلى الكوفة ومرة إلى البصرة إلى متى؟ إذا كتب الرجل ثلاثين ألف حديث لم يكفه؟ فسكت ثم قلت: ستين ألف فسكت فقلت مائة ألف فقال حينئذ يعرف شيئاً قال أحمد بن منيع فنظرنا فإذا أحمد كتب ثلاثمائة ألف عن بهز ابن أشد وعفان وأظنه قال وروح بن عبادة"[4].

أثر ارتحاله إلى الكوفة في تكوينه:

١- الجد والمشقة في طلب العلم.

٢- السهر حتى الصباح في مذاكراته.

---

[1]) المرجع السابق نفسه ص ٤٨
[2]) تاريخ الإسلام للذهبي، ص ١٤.
[3]) المرجع السابق، ص ١٤.
[4]) المناقب ص٢٩.

٣- أخذ العلم والورع تأثراً بشيخه.

٤- اختياره لكبار محفظي العراق الأربعة.

٣) البصرة:

لقد ارتحل الإمام أحمد خمس رحلات إلى البصرة سنة ست وثمانين ومائة مرتين ليأخذ العلم عن فحول المحدثين فيها، وفطاحل اللغة من علمائها.

وأخذ العلم من سليمان بن حرب وأبي النعمان بن عارم وأقام عند يحيي بن سعيد القطان أشهرا ستة إمام أهل البصرة وكذلك يزيد بن ذريع – كما ذكرنا ذلك آنفا– يقول الإمام أحمد (دخلت البصرة خمس دخلات دخلتها في أول رجب سنة ست وثمانين ومائة مرتين – سمعت من المعتمر بن سليمان ودخلت الثانية في سنة تسعين ومائة ودخلت الثالثة سنة أربع وتسعين، وقد مات غندر فأقمت على يحيي بن سعيد ستة أشهر ودخلت سنة مائتين) [١].

ولقد بايع محدث البصرة الكبير– يحيي بن سعيد – الإمام أحمد وهو لم يبلغ الثالثة والعشرين بعد فلقد سأل عن الإمام أحمد فقيل له خرج إلى واسط فقال أي شيء يصنع بواسط قالوا مقيم على يزيد بن هارون– قال وأي شيء يصنع عند يزيد بن هارون ؟ قال أبو عبد الرحمن وهو أعلم منه [٢].

ومن هو يزيد بن هارون؟

وهكذا يقيم الإمام أحمد عند محدث البصرة الكبير– يحيى بن سعيد– ستة أشهر كاملة ينهل من علمه ليل نهار والحديث متناً وإسناداً ولغةً وفقهاً وسلوكاً وعملاً.

ولقد تأثر الإمام أحمد تأثيراً كبيراً بريحان البصرة الحافظ الكبير– يزيد بن ذريع فتأثر به في زهده وورعه والاعتماد على النفس وترك شهوات الحياة وأكل الإنسان من عمل يده فوق ما تأثر به من علمه.

---

[١]) المناقب ص ٢٧

[٢]) المرجع السابق نفسه ص ٢٧.

يروى بأن يزيد بن ذريع ورث عن أبيه أربعين بدره قيمتها خمسمائة ألف درهم – وكان والياً على الأيلة فلم يأخذه منها شيئاً وآثر أنه يأكل من عمل الخوص بيده.

(وكان ممن أخذ عنهم في البصرة أيضاً عبد الرحمن مهدي– أبو داود الطيالسي وأبو عاصم النبيل وآخرون عندهم علم كثير) [1]

وهكذا يدخل الإمام أحمد البصرة وتردد عليها خمس مرات حباً فيها لأنها موطنه الأول وإيماناً منه بكثرة علمائها وعلمها وخاصة فطاحل اللغة فيها وهكذا تسنى لأحمد أن يتلقى فيها عن مشايخ كثيرين، وأن يخرج بحصيلة نافعة في العلم والحديث واللغة والسلوك والزهد والورع.

ونستطيع أن نوجز ونلخص ما كتبناه في نقاط:

- المكان الذي تلقى فيه العلم – البصرة.
- سنة تلقيه العلم فيه خمس رحلات سنة ١٨٦ مرتين وسنة تسعين، وسنة أربع وعشرين وسنة مائتين.
- المدة التي قضاها مدداً متفاوتة إلا أنه قام عند يحيي بن سعيد ستة أشهر متواصلة.
- العلم الذي أخذه:

١- اللغة بكل فروعها. ٢– الحديث وعلومه.

٣–الزهد والورع.

- شيوخه فيها كثيرون منهم:–

** سليمان بن حرب . ** أبي النعمان عارم. ** يحيى بن سعيد.

** يزيد بن ذريع ** المعتمر بن سليمان. **وآخرون كثيرون**

تأثره بهذه الرحلات:–

- فوق ما سبق من علم.

---

[1]) أحمد بن حنبل إمام أهل السنة ص ٥١.

- الاعتماد على النفس. - الأكل من عمل اليد.
- ترك شهوات الحياة، **وهذه صفات ضرورية للداعية.**

ومن البصرة انتقل إلى:-

- **عبادان:** وارتحل إلى عبادان ليكتب عن محدثها وعالمها الكبير أبي الربيع ما عنده من أحاديث يقول: (دخلت عبادان سنة ست وثمانين في العشر الأواخر وكنت رحلت إلى المعتمر تلك السنة وكان بها رجل يتكلم وكان بها أبو الربيع وكتب عنه) [١].

٤) واسط [٢]

ثم انطلق الإمام أحمد إلى رابع الأربعة التي كانت لهم الزعامة الفكرية والعلمية والحفظ في إقليم العراق وهو الإمام يزيد بن هارون – أحفظ الأربعة إسناداً للحديث وأهيب الأربعة عند الخلفاء يهيبونه ويخشون بأسه ويقدرون مقامه ومركزه يروى بأن قاضي قضاة المأمون – يحيى بن أكثم قال لنا المأمون: لولا مكانة يزيد بن هارون لأظهرت القول بخلق القرآن وهكذا تأثر الإمام أحمد بشيخه يزيد فيأخذ عنه ويتعلم منه المهابة – وشدة البأس عند الحق– والوقوف بحزم وشده في وجه الطغيان، ويأخذ منه الحديث وخاصة من جهة إسناده فيزيد يقول عن نفسه" حفظ أربعة وعشرين ألف حديث إسناداً ولا فخر"[٣] وعلى الرغم من هذا شهد إمام أهل البصرة يحيى بن سعيد لأحمد وهو لم يتجاوز الثالثة والعشرين من سنه بعد وتعجبه من ذهابه إلى يزيد حيث يقول حينما علم بذهاب أحمد إليه " وأي شيء يصنع عند يزيد بن هارون ؟ قال أبو عبد الرحمان هو أعلم منه[٤]

ولقد وقع ما توقعه له يحيي بن سعيد فيروى أن يزيد قام بعمل اختبار لأحمد فنجح فيه ونزل الشيخ على رأي تلميذه.

---

[١] المناقب ص ٢٦

[٢] واسط: في عدة مواضع: أولها واسط الحجاج، أعظمها وأشهرها فأما تسميتها فلأنها متوسطة بين البصرة والكوفة، وواسط الحجاز وواسط الجزيرة، وواسط اليمامة": انظر معجم البلدان، (٣٤٨/٥*

[٣] أحمد بن حنبل إمام أهل السنة ص ٤٧

[٤] المناقب ص ٢٧.

نجاح التلميذ في الاختبار ورجوع الأستاذ إلى رأي تلميذه:-

لقد سأل يزيد مرة تلميذه أحمد عن العارية فوجد أحمد الجواب في الحديث نفسه سأله يزيد عن العارية وضمان ردها قال أحمد: العارية مؤداة فقال يزيد أخبرنا الحجاج عن الحكم قال ليست بمضمونة فقال أحمد – استعار النبي صلى الله عليه وسلم من صفوان بن أمية درعاً فقال له صفوان عارية مؤداة – فقال عليه الصلاة والسلام (العارية مؤداه)[1] فسكت الأستاذ وصار إلى قول تلميذه.

ننظر هنا إلى الأستاذ حينما يقول أخبرنا الحجاج عن الحكم وننظر إلى أحمد التلميذ حينما يقول قال عليه الصلاة والسلام والأستاذ والتلميذ مع الحق أينما كان وخاصة ويزيد عالم حديث وأحمد يطلبه فالإنسان مع الحقيقة والحق أينما وجدت وهذه قاعدة مهمة يجب على الدعاة أن يطبقوها لا يتأثرون بأي مؤثرات داخلية أو خارجية ولا بأشخاص وأفكار ولكن لديهم ميزاتهم الذي يزنون به كل شيء وهو الكتاب والسنة.

ورجوع يزيد إلى قول الرسول الذي أخبر به أحمد هذا لا عيب فيه فمن الممكن أنه لم يطلع على هذا الحديث وهذه تعطينا فائدة – رجوع الإنسان إلى الحق لا عيب فيه ولا يؤثر على ذاته ولا يضفي على شخصيته عيباً، ولو سار الباحثون وطلاب المعرفة على هذه القاعدة لتقدم العلم وازدهرت المعرفة لأن بعضهم يضفي علمه على شخصيته أي يربط بين الاثنين فإذا ما اتضح أن جانبه الصواب في شيء إذا به يعيش في ضيق وكرب لأن شخصيته اهتزت ومكانته زعزعت والحقيقة لا. لأن هناك فرقاً بين الوصول إلى المعرفة وطلب الحقيقة وبين إضفائها على الذات وبالعكس إذاً علم الإنسان الحقيقة استراح باله واطمأن قلبه وازداد معرفة، وهذا مما يزيد من مكانته ومركزه ومن الجائز – أن الإمام يزيد يعرف هذا الحديث ولكنه يريد أن يصل لمعرفة درجة تركيز تلميذه ومبلغ علمه ولكن يشتم من الرواية غير ذلك حيث تقول فسكت يزيد وصار إلى قول تلميذه.

وهكذا يتأثر أحمد بزيد بقوة علمه وشخصيته وعظم مكانته ومركزه لا يهاب في الله سلطة ولا قوة ولا سلطاناً واستفاد منه علم الإسناد أيضاً.

---

[1]) المناقب ص ٦٧.

المطلب الثاني: اجتهاد في طلب العلم والحديث في إقليم جزيرة العرب:

لقد ارتحل الإمام أحمد إلى المركز الأول– في عصره – الذي يشع منه نور الحضارة والمعرفة فارتحل بين بلاد إقليم العراق– بغداد – الكوفة – البصرة – عبادان وواسط – وقابل فيها فطاحل علمائها في الحديث واللغة والزهد والورع وبعد أن اطمأن على أنه ألم بعلم هؤلاء وأطلع على اتجاهاتهم ومناهجهم ومناهج تفكيرهم فنهل منهم ما نهل وتأثر ما تأثر – أراد أن يطلب الاستزادة من العلم فاجتهد وشد رحاله إلى المركز الثاني من مراكز المعرفة والعلم– في عصره– فارتحل إلى إقليم الجزية فكان أول ارتحاله إلى:–

١–الحجاز:– لقد ارتحل أحمد إلى الحجاز مثوى رسول اله صلى الله عليه وسلم ليحج ويعتمر ويجاور فلقد ورد أنه حج خمس حجات يقول ابنه صالح " قال حججت خمس حج ثلاث منهن راجلاً أنفقت في أحداهن ثلاثين درهماً"[١]

ولقد ارتحل لهذه البلاد مع بداية عام سبع وثمانين ومائة ولقد ورد أول حجة حجها سنة سبع وثمانين ومانئة ثم سنة إحدى وتسعين ثم سنة ست وتسعين وجاور في سنة سبع وتسعين ثم حج في سنة ثمانية وتسعين وجاور إلى سنة تسع وتسعين"[٢]

وكان أحمد ينتهز هذه الفرصة ويطلب فيها أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم والعلم فقد التقى أثناء رحلاته إلى الحجاز – مكة والمدينة – بسفيان ابن عينيه والشافعي. [٣].

مع سفيان بن عينية:–

لقد التقى الإمام أحمد مع عالم مكة وحجتها في الحديث وعلومه فأخذ عنه ولازمه يقول عنه الإمام أحمد: (فاتني مالك فأخلف الله عليّ سفيان بن عينية وفاتني حماد

---

[١] تهذيب الأسماء واللغات (جـ ١/ ص١١٠)، حجاز قال الأصمعي: الحجاز اثنتا عشرة داراً المدينة وخيبر وفدك وذو المروة ودار بلى ودار أشجع ودار مزينة ودار جهينة ونفر بن هوازن وجل سليم وجل هلال وظهر مرة ليلي، ومما يلي الشام شغب ويدا، معجم البلدان (٢١٩/٢).

[٢] البداية والنهاية لابن كثير، (جـ١٠/ ص ٣٢٥)

[٣] مكة بيت الله الحرام، وسميت بمكة لازدحام الناس بها ويقال مكة اسم المدينة وبكة اسم البيت، معجم البلدان (١٨٠/٥). المدينة المنورة: وهي مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، وهي في حرة سبخة الأرض ولها نخيل كثير ومياه، ونخيلهم وزروعهم تسقى من الآبار عليها العبيد، وللمدينة سور، والمسجد في نحو وسطها وقبر النبي صلى الله عليه وسلم في شرقي المسجد، معجم البلدان، (٨٢/٥)

بن زيد فاخلف الله على إسماعيل بن علية) [1] تفصح معي قوله فاتني فأخلف الله علي بسفيان تجد أن مالكاً صاحب فقه الأثر فمنَّ الله على الإمام أحمد بخليفته وزاده بأن جمع له من سفيان الحديث وفقه الأثر، وهكذا تأثر الإمام أحمد تأثراً مباشراً بمدرسة مكة والمدينة في فقه الأثر وحديثها.

مع الإمام الشافعي:-

كان الإمام أحمد ذات يوم يدور بين حلق المسجد الحرام، فإذا بحلقة يتوسطها فتى في الثلاثينيات من حياته، وهو لا يتحدث كالمحدثين الذين أَلِفهم أحمد وإنما يتكلم في الفقه الذي لا تفيض حِلَقُهم ولا يتكلم كهيئة أصحاب الآراء الذين دانت بغداد لهم، ونفر أحمد منهم، ولكن كهيئة أصحاب الحديث بالقرآن والسنة يغلغل النظر في نصوصيهما ويستخرج الحكم من أصولهم بالاستنباط العميق والاستدلال الدقيق، كل أولئك مع إحاطة بفقه الدين واللغة، لم يشهد أحمد لهما في كل تطوافه العقلي أو الفكري طائر [2]

وصاحب الحلقة عليم بكتب الرأي كمثل أحمد وعليم بحديث مكة والمدينة الذي يقصده أحمد، وله الحجج القاهرة لأهل الأهواء والمتكلمين وفي أقواله تصويبات لأقوال مدرسة أبي حنيفة بل ومدرسة المدينة وغيرها"[3]

وألم أحمد باتجاهات وآراء الإمام الثالث للمسلمين ليبلُغ بالعلم أوجاً آخر بتوسيع دائرة تلقي الحديث ثم العمل به ولينتهي بطريقته وأصوله إلى تحقيق الغاية التي أعلنها الشافعي- أنه ليس ينزل بالمسلمين نازلة إلا وفي كتاب الله حكم لها وعلى المجتهد طلبه.

ولقد استطاع أحمد أن يحفظها باستقلاله عن الشافعي ذاته مع إعجابه به ليقدم للمسلمين طريقة جديدة يتمثل فيها الإبراز العلمي والعملي للتعويل على السنة.

---

[1] المناقب ابن الجوزي ص ٣١.
[2] أحمد بن حنبل أمام أهل السنة عبدالحليم الجندي ص ٦٥
[3] نفس المرجع السابق عبد الحليم الجندي ص ٦٦.

ولقد خرج الشافعي من مكة إلى بغداد في سنة ثمان وتسعين ومائة ليقيم شهراً فيها ثم يبرحها سنة تسعة وتسعين ومائة إلى الفسطاط، وكان الشافعي سنة خمسة وتسعين ومائة قد مد من إقامته بالعراق عامين فهذه بضع عشرة سنة جلس في أثنائها أحمد إلى الشافعي سنوات متصلة أو دورات منفصلة في جوار زمزم بمكة أو دار السلام ببغداد[١]

ولقد تأثر الإمام أحمد الشافعي فأخذ عنه عند التخريج الفقهي وأصول الاستنباط ومنهجه وبذلك يكون أحمد محدثاً وفقيهاً معاً[٢]

ونستطيع أن نلخص حصيلة أحمد من لقائه بشيوخه في الحجاز كالآتي:-

- **المدة التي مكثها مع الشافعي أحد عشر سنة.**
- **المدة التي جلسها مع سفيان بن عينية خمس سنين.**
- **علمه الذي حصله:-**

أطلع على اتجاه أهل المدينة في الفقه – فقه الإمام مالك- ثم حديث سفيان.

أطلع على منهج الإمام الشافعي في الفقه والحديث ومنهج استنباطه وأصوله.

(٢)صنعاء:-

وارتحل الإمام أحمد ليكمل جولته في الإطلاع على مناهج الصفوة المختارة من المحدثين فاتجه هو وزميله يحيى بن معين إلى محدث صنعاء عبد الرزاق بن همّام فكتب عنه سبعين حديثاً يقول الإمام أحمد (ما كتبنا عن عبد الرزاق من حفظه إلا المجلس الأول وذلك أنا دخلنا بالليل فوجدناه في موضع جالساً فأملى علينا سبعين حديثاً ثم التفت إلى القول فقال لولا هذا ما حدثتكم"[٣]

ولقد لازم الإمام أحمد شيخه سنتين كاملتين يقول عبد الرزاق قدم علينا أحمد بن حنبل ها هنا فأقام سنتين [٤]

---

[١] أحمد بن حنبل إمام أهل السنة، عبد الحليم الجندي، ص٦٦.
[٢] أحمد بن حنبل حياته وعصره، محمد أبو زهرة، ص ٣٢
[٣] حلية الأولياء جـ٩ ص ١٨٥
[٤] المناقب ص ٢٢٦

هكذا يسبق خبر أحمد وورعه وجِده في طلب الحديث إلى عبد الرزاق فيكِن القوم من أجله، لذا نرى إمام صنعاء يقول في أحمد (ما رأيت أفقه من أحمد بن حنبل ولا أورع) [١]

ولقد تأثر الإمام أحمد بشيخه تأثراً بالغاً حيث أخذ منه منهجاً علمياً في التدريس وهو أن الإمام عبد الرزاق كان لا يحدث من حفظه بل كان يراجع في صحف مكتوبة وأصبح أحمد هو الآخر لا يحدث من حفظه وإنما يحدث من كتاب واتخذ هذا منهجاً له أثناء تدريسه لتلاميذه.

٣) اليمن:-

وفي سبيل استعذاب طلب العلم ارتحل أحمد إلى اليمن ماشياً كما يقول ابنه عبد الله (خرج أبي إلى اليمن ماشياً) [٢]

ليستمع من محدثها إبراهيم بن عقيل فيخبرنا عما وجده من مصاعب وآلام وعسر في سبيل لقائه مع شيخه فيقول: (ذهبت إلى إبراهيم بن عقيل وكان عسراً لا يوصل إليه فأقمت على بابه يوماً أو يومين حتى وصلت إليه، فحدثني بحديثين وكان عنده أحاديث عن جابر فلم أقدر أن أسمعها من عسره ولم يحدثنا بها إسماعيل بن عبد الكريم لأنه كان حياً) [٣]

وهكذا تحمل أحمد المشقة والتعب والسفر والسير على قدمه من أجل أن يتلقى حديثين من أحاديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

المطلب الثالث: اجتهاده في طلب العلم والحديث في أقاليم أخرى:-

لقد ارتحل الإمام أحمد في سبيل طلب العلم إلى مراكز العلم الأساسية المنتشرة في أنحاء الدولة الإسلامية، فما ترك مركزاً منها ولا بلداً سمع عنها أو محدثاً سمع عنه إلا ارتحل إليه طلباً للاستزادة من علمه مستعذباً المشقة في سبيل الله طالباً

---

[١] أحمد بن حنبل إمام أهل السنة، الجندي ص ٥٦.
[٢] المناقب ص ٣٢
[٣] المناقب ص ٥٩

الجزاء والثواب من الله وحده، ولتحقيق بغيته وللوصول إلى هدفه في جمع أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم – بقدر الإمكان– من أجل ذلك تراه قد أرتحل إلى:

(١) طرطوس:–

ذهب الإمام أحمد إلى طرطوس ماشياً ليتلقى العلم والحديث من علمائها يقول عبد الله (خرج أبي إلى طرطوس ماشياً على قدميه) [١]

وأن يطلب العلم – وكذلك خرج إلى:

(٢)الرقة:–

كذلك ارتحل الإمام إلى الرقة ليأخذ الحديث من عالمها فياض بن محمد بن سنان يقول أحمد: (ما رأيت في الرقة أفضل من فياض بن محمد بن سنان مولى قريش– ومنزله ملاصق مسجد الجامع مات بالرقة بعد المائتين) [٢].

(٣)الري:–

كذلك ارتحل الإمام أحمد إلى الري ليتلقى الحديث والعلم من محدثها وعالمها جرير بن عبد الحميد ولطالما تمنى هو ذلك لأنه كان لا يملك نفقة الذهاب إليه يقول هو عن ذلك (لو كان عندي خمسون درهماً كنت قد خرجت إلى الري إلى جرير بن عبد الحميد يخرج بعض أصحابنا ولم يمكني الخروج لأنه لم يكن عندي شيء) [٣] إلا أنه بعد أن تيسر له الحال ارتحل إليه وسمع منه ولكن لم يكثر عنه يقول صاحب المناقب (قد سمع أحمد من جرير إلا أنه لم يتفق له الإكثار عليه)[٤]

ولقد ارتحل الإمام أحمد إلى بلاد كثيرة التي هي مظنة العلم والعلماء وسمع من شيوخ كثيرين ذكرهم صاحب المناقب[٥] تفصيلياً ورتب أسماءهم على حسب الحروف الهجائية– ولقد أحصاها الطالب منه فوجدها خمس وأربعمائة شيخ وأخذ عن امرأة

---

[١] مناقب الإمام أحمد بن حنبل ص ٢٨.
[٢] المناقب ص ٣١
[٣] المناقب ص ٢٦
[٤] المناقب ص ٢٧
[٥] أنظر أسماء مشايخه تفصيلياً المناقب من ص ٣٣: ٥٦.

واحدة [1] فيكون مجموع مشايخه الذين أخذ عنهم العلم ست وأربعمائة شيخ على مدار أربعة وعشرين عاماً من سن السادسة عشر من عمره إلى سن الأربعين.

ويلخص لنا صاحب طبقات الحفاظ حياة الإمام من ولادته إلى طلبه للعلم والبلاد التي طوّف بها ومشايخه إلى جلوسه للتدريس فيقول: (ولد الإمام أحمد ببغداد في ربيع الأول سنة ١٦٤هـ ونشأ بها وطلب الحديث سنة تسعة وسبعين ومائة وطاف بالبلاد ودخل الكوفة والبصرة والحجاز والشام والجزيرة في طلب العلم وروى عن إبراهيم بن سعد وإسماعيل بن علية، وبهز بن أسد وبشر بن المفضل.. وخلائق"[2]

وكذلك يذكرنا صاحب تاريخ بغداد ذلك فيقول: (قدمت أمه بغداد وهي حامل فولدته ونشأ بها طلب العلم وسمع الحديث من شيوخها ثم رحل إلى الكوفة والبصرة ومكة والمدينة واليمن والشام والجزيرة وكتب عن علماء ذلك العصر وسمع عن إسماعيل بن علية وهشيم بن بشير وحماد بن خالد الخياط ومنصور بن سلمه الخزاعي والمظفر بن مدرك وعثمان بن عمر بن فارس وأبي النصر هاشم بن القاسم وأبي سعيد مولى بني هاشم ومحمد بن يزيد بن هارون الواسطيين ومحمد بن أبي غدي ومحمد بن جعفر غندر ويحيي بن سعد القطّان وعبد الرحمن ابن مهدي وبشر بن المفضل ومحمد بن بكر الرسَافي وأبي داود الطيالسي وروح ابن عباده ووكيع بن الجراح وأبي معه الضرير وعبد الله بن نمير وأبي أسامة وسفيان بن عيينة ويحيي بن سليم الطائفي ومحمد بن إدريس الشافعي وإبراهيم بن سعد الزهري وعبد الرزاق بن همّام وأبي قرة موسى بن طارق والوليد بن مسلم وأبي مسهر الدمشقي وأبي اليمان وعلي بن عباس وبشر بن شعيب بن أبي حمزة الحمصيين وخلق سوى هؤلاء"[3].

المبحث الثاني: تواضعه مع شيوخه والمتاعب التي لقيها في رحلاته لطلب العلم:

(١) تواضعه وتأدبه مع شيوخه:

---

[1]) أم عمر بنت حسان بن زيد الثقفي المناقب ص ٥٤.
[2]) جـ ص ١٨٦
[3]) جـ ص ٤١٢

إن التواضع شيم الأنبياء وصفة الأنقياء وزينة العلماء وطريق لطلب العلم والمعرفة – لذا وجب أن يتحلى بها كل إنسان وخاصة الداعية. سئل الإمام أحمد يوماً عن أفضل الأعمال فقال: (طلب العلم لمن صحت نيته فيسأل تلميذه وأين تصح النية فيجيب ينوى أن يتواضع فيه وينفي عنه الجهل) [١].

من منطلق التواضع والتأدب مع المعلمين يبدأ الإمام أحمد تواضعه وأدبه مع مشايخه من مقتبل صباه فلقد كان التواضع صفة عزيزة فيه منذ صغره وأصبح علامة بارزة له في كبره في طلبه للعلم وفي حياته ذلك لأن التواضع طريق العلم والتأدب مع العلماء خشية الله فحواه، والعلم لا يأنس إلا بقلب خاشع وإنسان يحترم ويجل أساتذته ويوم أن يتخلى الإنسان أو التلميذ عن التواضع والأدب سيفقد جاذبية العلم والإقبال عليه، لذلك ترى الإمام أحمد قد اتخذ التواضع عنواناً له يحدثنا عمرو الناقد قال: (كنا عند وكيع وجاء أحمد بن حنبل فقال وجعل يصف من تواضعه بين يديه، قال عمرو: فقلت يا أبا عبد الله إن الشيخ يكرمك فما بالك لا تتكلم؟ فقال: وإن كان يكرمني فينبغي لي أن أجله) [٢].

إن الناظر لهذه الرواية يجد بأن شيخ أحمد يعترف بتواضعه وهذا علامة الرضا من أستاذ لتلميذه ولقد صمت الإمام أحمد وهذا يدل على إجلاله لأستاذه وحسن تأدبه معه.

وكان من تواضعه وتأدبه مع مشايخه يجلس بين يدي مشايخه، وكان يكرر القيام والجلوس أمام يدي مشايخه تأدباً معهم وتواضعاً لهم واحتراماً لعلمهم واعترافاً بفضلهم يقول قتيبة بن سعيد: (قدمت بغداد وما كانت له همة إلا أن ألقى أحمد بن حنبل، فإذا هو قد جاءني مع يحيى بن معين فتذاكرنا فقام أحمد بن حنبل وجلس بين يدي، وقال: أملِ عليَّ هذا ثم تذاكرنا فقام أيضاً وجلس بين يدي فقلت يا أبا عبد الله أجلس مكانك، فقال لا تشتغل بي إنما أريد أن آخذ العلم على وجهه) [٣]

---

[١]) أحمد بن حنبل إمام أهل السنة ص ٥٤
[٢]) المناقب ص ٥٧
[٣]) المرجع السابق نفسه ص ٥٧

وكان من تواضعه رحمه الله يهاب أساتذته، ويعظمهم ويقف بين أيديهم يأخذ منهم العلم فلقد وقف من صلاة العصر إلى المغرب يستمع العلم من أستاذه أبي يحيى القطان يقول إسحق الشهيد: (كنت أرى أبي يحيى القطان يصلى العصر ثم يستند إلى أصل منارة مسجد فيقف بين يديه علي بن المديني.. وعامر بن علي وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين وغيرهم يستمعون الحديث وهم قيام على أرجلهم إلى أن تحين صلاة المغرب لا يقول لأحد منهم أجلس ولا يجلسون هيبة وإعظاماً) [١]

ويضرب الإمام أحمد بن حنبل المثل التطبيقي والعملي في التواضع والتأدب مع مشايخه قولاً وسلوكاً فلقد ورد أنه قال: (أُمِرْنا أن نتواضع لمن نتعلم منه) [٢].

(٢) ثناء شيوخه عليه وحبهم له:-

لا شك أن تواضع التلميذ لشيوخه وتأدبه معهم واحترامه لهم وإجلاله لعلمهم واعترافه بفضلهم وتفوقه في الاستزادة من نهل علمهم وسلوكهم، لا شك أن هذا يجعل مشايخه تثني عليه خيراً وتحبه وتميل إليه وتكرمه وتجل غيره من أجله وتبعاً له.

نرى ذلك واضحاً فيما ذكرنا آنفاً من سيرة الإمام أحمد مع أساتذته حينما كان يأخذ عنهم العلم والسلوك وتواضعه لهم يتجلى لنا ذلك في:

قول الإمام عبد الرزاق، حينما ذهب إليه أحمد بن حنبل ومن معه فأملى عليهم سبعين حديثاً ثم التفت إلى القوم وقال: (لولا هذا ما حدثتكم) [٣].

ويتجلى ذلك واضحاً حين ذهب الإمام أحمد يوماً إلى سفيان بن عيينة فأصابه حر الزحمة، فذهب خادم سفيان إليه وقال له: أتتحدث وقد مات خير الناس أحمد بن حنبل فقال: (هات ماء وأخرج من منزل سفيان كوز ماء فقال صبوه على أحمد فلما أحس ببرودة الماء كشف عن وجهه واتقى الماء بيده وأفاق وقطع سفيان الحديث وقام) [٤]، من مجلسه، ويروى أن مشايخه كانوا يتمازحون فإذا عرفوا بأن أحمد موجود امتنعوا عن المزاح، يروى أن يزيد أمزح مع مستمليه فتنحنح أحمد ابن حنبل

---

[١]) المرجع السابق نفسه ص ٥٨.
[٢]) المرجع السابق ص ٥٨
[٣]) الحلية جـ ٩ ص ١٨٤
[٤]) المرجع السابق، (ج٩/ ص ١٨٥).

فضرب يزيد بيده على فخده تأسفاً وقال: (ألا أعلمتوني أن أحمد ها هنا حتى لا أمزح) [١]

ويقول فيه شيخه عبد الرزاق بن همام: (ما رأيت أفقه من أحمد ابن حنبل ولا أورع) [٢]، ووضعه بعض أساتذته في مرتبة سفيان الثوري فيقول: (ما نظرت إلى أحمد بن حنبل إلا تذكرت به سفيان الثوري)[٣]

ومن ثناء شيوخه عليه وتقديرهم له تستطيع أن تستنتج حبهم له وميولهم نحوه وشهادتهم له بحسن سلوكه وأخلاقياته وسعة علمه وإحاطته بالعلوم التي يحتاج إليها الداعية وجمعه لها، يقول أبو عبد الرحمن النسائي: (جمع أحمد بن حنبل المعرفة بالحديث والفقه والورع والزهد والصبر) [٤].

وهناك روايات كثيرة فيها ثناء من مشايخه عليه وتقديرهم له ولولا مخافة الإطالة لذكرناها ولاستنتجنا فيها ما يزيده وما نقتنيه من قواعد للداعية ومن أراد الإطلاع عليها فعليه [٥].

(٣)المتاعب والمشاقة التي لقيها في رحلاته لطلب العلم:-

لقد ارتحل -رحمه الله- إلى بلاد كثيرة لطلب العلم ولاقي في سبيل ذلك المصاعب والمتاعب وتحمّل المشاق والتعب. ارتحل ماشياً إلى طرطوس والكوفة والبصرة واليمن وكانت تنقطع به النفقة فيُكْرِي نفسه للجمّالين، واحتاج مرة فأكرى نفسه للجمّالين"[٦] ولما وصل إلى اليمن ماشياً حاول الإمام عبد الرزّاق أن يعينه فقال له: يا أبا عبد الله خذ هذا الشيء فانتفع به فإن أرضنا ليست بأرض متجر ولا مكسب وقدّم إليه يداً فقال: أنا بخير ومكث على هذه المشقة سنين استهان بهما في سبيل سماعه أحاديث عن طرق الزهري وابن المسيب فما كان يعلمها من قبل فيقول يحيى بن معين: فخرجنا إلى صنعاء فنفدت نفقته فعرض علينا عبد الرزّاق دراهم

---

[١] المناقب ص ٩٧.
[٢] المناقب ص ٦٩
[٣] تاريخ الذهبي ص ١٧
[٤] المرجع السابق ص٢٣
[٥] انظر بالتفصيل، المناقب من ص ٦٦: ٨٣، وانظر تاريخ الذهبي، من ص١٥: ٢٠.
[٦] المنهج الأحمد، (جـ١/ص٨).

كثيرة فلم يقبلها فقال: على وجه القرض فأبى وعرضنا عليه نفقاتنا فلم يقبل فأطلعنا عليه فإذا به يعمل التك ويفطر على ثمنها [١].

وانقطعت به النفقة وهو ذاهب إلى الكوفة فاستقرض أصحابه ولم يستقرض هو ولكنه باع فروته بسبعة دراهم، يقول أحمد بن سنان: قدم علينا أحمد بن حنبل مع جماعة من البغداديين إلى يزيد بن هارون واستقرضوني كلهم وردوا إلا أحمد بن حنبل لم يستقرض أعطاني فروة له فبعتها بسبعة دراهم"[٢]هذا عن المشاق المالية.

وأما المتاعب والمشاق الجسدية فلقد وجد منها الكثير ولكننا نأخذ منها نماذج، فحينما ذهب إلى الكوفة كان ينام في بيت يضع تحت رأسه لبنة وسادة (أصيب بالحمى يقول: (خرجت إلى الكوفة فكنت في بيت تحت رأسي لبنة فحميت) [٣]

وظهر الشحوب على وجهه من شدة السفر والترحال حتى لقد قال بعض أصحابه (لما قدم أحمد بن حنبل مكة من عبد الرزاق رأيت به شحوباً وقد تبين عليه أثر النَّصَب والتَّعَب فقلت يا أبا عبد الله لقد شققت على نفسك في خروجك إلى عبد الرزاق فقال ما أهون المشقة فيما استفدنا من عبد الرزاق) [٤]

يعلل الإمام أحمد سبب تحمله المشاق والتعب بالاستفادة وجمع الأحاديث، ولم يُرِد أن يأخذ العلم سهلاً ميسراً خشية أن يتعود ذلك فهو يركب في سبيله المركب الصعب كما حدث له مع الإمام عبد الرزّاق حينما وجده في مكة فلم يأخذ الحديث عنه فيها لأن مدة الحج لا تشبع نهمه والشيء الذي يجيء بيسر يكون قريب النسيان، وفوق كل ذلك يحتسب نية الهجرة في سبيل الحديث والعلم لله سبحانه وتعالى، نرى هذا في المحادثة الطويلة التي جرت بينه وبين يحيى بن معين حينما توجها سوياً إلى الحج ووجد الإمام عبد الرزاق فأخذ من يحيى بن معين موعداً فقال الإمام أحمد ليحيى بن معين" ولم أخذت على الشيخ موعداً؟ قال لنسمع منه أريحك الله مسيرة شهر ورجوع

---

[١] المرجع السابق نفسه جـ١ ص ٨، والتك هو صنع – رباط السراويل – القاموس المحيط جـ٣ ص ٣٠٧.
[٢] المناقب ص ٣١
[٣] المرجع السابق نفسه ص ٢٦
[٤] المرجع السابق نفسه ص ٣

شهر فقال: ما كان الله يراني وقد نويت نية لي أفسدها بما نقول، نمضى فنسمع منه فمضى حتى سمع منه بصنعاء"[١]

ومكثنا عنده سنتين فهل كانت مدة الحج تكفي؟

وهكذا استعذب الإمام أحمد التعب المالي والجسماني في سبيل طلب العلم.

(٤) الهدف والثمرة من وراء ترحاله وتأثره بشيوخه ونوعية علمه:-

كان رحمه الله شديد الإقبال على العلم مسافراً في طلبه السفر الطويل وتأثر بشيوخه علماً وعملاً ويبدو -والله أعلم - أن بهدف من وراء ذلك إلى:-

- الثواب والتقرب من الله وجمع أحاديث سيدنا رسول الله من أقطارها وأفواه أصحابها.
- طلب العلم إلى الممات- مع المحبر ة إلى المقبرة.

لقد داوم على طلب العلم حتى قال له بعض الناس متعجباً من استمراره في طلب العلم إلى متى ؟ فقال الإمام (مع المحبرة إلى المقبرة) [٢]. يا لها من كلمة؛ إنها كلمة تبهر الإنسان وتهز الكيان وفيها استمداد كريم من هدي الإسلام الذي علمنا أن العلم من المهد إلى اللحد وأن طالب العلم منهوم لا يشبع فابن حنبل يحمل دواته وقلمه طيلة حياته مواصلاً طلب العلم إلى أن يموت فهو القائل: (أنا أطلب العلم إلى أن أدخل القبر)[٣]. يقول له أحد أصدقائه (ألا تستحي؟ إلى متى تعدو مع هؤلاء الصبيان قال إلى الموت) [٤].

يا سبحان الله أطَلَب العلم أصبح يستنفر منه، لا - أنه يشفق على الإمام أحمد ويستنكر عليه أن يجلس يطلب العلم مع الصبيان.

- جمع أحاديث وعِلْم جميع الأمصار -التي ارتحل إليها- ومناهج أئمتها وخاصة بعد أن حفظ القرآن وتجويده وأتقنه تمهيداً لجميع العلوم التي يحتاج

---

[١]) المناقب ص ٣٠.
[٢]) المناقب ص ٣١
[٣]) المرجع السابق ص ٣١
[٤]) المناقب ص ٣٢

إليها الداعية ثم يستوعبها ليصوغ منها منهجه الذي يلتزم به ويدعو الناس إليه يقول: (نحن كتبنا الحديث من ست وجوه وسبع وجوه لم نضبطه كيف يضبطه من كتبه من وجه واحد) [1].

ويبين لنا ابن منيع مقدار الأحاديث التي حصّلها الإمام أحمد فقط إلى سنة مائتين فيقول: (مرَّ أحمد بن حنبل جائياً من الكوفة وبيده خريطة فيها كتب فأخذت بيده فقلت مرة إلى الكوفة ومرة إلى البصرة إلى متى؟ إذا كتب الرجل ثلاثين ألف حديث لم يكفه؟ فسكت ثم قلت ستين ألف فسكت فقلت مائة ألف فقال: حينئذ يعرف شيئاً قال أحمد بن منيع فنظرنا فإذا أحمد كتب ثلاثمائة ألف عن بهز ابن أسد وعفان وأظن قال وروح بن عبادة"[2]

- معرفة أصول الدعوة والدعوة إليها.
- الصبر وقوة التحمل.
- الاعتماد على النفس– بعد الله سبحانه وتعالى.
- معرفة المجتمع وأحواله.
- الوقوف على كيفية مخاطبة مجتمعه وتأثيره فيه.
- تربية القوة الإيمانية والتسليم المطلق لله سبحانه وتعالى.
- التعرف على المناهج الموجودة في عصره تمهيداً لمناداته بالرجوع إلى منهج الكتاب والسنة.
- الإطلاع على أفكار المدارس الفكرية المتعددة وخاصة الفرق لمعرفة اتجاهاتهم ومناحي تفكيرهم ومنشأ انحرافهم تمهيداً للرد عليهم.

–**ثم بعد ذلك** لبيان المنهج الذي أقنع به بعد هذه السنين الطوال– والعمل على نشره لتجميع الأمة بعد شتات وللقضاء على عوامل الانحراف الموجودة فيها ولدفع أهل الزيغ والأهواء عن النيل من الدين.

---

[1]) المناقب ص ٥٨
[2]) المناقب ص ٢٨.

المبحث الثالث: وفاة الإمام

(١) مرضه: وإتيان الناس لزيارته:-

بعد حياة حافلة مليئة بالجد والنشاط والورع والالتزام بالسنة وطلب العلم على مدار بضع وأربعين سنة في الدعوة إلى الله انتهت حياة الإمام المادية الجسدية من حيث ارتقت حياته الروحية إلى قمة التاريخ وقمة العمل في الأجيال من بعده بأقوى مما كانت تعمل وهو على قيد الحياة فحينما استكمل الإمام سبعاً وسبعين سنة في أول يوم من ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين ومائتين أصيب بمرض الحمى لزم على أثرها الفراش فأخذ يتنفس الصعداء، يقول صالح: (كان مرض أبي في أول شهر ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين ومائتين ودخلت عليه يوم الأربعاء ثاني ربيع الأول و هو محموم يتنفس الصعداء وهو ضعيف) [١].

وقيل بأنه مرضه ليلة الأربعاء لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول[٢] فحينما دخل ابنه عليه ووجده محموماً سأله عن إفطاره في البارحة قال على ماء باقلاء قال فعالجه عبد الله ثم توافد الأطباء عليه في يوم الثلاثاء التاسع من ربيع الأول – وكانوا كلهم مسلمين، فوصفوا له قرعة نشوى وبقي ماءها فعُمِلَت له، يقول صالح:

(وكنت قد عرفتُ علتَه وكنت أمرّضه إذا اعتل فقلت يا أبه على ما أفطرت البارحة؟ قال على ماء باقلاء، وكان يختلف إليه غير متطيِّب كلهم مسلمون فوصف له متطيّب يقال له عبد الرحمن قرعة نشوى ويسقى ماؤها، وهذا يوم الثلاثاء وتوفى يوم الجمعة[٣] وحينما علم الناس بمرضه أتوا ليه أفواجاً أفوَاجاً يريدون أن ينظروا إليه النظرة الأخيرة ويودّعوه وقد جاءوه من كل فج عميق واكتظت المدينة بالمكان، وأغلقت المحال، وحيل بين البيع والشراء وسمع السلطان بكثرة الناس فوكل السلطان ببابه وباب الزقاق الرابطة وأصحاب الأخبار.

يقول المروزي: (وبما أذن للناس فيدخلون عليه أفواجاً يسلمون عليه ويرد عليهم بيده وتسامع الناس وكثروا ثم أغلق باب الزقاق وكان الناس في الشوارع والمساجد حتى

---

[١]) البداية والنهاية ابن كثير جـ ١ ص ٣٤
[٢]) المنهج الأحمد جـ ١ ص ٤١
[٣]) مناقب الإمام أحمد ص ٤٠٣.

تعطل بعض الباعة وحيل بينهم وبين البيع والشراء وكان الرجل إذا أراد أن يدخل إليه ربما دخل من بعضا الدور وربما تسلق) [١].

فدخل الناس إليه منهم من يطلب منه العفو لأنه كان أحد الذين اشتركوا في ضربه عند المحنة، وجاء رجل فقال: تلطف لي بالإذن عليه فإني قد حضرت ضربه يوم الدار وأريد أن استحله فقام بين يديه – الإمام – وجعل يبكي وقال يا أبا عبدالله أنا كنت ممن حضر ضربك يوم الدار وقد أتيتك فإن أحببت القصاص فأنا بين يدك وأن أردت أن تحلني فعلت، فقال: على ألا تعود لمثل ذلك؟ قال: نعم، قال: فإني قد جعلتك في حلٍّ فخرج يبكي وبكى من حضر من الناس"[٢]

لهم ولجميع المسلمين"[٣] إنها عظمة الداعية وحبه للمسلمين فحينما يدعون له يقول ولجميع المسلمين ودخل عليه شيخ فكلمه وقال: أذكر وقوفهم بين يدي الله فشهق أبو عبد الله وسالت الدموع على خديه "[٤] واستمر الحال على هذا المنوال ويتوافد الناس ويخرجون وفي أثناء هذه الظروف لم ينس الداعية أحفاده فطلبهم فقبل وفاته بيوم أو يومين جعل يضمهم إليه ويمسح بيده على رؤوسهم ويدعو لهم وعيناه تدمعان" [٥]

(٢)وصيته:

وفي يوم الخميس الموافق الحادي عشر من ربيع الأول أمر أبناءه أن يحضروا وصيته التي كتبها أثناء محنته ويعيدوا قراءتها عليه من جديد ليطمئن على ما فيها فقرأها صالح فكانت كالآتي:

(بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أوصى به أحمد بن محمد بن حنبل" أوصى أن يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، وأوصي من أطاعة من أهله وقرابته أن يعبدوا الله في العابدين وأن يحمدوه في الحامدين وأن ينصحوا الجماعة المسلمين،

---

[١] تاريخ الإسلام للذهبي ص ٧٧ .
[٢] نفس المرجع السابق نفسه ص ٧٦.
[٣] نفس المرجع السابق ص ٧٧.
[٤] مناقب الإمام أحمد ص ٤٠٣.
[٥] المرجع السابق نفسه ص ٤٠٦.

وأوصى أني رضيت بالله عز وجل رباً وبالإسلام ديناً ومحمد صلى الله عليه وسلم نبياً، وأوصى أن لعبد الله بن محمد المعروف بفوران عليّ نحواً من خمسين ديناراً وهو المصدّق فيما قال فيقضى مَا لَه عليّ مِن غلّة الدار إن شاء الله، فإذا استوفى أعطى ولد صالح كل ذكر وأنثى عشرة دراهم عشرة دراهم بعد وفاء مال أبي عبد الله شهد أبو يوسف وصالح وعبد الله ابنا أحمد ابن محمد بن حنبل)[1]، [2].

ما يستنتج من الوصية:-

١- لا بد أن يبدأ الإنسان وصيته مبتدئاً فيها بسم الله الرحمن الرحيم.

٢- لا بد للإنسان أن يكتب وصيته بنفسه حال حياته وفي صحته.

٣- إقراره فيها بالتوحيد وهذا يعطينا أن الإنسان لابد أن يكتب وصيته هذا ليقضى على القيل والقال وليسير من بعده على ما أوصى به إن أرادوا.

٤- أمْره لأولاده، حينما يقول لمن أطاعه منهم أن يسيروا بعد وفاته على ما كانوا عليه من عبادة الله وحده وشكره وحمده في حياته.

٥- وصايته لهم بحمل الأمانة الخطيرة وهي تبليغ دعوة الله ونشر الإسلام وأن ينصحوا لله ورسوله.

٦- الوصية بسداد الدين من ماله قبل أن توزع تركته هذا إن لم يقدر أن يسدّد دينه قبل الوفاة، والدين يكون عند الضرورة لأننا نعرف- كما قلنا سابقاً – أن الإمام أحمد لا يستقرض وإذا استقرض ربما يكون للضرورة أو لبيان حكم فقهي.

٧- ننظر إلى سلوكه وأخلاقه حينما يحدد من اقترض منه ثم يصدق صاحب الدين فيما قال: أي لو قال أزيد فهو المصدق – فيجب عليهم أن يعطوه.

٨- ننظر إلى الداعية – حينما يقرن كلامه كله بمشيئة الله.

---

[1]) تاريخ الإسلام ص ٧٧ للذهبي.

[2]) المناقب ص٣٧٠،وانظر أيضاً الورع ص ٤٥، تاريخ الإسلام ص٧١، والمنهج الأحمد جـ١ ص ٤٢ بخلافات بسيطة في ترتب الألفاظ فقط إلا أن أبا نعيم في الحلية جـ ٩ ص ٢١٣ كتب: أعطي ولدي صالح.

٩- بعد إخراج الدين يجب التساوي بين أولاده جميعاً عشرة دراهم عشرة دراهم وهنا سؤال ربما يرد على الأذهان:

وهو أن الإمام غير عادل فإنه أمر بالمساواة بين أولاده من الذكر والأنثى عشرة عشْرة ولم يلتزم بمنهج القرآن، وهو أن للذكر مثل حظ الأنثيين.

الحقيقة نرى بأن الإمام هنا ملتزم بمنهجه بل طبقه في وصيته لأنه يرى بأن أرض العراق أرض خراج ليست ملكاً لأحد بل هي للإسلام ومن هنا كان يخرج زكاة الغلة التي كان يزرعها أن ينتفعوا بالمنزل وليس لهم أن يتملكوه" ولأنه يرى بأن العراق فتح عنوة ولم يقسمه عمر بين الغانمين بل وقفه على كافة المسلمين وأقره أربابه بخراج ضربه على رقاب الأرضين يكون أجرة لها يؤدى في كل عام، وإن لم يقدر مدتها لعموم المصلحة منها فصارت بوقفه لها في حكم ما أفاء الله على رسوله من خيبر وأموال بني النضير وقد نص أحمد على أن عمر لم يقسّم بين الغانمين بل وقف فيقول: (السواد وقفٌ لا أرى بيع أرضه ولا شراؤه) [١] وقال: إنما أذهب إلى أن السواد وقف عمر ترك السواد ولم يقسمه) [٢].

ومن هنا قسم بين أولاده في غلة الدار وهذا قمة التمسك بمنهجه.

١٠-الشهادة على الوصية من أجل أن يلتزم بها الجميع وبلك يكون قد أقام الحجة عليهم وأبرأ ذمته منهم أمام الله.

(٣)وفاته:-

حينما أتت ليلة الجمعة اشتد المرض على الإمام أحمد وأصحاب الأخبار طيروا الأنباء إلى جميع أنحاء العالم حتى ملئوا المسالك والشوارع. واشتد به المرض ليلة الجمعة فظن أبناؤه أنه قد قبض فوجه أبناؤه رأسه ناحية القبلة فجعل يقبض قدميه وهو موجّه وجعلوا يلقنوه لا إله إلا الله فيردّ عليهم ويرددوا ذلك عليه وهو يهلّل، وعندئذ تحول هو إلى القبلة فجعل قدميه أمامها ورأسه ممتدة على امتداد قدميه كأنه

---

[١]) الأحكام السلطانية ص ٢٠٤

[٢]) المرجع السابق نفسه ص ٢٠٤.

يقف للصلاة فقبض أثناء ذلك، يقول عبد الله ابنه: (فلما كانت ليلة الجمعة ثقل فظننت أنه قد قبض وأردنا أن نمدده فجعل يقبض قدميه وهو موجه وجعلنا نلقنه فنقول: لا إله إلا الله ونردد ذلك عليه وهو يهلل وتوجه إلى القبلة واستقبلها بقدميه فلما كان يوم الجمعة اجتمع الناس حتى ملئوا السكك والشوارع فلما كان صدر النهار قبض رحمه الله) [١].

وقد توفي الإمام أحمد على أرجح الأقوال في صدر ضحوة يوم الجمعة الثاني عشر من ربيع الأول سنة مائتين وإحدى وأربعين من الهجرة، قال صالح: (لما كان يوم الجمعة لاثنتي عشرة خلت من شهر ربيع الأول لساعتين من النهار أو أكثر أو أقل توفي أبي رحمه الله) [٢]

ومن هنا يتضح لنا عدم صحة الرواية القائلة بأنه توفى يوم العاشر من ربيع التي نقلها الذهبي في تاريخه[٣] والسبب بأن جميع الروايات أجمعت على ذلك اليوم، وإن اختلفت في وقت وفاته أكان ليلة الجمعة أو يوم الجمعة.

وهناك رواية أخرى لابن كثير تقول: (توفي أبو عبد الله أحمد بن حنبل ليلة الجمعة الثاني عشر من ربيع الأول من سنة أحد وأربعين ومائتين وله من العمر سبع وسبعون سنة).

والصحيح أنه مات يوم الجمعة لتواتر الروايات على ذلك ولنفس السبب يتضح لنا عدم صحة الروايات المنقولة عن ابن قانع وغيره بأنه توفي في ربيع الآخر، يقول الذهبي: أغلط ابن قانع وغيره فقالوا في ربيع الآخر فليعرف ذلك [٤].

(٤)غسله وتكفينه:-

وحينما علم نائب بغداد بعث محمد بن طاهر حاجبه ومعه غلمان يحملون كفناً للإمام أحمد وأرسل إليه يقول هذا نيابة عن الخليفة، فإنه لو كان حاضراً لبعث بهذا، وهنا يظهر أثر منهج الإمام أحمد على أولاده فامتنعوا عن استلام الكفن، لأنهم

---

[١] مناقب الإمام أحمد ص ٤١٠
[٢] مناقب الإمام أحمد ص ٤٠٦
[٣] الذهبي ص ٧٥.
[٤] المرجع السابق الذهبي ص ٧٨.

يعرفون رأي والدهم فأرسلوا يقولون: إن أمير المؤمنين قد أعفاه في حياته مما يكره وأبوا أن يكفنوه بتلك الأكفان [١]

وكفنه أولاده بعد أن قاموا بتغسيله في كفنه التي كانت قد أعدته له جاريته حُسْن- يقول صالح: (غزلت له جارية ثوباً عشارياً قوّم بثمانية وعشرين درهما ليقطع منه قميصين فقطعنا له لفافتين وأخذنا من فوران لفافة أخرى فأدرجناه في ثلاث لفائف واشترينا حَنُوطاً قد كان بعض أصحابنا من العطارين سألني أن يوجه بحَنُوط فلم أفعل وصبَّ في حب كفا ماء فقلت: قولوا لأبي محمد يشتري راوية ويصب الماء الذي كان يشرب منه، فإنه كان يكره أن يدخل من منازلنا إليه شيء وفرغ من غسله وحضر نحو مائة من بني هاشم ونحن نكفنه وجعلوا يقبِّلون جبهته حين رفعناه على السرير) [٢].

(٥)الصلاة عليه وخروج الناس لتشييعه ودفنه:-

" خرج نعشه في موكب مهيب تحوطه الجلالة والإكبار والإجلال والاحترام وخرج الناس بنعشه والخلائق حوله من الرجال والنساء ما لم يَعلَم عددَهم إلا الله، ونائب البلد محمد بن عبد الله بن طاهر واقف في جملة الناس ثم تقدم فنرى أولاد الإمام أحمد فيه وصلى عليه نائب بغداد- محمد بن طاهر- وقد أعاد الناس الصلاة عليه عند القبر وعلى القبر بعد أن دفن" [٣] ويقولون: إن عبد الله ابنه والهاشميون قد صلوا عليه في الدار قبل أن يصلى عليه محمد بن طاهر. يقول عبد الله بن أحمد: (صلى على أبي محمد بن عبد الله بن طاهر قد غلبنا على الصلاة عليه وقد كنا صلينا عليه نحن والهاشميون في الدار) [٤]

وقد صلى على قبره – حجاج بن الشاعر- فيصف لنا شعوره وهو يصلى فيقول: (ما كنت أحب أن أقتل في سبيل الله ولم أصل على أحمد بن حنبل) [٥]

---

[١] البداية والنهاية ابن كثير جـ١٠ ص ٣٤٠.
[٢] مناقب الإمام أحمد ص٤١٢
[٣] البداية والنهاية ابن كثير جـ ١٠ ص ٣٤٢
[٤] تاريخ الذهبي ص ٧٩
[٥] حلية الأولياء أبو نعيم جـ ٩ ص ١٧٣

وحينما علم المتوكل بأن محمد بن عبد الله بن طاهر صلى على أحمد فإذا به يقول له: (طوبي لك يا محمد صليت على أحمد بن حنبل) [١]

وأتى الناس من كل صوب للاشتراك في الصلاة على الإمام أحمد وعلت الأصوات بالبكاء، حتى كأن الدنيا قد ارتجت فصلى على الإمام ألف ألْف وثُلثُمائة سوى من كان في السفن، يقول الفتح بن الحجاج" بعث أمير المؤمنين عشرين حازراً ليحرزوا كم صلى على أحمد بن حنبل فحرزوا ألف ألْف وثلثمائة سوى من كان في السفن"[٢]، ولقد " دفن الإمام أحمد بباب حرب ببغداد"[٣].

(٦)أثر وفاته:-

ولقد أظهرت وفاة الإمام أحمد أثر الداعية المؤمن بدعوته- المتمسك بمنهجه في محبيه وأتباعه والناس على مختلف دياناتهم، وظهرت السنة واضحة جلية وقضى على البدع. ولقد التزم محبوه بمنهجه وهم يحملون جنازته، فلقد روى محمد بن إبراهيم البوستجي: (صلوا على أحمد بن حنبل في المصلى وظهر العين على الكرابيس فأخبر بذلك المتوكل فقال من الكرابيسي؟ فقيل أنه رجل أحدث قولاً لم يتقدمه أحد فأمره بلزوم بيته حتى مات) [٤]

ولقد كانت وفاة الإمام أحمد فرصة أظهر الناس فيها حبهم للسنة والطعن على أهل البدع فسيرى الله المسلمين بذلك على ما عندهم من المصيبة لما رأوا من العزة وعلو الإسلام"[٥]

وجاء هذا العمل وهو إظهار السنة وقمع البدعة تصديقاً بتوقع الإمام أحمد من إظهار السنة وقمع البدعة فلقد ورد أن عبدالله بن أحمد بن حنبل قال: (سمعت أبي يقول قولوا لأهل البدع بيننا وبينكم يوم الجنائز) [٦].

---

[١] مناقب الإمام أحمد ص ٤١٤
[٢] المرجع السابق ص ٤١٦
[٣] المنهج الأحمد جـ١ ص ٤٤
[٤] مناقب الإمام أحمد ص ٤١٧
[٥] المرجع السابق ص ٤١٨ بتصرف
[٦] مناقب الإمام أحمد ص ٤١٧

ولقد تأثر الناس جميعاً بوفاة أحمد بن حنبل ويتجلى لنا ذلك فيما سبق من العدد الضخم الذي خرج في وفاته ومن المصلين عليه ومما يثير انتباهنا توجه أكثر من مائة من بني هاشم وأسرهم يقبلون أحمد بن حنبل أثناء وفاته– كما ذكرنا سابقاً – ومعروف موقف هؤلاء من الأئمة الأربعة وخاصة لتشيعهم لعلي بن أبي طالب.

فما مغزى حضور هؤلاء إلى الإمام أحمد؟

لا شك أن هذا وأن دل على شيء فإنما يدل على قوة تأثير الداعية أحمد بن حنبل وتفهيمه لهؤلاء الدين الإسلامي على حقيقته ونقلهم إلى المجتمع الأول مجتمع النبي صلى الله عليه وسلم ولقد تأثر بوفاته أهل بغداد جميعاً، فما من بيت من بيوت بغداد إلا ودخله الحزن حتى قيل: (ما من أهل بيت لم يدخل عليهم الحزن يوم موت أحمد بن حنبل إلا بيت سوء) [١].

ولقد وقع موت أحمد بن حنبل من جميع الطوائف من الناس فحزنوا جميعاً واغتموا لفراقه لفقدهم رجلاً يرى فيه المسلمون المدافعة عن السنة ويرى فيه غيرُهم الرجل الصابر المكافح العادل المتمسك بمنهجه وهذا يعطيهم التمسك بالمنهج، ولذا قالوا يوم موت أحمد بن حنبل: وقع الموت والنوح في أربعة أصناف من الناس المسلمين واليهود والنصارى والمجوس"[٢]، وقيل: أسلم يوم وفاته عشرون ألفاً من اليهود والنصارى والمجوس.

وهذه البوابة لا بد لن فيها من نظره فلقد نقضها الذهبي في تاريخه[٣] وقال: بأن العقل يحيل أن يقع مثل هذا الحادث ولأنها ليست متواترة وليست واردة عن القريبين من الإمام أحمد مثل ابنيه وتلاميذه، وبأن هذه الرواية مروية عن الوركاني.

ويعلل الذهبي عدم صحة هذه الرواية بأن الوركاني توفي في رمضان سنة ثمان وعشرين ومائتين أي قبل وفاة الإمام أحمد ولذا لم يحضر وفاة الإمام أحمد ولم

---

[١]) المرجع السابق نفسه ص ٤٢٠.
[٢]) المرجع السابق نفسه ص ٤٢٠
[٣]) تاريخ الإسلام ص ٨٢ للذهبي.

يشاهد ما حدث فيها، ويؤيد إسلام هؤلاء أيضاً صاحب المنهج الأحمد"[١] وصاحب المناقب[٢].

يقول الشيخ المرحوم محمد محي الدين عبد الحميد معلقاً على كلام الذهبي بقوله: (وقد استبعد الحافظ الذهبي قصة إسلام عشرين ألفاً مستنداً في ذلك إلى أنه لم يروا هذه القصة إلا الوركاني ومن البعيد ألا يرويها المروذي ولا صالح ولا عبدالله ابنا الإمام أحمد ولا غير هؤلاء ممن عنُوا بأخباره، على العلم أنه حادث تتوافر الدواعي على نقله) [٣]

ويعلل صاحب مرآة الجنان وعبرة اليقظان إسلام اليهود والنصارى يوم وفاة الإمام أحمد بحذر فيقول: قلت فإن صح ذلك فإسلامهم يحتمل سببين:

١- أن يكون ذلك لكثرة ما رأوا من الخلائق مجتمعين على فضله والصلاة عليه والأسف على فراقه.

٢- أن يكون بعضهم رأى آية كما رأي بعض اليهود في جنازة سهل ابن عبد الله وهي أنه لما نظِر إلى جنازته قال: ترون ما أرى قالوا: وما ترى؟ قال: أرى قوماً ينزلون من السماء يتبركون بالجنازة ثم أسلم وحسن إسلامه) [٤]

وإذا دققنا النظر فعلاً لوجدنا أن هذه الرواية تبدو غير صحيحة، ننظر إلى رواية صاحب الجنان حينما قال (فإن صح ذلك) هو نفسه يشك في هذه الرواية. ثم نرى بأن كلام الذهبي يتفق مع العقل السليم والواقع.

ونقول لماذا لم يسلموا في حياته؟

إن الإمام كان مشهوراً للجميع، وهل يتفق منهجه مع منهجهم؟ إنه حارب البدعة بكل أبعادها فهل هذا يتفق معهم؟ وكان الأولى أن يؤمنوا في حياته من باب أولى؟

---

[١] المنهج الأحمد جـ ١ ص ٤٤
[٢] مناقب الإمام أحمد ص ٤٢١
[٣] المنهج الأحمد جـ١ ص ٥٤٤.
[٤] المنهج الأحمد (جـ ١/ص ٥٤٤)

ربما قيل: إنه حادث تتوافر الدواعي على نقله والجواب نقول: ليست العبر بتوافر الدواعي على نقله ولكن العبرة بالذي نقله والذي يؤيد وجهة نظرنا هذه نتساءل لماذا فعلاً لم يَنقل هذه الرواية أقرب المقربين إلى الإمام أحمد؟! أبناؤه أو أقرباؤه أو تلاميذه المقربون أليس يدل ذلك على أن هذه الرواية واهية ضعيفة؟ مع تقديرنا لصاحب مرآة الجنان، لأنه –على الأقل– فتح باب مناقشة صحة هذه الرواية إلا أنه وقف متردداً وأتى بسببين يرى أنهما– أن صحت الرواية– سبباً في إسلام هؤلاء:

السبب الأول: لكثرة ما رأوا من الخلائق مجتمعين على فضله، وهل هذا السبب كان معدوماً في حياة الإمام حتى يكون سبباً في إسلام هؤلاء، إن الجميع مُجمِعون على فضله.

السبب الثاني: أن يكون بعضهم رأي آية في السماء، ولنا أن نقول: إن الإمام في حياته عنوان لكل آية، وإن الله إذا أراد إسلام أي إنسان لم يعلقه بوفاة شخص، ثم الذين اعتمدوا على صحة هذه الرواية لم يعللوا لنا سبب إسلامهم وتركونا دون تعليل أو دون مناقشة، ولدينا دليل قاطع من واقع حياة الإمام أحمد بن حنبل يرويه صاحب المنهج الأحمد نفسه أن الذين نقلوا هذه الرواية

ولم يدققوها فيقول: (كان الإمام أحمد إذا نظر إلى نصراني غمض فقيل له في ذلك فقال لا أقدر أنظر إلى من افترى على الله وكذب عليه) [1]

إذن هذه الرواية تثبت بأن الإمام كان يقابلهم ليل نهار، فمن باب أولى أن يؤمنوا بالإسلام في حياته ولا نتهم الإمام بالتعصب لقوله **(لا أقدر أنظر إلى من أفترى على الله وكذب عليه)**؛ لأن هذا واقع ولم يُكْرِهُهُ الإمام على الإيمان.

ثم إن الإمام ليس صاحب معجزات، وليس هذا مِلْكاً لأي مخلوق، نرى الرسول نفسه حين مات لماذا لم يسلموا؟ لماذا لم يروا آيات في السماء من أجله؟ وقصة خسوف الشمس والقمر حين مات إبراهيم مشهورة، والرسول من باب أولى لكن لم يحدث. إذن فهذه الرواية على ما يبدو لي لم تحدث ومثلها روايات كثيرة رويت له بعد وفاته لم يصدقها عقل أو نقل– وربما وضع المحبون له إما لشدة حبهم له للدلالة على مكانته

[1]) المنهج الأحمد (جـ ١/ ص ٢٦١)

وإما من إعلائه؛ من أجل أن يأتي مَن بَعْدَه ليتخذوه شخصية أسطورية، والإمام بريء من هذا وذاك. لذلك نرى تلميذه المروذي يقول: (ولقد رأيت من بالغ في النقل حتى ذكر ما لا يقبله العقل) [١]

ثم إننا نرى الإمام أحمد يحدد موقفه بوضوح من أهل الكتاب وغيرهم فعن أبي الحارث أنه " أبا عبد الله سُئل عن الرجل يبيع داره وقد جاء نصراني فأرغبه وزاد في ثمن الدار؛ تُرَى له أن يبيع داره منه وهو نصراني أويهودي أومجوسى؟ قال: لا أرى له ذلك ببيع داره من كافر يكفر بالله فيها، يبيعها من مسلم أحلّ إلي) [٢]، فهذا صريح رأيه فيهم في حياته فكيف يُسلِمون يوم وفاته؟ بل نراه يصرح بأنه لا يحب معاونة النصارى في شيء، يقول اسحق بن إبراهيم" سُئل أبو عبدالله –رحمه الله– عن النصارى وقفوا ضيعة للبيعة أيستأجرها الرجل المسلم منهم؟ فقال: لا يأخذها بشيء لا يعينهم على ما هم فيه)[٣]، **فهذا صريح رأيه فيهم فكيف تكون وفاته سبباً في إسلامهم؟**

وبالرجوع إلى ترجمة الوركاني وجدناه فعلاً قال هذه الجملة في الحقيقة ولكن وجدنا بأن وفاة الوركاني تمت قبل موت الإمام أحمد، فلقد جاء في كتاب خلاصة التهذيب" أن الوركاني توفي سنة ثمان وعشرين ومائتين من الهجرة"[٤]، وبناء على ذلك فإن هذه الراوية غير صحيحة وربما تكون دخيلة على الوركاني، ومن عظم أثر وفاته نرى ذلك من عناية الدولة به في أثناء مرضه حينما أتى إليه حاطب بن طاهر ليقرأه سلام أمير المؤمنين ويتجلى – أيضاً في إرسال نائب بغداد الكفن له وإسراعه بالصلاة عليه– بعد وفاته – وقول المتوكل له: طوبي لك لقد صليت على أحمد بن حنبل – كما ذكرنا ذلك آنفاً. وكذلك في إتيان ناقلي الأخبار بكثرة ليطيروا أخبار موضع الإمام أولاً بأول إلى الناس.

---

[١] المنهج الأحمد (جـ ١/ ص ٤٤)
[٢] اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، ص ٢٣١.
[٣] المرجع السابق ص ٢٣١.
[٤] خلاصة التهذيب ص ٣٣٠

ويتجلى حب الناس له حينما مكثوا أمام قبره وبعثت الدولة حراساً يقوموا بحراسة المقبرة، ثم يجيء كتاب المتوكل بعد أيام من موت الإمام إلى محمد بن طاهر يأمره فيه بتعزية أسرة الفقيد في فقيدهم ومن شدة حب المتوكل للإمام أحمد واعتزازه به يأمر نائب بغداد أن يحمل كتب الإمام إليه يقول صالح بن الإمام أحمد: فحملتها وقلت إنها لنا سماع فتكون في أيدينا تنسخ عندنا فقال: –أي محمد بن طاهر– أقول لأمير المؤمنين فلم يزل يدافع الأمر ولم تخرج من أيدينا والحمد لله رب العالمين"[1]

ومن أحسن ما جاء في تعزية الإمام أحمد خطاب بعثة أخ له إلى صالح ابنه يعزيه في والده ونستطيع أن نأخذ منه العبر التي تقضى بها على الخزعبلات والروايات غير الصحيحة التي ذكرت عقب وفاة الإمام أحمد في الرؤى التي رؤيت بعد وفاته وهي تجسمه لنا كأنه نبي أو أكثر من ذلك على حسب وجهة نظر هذه الروايات[2].

والآن نكتب نص هذه التعزية فلقد ورد عن صالح أنه قال كتب إلي أخ لي يعزيني عن أبي فقال: (بسم الله الرحمن الرحيم – أما بعد فإن الله عز وجل حتم الموت على عباده حتماً عدلاً على بريته قضاءً فصلاً حتى يأت ذلك على جميع من ذرأ وبرأ، وكان ممن أتى عليه حكم الله وقضاؤه أبو عبد الله رحمة الله عليه دعاه الله إليه فأجابه راضياً مرضياً نقياً من الدنس والعيب، طاهر الثوب غير مبتدع ولا ضال ولا مضل ولا زائغ عن هدى ولا مائل إلى هوى. لم يرهبه وعيد إلى أن نقله الله عز وجل إلى جواره فلمثل ما صار إليه من كرامة الله فليعمل العاملون وعلى أن المصيبة به قد مضت وأرمضت وأبلغت من القلوب. وأنا أعزيك وعامة المسلمين ممن يقرأ كتابنا هذا إنما أمر الله به تتجزاً بما وعد من صلواته ورحمته وهداه لمن احتسب وصبر وسلم ورضي بحكم الله النافذ على جميع خلقه.

---

[1]) المناقب ص ٤٢٢.

[2]) انظر تفصليا الرؤى التي رؤيت له، ص ٤٣٥ من كتاب مناقب الإمام أحم،د وكلها لا تتفق مع ما كان عليه منهج الإمام أحمد من الكتاب والسنة.

فقد مضى على أحسن حالاته وأحسن قصده وهديه، ثابتاً على حزمه وعزمه أرادته الدنيا ولم يردها ولم تأخذه في الله لومة لائم، فقد كلم وثلم في الإسلام ففقده وأنا أسأل الله له الذي يجود بالجزيل ويعطي الكثير أن يصلى على محمد عبده ورسوله وأن يعطي أبا عبد الله أفضل ما أعطى أحمد من أوليائه الذين خلقهم لطاعته، وأن يعلى درجته ويرفع ركنه ويجعل مجلسه مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً، وأن يهب لك صبراً يبلغك ما وعد الصابرين ويقينا يوجب لك ثواب المحسنين. فإنه ولي النعم وبيده الخير وهو على كل شيء قدير"[1]

الباب الثاني

ويبحث في أصول منهج الإمام أحمد في الدعوى الإسلامية

ويشتمل على مدخل:-

- **التعريف بكلمة منهج**
- **منهج الإمام أحمد**
- **أصول المنهج إجمالاً**

وثلاثة فصول:

- الفصل الأول : - القرآن الكريم

- الفصل الثاني :- السنة النبوية الشريفة

[1]) مناقب الإمام أحمد ص ٤٢٢، ٤٢٣.

- الفصل الثالث :- الإجماع والقياس

- ما يستنتج من الأصول.

مدخل

١-التعريف بكلمة منهج:-

كلمة منهج عند اللغويين:

بالنظر في معاجم اللغة نجد أن كلمة منهج مشتقة من مادة نهج- ويدور معناها حول الطريقة التي تبلغ بها المادة المراد تبليغها للناس يقول صاحب لسان العرب (نهج: طريق نَهْج أي بيِّن واضح، وطرَق نهْجَه وسبيل منهج كنهْج ومنْهَجَ الطريقَ وضَّحه والمِنْهَاج كالمَنْهَجِ، وأنْهَجَ الطريق واضح واستبان..)[١] ويقول صاحب معجم مقاييس اللغة نهج- النون والهاء والجيم أصلان متباينان: الأول النهج الطريق ونهج لي الأمر وضَّحه وهو مستقيم المنهاج، والمنهج: الطريق أيضاً والجمع المناهج والآخر الانقطاع، نهج الثوب وأنهج أخلق... [٢] ويقول صاحب القاموس المحيط:

---

[١] جـ٣ ص ٣٦٠

[٢] جـ٥ ص ٣٦١

(النهج الطريق الواضح كالمنهج والمنهاج.. وأنهج وضَّح وأوضح واستنهج الطريق صار نهجاً...) [1].

المنهج عند علماء الدعوة:-

يحدد بعض العلماء معنى المنهج في اصطلاحهم بأنه الطريق الحامل للمادة أو هو المادة نفسها، فإذا كان المواد بالمنهج المادة نفسها فيعرَّف على أنه:-

الدعوة الإسلامية بجوانبها الثلاثة العقيدة والشريعة والأخلاق أي- الدين- وهو الكتاب والسنة، ويشمل أصول المنهج- وهذا ما سنبحثه في هذا الباب إن شاء الله تعالى.

وإذا كان المراد بالمنهج الطريق الحامل للمادة أي الوسيلة التي انتشر بها المنهج السابق فيعرّف على أنه:-

مجموعة القواعد التي يتكون منها أسلوب معين يلتزمه الفاعل لنشر دعوته على حسب متطلبات عصره بشرط أن لا يخرج عن إطار منهج الدعوة في القرآن وهو قوله تعالى: (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) [2] وهذا ما سنحققه في الباب الثالث- إن شاء الله تعالى، ويؤيد ما نذهب إليه ما ذكره المفسرون في تفسير قوله تعالى: (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً) [3] فيقولون بأن معنى كلمة منهج أو منهاج هو معنى مشترك بين الدين وبين تبليغ الدين كمنهج يسير في تبليغه، ويقول الإمام القرطبي: (المنهج الطريق المستمر والمنهج دين محمد عليه الصلاة والسلام) [4]، وعلى هذا تؤدي كلمة منهج في الاصطلاح معنى الدعوة الإسلامية كحقيقة وكأسلوب تبليغ.

العلاقة بين المعنيين:-

---

[1] جـ١ ص ٣٦
[2] سورة النحل آية رقم ١٢٥
[3] ٤٨ سورة المائدة المدنية
[4] جـ ٦ ص ٢١١ الجامع لأحكام القرآن الكريم ط٣ ص ١٩٦٧ دار الكتاب العربي للطباعة والنشر.

بالنظر إلى معنييها اللغوي والاصطلاحي لوجدنا علاقة واضحة بينهما، فالمعني اللغوي عام في المادة والوسائل، والاصطلاحي يخصص لنا المراد من هذه المادة المراد تبليغها والوسيلة التي تبلغ بها على حسب متطلبات العصر.

٢-منهج الإمام أحمد:-

إذا نظرنا إلى الإمام أحمد لوجدناه يعتمد على القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ويتخذهما منهجاً له وكان قد استوعب العلم المعروف كله- في عصره- أو كاد وهو في عشرينياته، يقول عنه أبو زرعة: (ما رأت عيني مثل أحمد قيل في العلم؟ قال في العلم والزهد والفقه والمعرفة وكل خير) [١] فلما كبر وتزيد صار إمام المحدثين وإمام الفقهاء والزهاد، يقول عنه إبراهيم الحربي: (رأيت أحمد بن حنبل فرأيت كأن الله جمع له علم الأولين والآخرين من كل صنف يقول ما يشاء ويمسك ما يشاء) [٢]. ومن هنا بدأ الداعية يدعو إلى العودة إلى الكتاب والسنة كمنهج أعلنه بصراحة حينما كانوا يناقشونه في مسألة خلق القرآن كان يقول: (أعطوني شيئاً من كتاب الله أو سنة نبيه) [٣] ومن ذلك نستنتج منهجه وهو اتباع الكتاب والسنة، وهو متبع فيه لا مبتدع في عصر مليء بكثرة المناظرات من المتكلمين وأهل الملل وأهل الظاهر وأهل السنة وغيرهم.. فأدى هذا إلى شقاق وخصومات واتهامات وإلحاد فأراد الداعية أن ينقل مجتمعه نقلة ضخمة من حال التفرق والاختلاف التي كان يعيشها إلى الالتفاف حول كتاب الله -سبحانه وتعالى- وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وأن يعيد إليهم وحدتهم وعزتهم، وأن يجمعهم على منهج واحد يلوذون به، ويلتمسون فيه كل ما يطلبون.

أصول[٤] منهج الإمام بن حنبل إجمالاً:-

---

[١] المناقب ص ١٢٢
[٢] الذهبي ص ١٥
[٣] تاريخ الإسلام ص ٤٦ للحافظ الذهبي.
[٤] الأصول جمع أصل وهو يطلق لفظ على معان منها:
ما يبنى عليه غيره أعم من أن يكون الابتناء حسياً كابتناء الجدار على أساسه، أو يكون عقلياً كابتناء المدلول على الدليل، فيقال: (أقيموا الصلاة) أصل لوجوبها أو يكون الابتناء عرفياً كابتناء المجاز على الحقيقة فيقال: الحقيقة أصل للمجاز.
ويقول صاحب المصباح المنير(أساس الحائط أصله.. وأصل كل شيء ما يستند وجود ذلك الشيء عليه، والأب أصل للولد، والنهر أصل للجداول، والجمع أصول) ص(٢٢).

يخبرنا الإمام عن هذه الأصول بقوله: (لست بصاحب كلام ولا أرى الكلام في شيء من هذا إلا ما كان في كتاب الله أو حديث عن رسول الله صلى اله عليه وسلم أو عن أصحابه فأيما غير ذلك فإن الكلام فيه غير محمود) [١]

ثم يزيدنا إيضاحاً لبيان أصول منهجه فيقول لمُسْرَد بن مُسَرْهَد : (أوصيكم ونفسي بتقوى الله ولزوم السنة والجماعة، فقد علمتم ما حل بمن خالفها، وما جاء بمن اتبعها.. وآمركم إلا تؤثروا على القرآن شيئاً فإنه كلام الله.

ثم من بعد كتاب الله سنة النبي صلى الله عليه وسلم والحديث عنه وعن المهديين من صحابة النبي والتابعين من بعدهم) [٢]

ويبين لنا تلميذه أبو داود أصول منهج أستاذِه تفصيلاً فيقول: قال الإمام أحمد: ما أجبت في مسألة إلا بحديث عن رسول الله إذا وجدت العمل إليه، أو عن الصحابة أو عن التابعين، فإذا وجدت عن رسول الله لا أعدل إلى غيره، فإذا لم أجد عن رسول الله، فعن الخلفاء الأربعة الراشدين فإن لم أجد عن الخلفاء فعن أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم الأكابر فالأكابر، فإن لم أجد فعن التابعين وعن تابعي التابعين وما بلغني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمل له ثواب إلا عملت به رجاء ذلك الثواب ولو مرة واحدة"[٣]

ويقول صاحب لسان العرب : (الأَصل أسفل كل شيء وجمعه أصول) (ج١٣/ ص ١٦).
ثم استعمل في الاصطلاح لمعان متعددة منها:-
١- الراجح قولهم في القواعد الأصل الحقيقة بمعنى الراجح الحقيقة.
٢- القاعدة المستمرة كقولهم: الأصل أن النص مقدم على الظاهر بمعنى القاعدة الكلية المستمرة.
٣- الدليل كقولهم الأصل وجوب الصلاة قوله تعالى: (أقيموا الصلاة) أي الدليل في وجوب الصلاة.
٤- ما قابل الفرع وهو الصورة المقيس عليها كقولهم: الخمر أصل للنبيذ والوالد أصل للولد.
" أصول الفقه د. عبد الله محمد عبد النبي، مذكرات، ص١ "
والذي يراد هنا هو الدليل أي الأدلة التي اعتمد عليها منهج الإمام أحمد بن حنبل أو الأدلة التي استمد منها الإمام أحمد بن حنبل منهجه الذي التزم به.

[١]) المناقب ص ١٥٦.
[٢]) المرجع السابق نفسه ص ١٦٨.
[٣]) أحمد بن حنبل إمام أهل السنة ص ٢٥٤.

الفصل الأول ويبحث في القران الكريم

القرآن الكريم: وهو عماد هذا الدين وأصل للشريعة والينبوع الأول لها وهو كلام الله المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم المعجز بلفظه المتعبد بتلاوته المنقول إلينا بالتواتر المفيد للقطع واليقين، المكتوب في المصحف من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس، وهو هدية الخالق لنا، ختم الله به الكتب السماوية وناط به سعادتَيْ الدنيا والآخرة (وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) [١]

" يبين لنا فيه الهدف من إنزاله فقال جل شأنه (كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد) [٢] وجعله الله معجزة دالة على صدق الرسول في دعوة الرسالة والتبليغ عن الله (أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين) [٣] وهذا القرآن جعله الله سبحانه وتعالى منهجاً للبشرية تبتغي الهدى فيه وتطلب الرشاد من

---

[١] فصلت أية ٤٢
[٢] إبراهيم آية رقم ١
[٣] هود آية رقم ١٣

آيات وتجد السعادة الدنيوية والأخروية في تطبيق منهجه فمن أراد الهدى في غيره أضله الله. عن أبي البحري الطائي- يعني عن الحارث عن علي- قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن أمتك ستفتتن بعدك فيسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أو سئل ما المخرج منها؟ قال بكتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد من ابتغي العلم في غيره أضله الله، ومن ولي هذا الأمر من جبار فحكم بغيره قصمه الله هو الذكر الحكيم والنور المبين والصراط المستقيم فيه خبر ما قبلكم ونبأ ما بعدكم وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل وهو والذي سمعته الجن فلم تنته أن قالوا : إنا سمعنا قرآنا عجباً يهدي إلى الرشد، لا يخلق على طول الرد ولا تنقضي عبره و لا تفني عجائبه) [١]. وقد انعقد إجماع المسلمين على أن القرآن الكريم هو أساس الدين والشريعة حتى صار عندهم مما علم من الدين بالضرورة، لا فرق في ذلك عندهم بين عصر وعصر وإقليم وإقليم، فهو حجة الله العامة على الناس أجمعين في كل زمان ومكان في عقائده وأحكامه وأخلاقه"[٢].

والقرآن الكريم يشمل على :-

١- العقائد ٢- الأخلاق الفاضلة ٣- الإرشاد إلى النظر والتدبر في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء. ٤- قصص الأولين أفراداً وأمماً لأخذ الاعتبار والاتعاظ. ٥- الإنذار والتخويف والوعد والوعيد والترغيب والترهيب [٣]

والقرآن الكريم من حيث الأحكام تراه يشتمل على:-

١- الأحكام الاعتقادية التي تتعلق بما يجب على المكلف اعتقاده في الله وملائكته ورسله واليوم الآخر.

---

[١]) الفقيه والمتفقة ص ٧٨، والحديث رواه الترمذي والدرامي.
[٢]) الإسلام عقيدة وشريعة ص ٥٠٠ الشيخ محمود شلتوت.
[٣]) المرجع السابق نفسه ص ٥٠١ بتصرف يسير.

٢- الأحكام الخلقية وهي التي تتصل بالفضائل التي يجب على المكلف أن يستظل برايتها وينضوي تحت أعلامها والرذائل التي لا بد للمكلف أن يبتعد عنها.

٣- الأحكام العملية التي تتصل بها، يصدر عن المكلف من قول أو فعل أو تصرف من التصرفات وهذا النوع ينقسم إلى:

١- أحكام تتعلق بالعبادات وهي تنظم علاقة الإنسان بربه.

٢- أحكام تتعلق بالمعاملات والتي تنظم علاقة المكلّف مع مكلف مثله وعلاقة المكلف مع المجتمع وعلاقة الأم بالأمم[١]

والقرآن كلام الله سبحانه غير مخلوق ليس لجبريل ولا للنبي صلى الله عليه وسلم فيه إلا البلاغ من غير تزيّد ولا نقصان ولا تحريف ولا تبديل ولقد تلقاه من النبي العدد الكثير من الصحابة، وعن الصحابة تلقاه الألوف من التابعين، وعن التابعين حمله الأولوف من بعدهم وهكذا في كل جيل وعصر حتى وصل إلينا كله، كما أنزله الله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، ومن هنا كان قطعي الثبوت ودلالته في بيان الأحكام، والتي تتلخص في :-

١- أن بعض آيات الأحكام قد جاءت بصيغة قاطعة في معنى معين فلم يكن محل اجتهاد المجتهدين كالآيات التي تتناول العقيدة والمواريث والحدود والقواعد الكلية للعبادات.

٢- والبعض الآخر من آياته جاءت بصيغة لا يتعين المراد منها، وهي بذلك قابلة لاختلاف الأفهام وكانت مجالاً للبحث والاجتهاد، ومن أمثلة هذا النوع تحديد القدر الذي يحرم في الرضاع ووجوب النفقة وتحديد المسح بالرأس في الوضوء[٢].

ومن هنا كان في القرآن الكريم الآيات المحكمة والمتشابهة والفرق بين النوعين أن الأولى ألفاظ قطعية الدلالة، وأن من أنكره يكون خارجاً عن الدين، أما الثاني فإن من

---

[١]) أصول الفقه ص ١٧٩ د. محمد زكريا البرديسي.
[٢]) الإسلام عقيدة وشريعة ص ٥٠٦ الشيخ شلتوت بتصرف شديد.

أنكر فيه فهماً معيناً لا يكون كذلك، والأول واجب الإتباع عيناً والثاني تختلف في تعيينه الأفهام، فإن كل مجتهد يتبع فيه ما ترجّح عنده، ويرى الشيخ شلتوت أن النوع الثاني تعددت منه المذاهب واختلفت فيه آراء الفقهاء واتسع نطاق ذلك الخلاف[1].

إلا أننا نرى الإمام أحمد هنا يدلي بدلوه ويقضي على الاختلاف ويرى أن النوع الثاني لا بد أن يحمل المتشابه فيه على المحكم، وبدل أن تتعدد الآراء وتتفرق الأمة لابد هنا من السنة لبيان ما أجمل وتوضيح المتشابه، وهذا ما سنبينه بالتفصيل إن شاء الله تعالى فيما يأتي في السنة.

الفصل الثاني

ويبحث في السنة النبوية الشريفة:

ويشتمل على مدخل وأربعة مباحث:-

***) المبحث الأول: تعريف السنة**

في اللغة وفي الاصطلاح

في صدر الإسلام

عند علماء الفقه الإسلامي

عند علماء الأصول

عند علماء الحديث

***) المبحث الثاني: حجية السنة**

[1]) المرجع السابق نفسه ص ٥٠٦ بتصرف.

١- الأدلة على حجتها.

٢- الشبه الواردة على عدم الاحتجاج بها والرد عليها.

***) المبحث الثالث: منزلة السنة من القرآن الكريم**

***) المبحث الرابع: مراتب الاستدلال بالسنة عند الإمام أحمد بن حنبل**

١- أقوال النبي صلى الله عليه وسلم (الحديث المتواتر) (حديث الآحاد)

٢- أقوال الصحابة.

٣-الحديث المرسل والضعيف (الحسن لغيره عنده)

٤-أقوال التابعين.

مدخل:-

هذا هو الشطر الثاني من النصوص عند الإمام أحمد بن حنبل لأنه جعل الكتاب والسنة أصلاً واحداً وسماه نصوصاً. وإن هذا لا يتنافى مع جعل القرآن الشطر الأساسي في الاعتبار، لأنه المبين لمقدار الاحتجاج بالسنة ولأنه قطعي الثبوت والسنة في الغالب- ظنية الثبوت والتقدم في الاعتبار لا ينافي التلاقي بينهما في جعلهما مصدراً واحداً.

ولقد وضح لنا الإمام الشاطبي تقديم القرآن في الاعتبار على السنة فقال: (رتبة السنة التأخر على الكتاب في الاعتبار)، والدليل على ذلك أمور:

١- أن الكتاب مقطوع به والسنة مظنونة والقطع فيها إنما يصح في الجملة لا في التفصيل بخلاف الكتاب فإنه مقطوع به في الجملة والتفصيل والمقطوع به مقدم على المظنون، فلزم من ذلك تقديم الكتاب على السنة.

٢- أن السنة إما بيان للكتاب أو زيادة عليه فإن كانت بياناً فهي ثان على المبين في الاعتبار، إذ يلزم من سقوط المبيّن سقوط البيان ولا يلزم من سقوط البيان سقوط المبيّن. وما شأنه هذا فهو أولى في التقدم وإن لم تكن تبياناً فلا تعتبر غير زائدة إلا بعد أن لم تكن في الكتاب وذلك دليل على تقدم اعتبار الكتاب.

٣- ما دل على ذلك من الأخبار والآثار لحديث معاذ (بم تحكم قال بكتاب الله قال فإن لم تجد؟ قال بسنة رسوله؟ قال فإن لم تجد قال أجتهد برأيي) [١].

ولأن ثبوت السنة نفسه آت من جهة القرآن.

المبحث الأول تعريف السنة

في اللغة:

تطلق كلمة السنة على حسب معاجم اللغة التي بين أيدينا بمعنى الطريقة المعتادة والسيرة حميدة كانت أو ذميمة، أو الطريقة والخطة المتبعة، وسنة الله ما جرى به نظامه في خلقه والجمع سنن[٢].

في الاصطلاح:

١- في صدر الإسلام ولسان الشرع

١- تطلق على ما كان من العبادات نافلة منقولة عن النبي.

٢- هي الصورة العملية التي بها طبق النبي وأصحابه أوامر القرآن على حسب ما تبين لهم من دلالة القرآن ومقاصده[٣].

---

[١] المرافقات جـ ٤ ص ٧ بتصرف – دار المعرفة – بيروت – لبنان.
[٢] القاموس المحيط جـ٤ ص ٢٣٩- المصباح المنير ص ٣٤٥- مختار الصحاح ص ٣١٧ معجم الفاظ القرآن الكريم جـ ١ ص ٦٠٢.
[٣] شلتوت ص ٥١١

٢-عند علماء الفقه الإسلامي

١- الفعل الذي دل الخطاب على طلبه طلباً غير جازم، فهي بذلك تقابل الواجب، فلا تشمل المندوب ولا المستحب ولا التطوع ولا النفل.

٢- عرفها آخرون ما يثاب فاعلها ولا يعاقب تاركها، وهي بهذا ترادف المندوب والمستحب والتطوع والنفل وتشملهم جميعاً.

ومن هذين التعريفين لعلماء الفقه ندرك أن السنة عند علماء الإسلام الطريقة الحسنة التي تعرّف الإنسان السلوك الفاضل في طريقه إلى الله)[١].

والفرق بين المفهومين عند علماء الفقه واضح:

*أن التعريف الأول خاص بالسنة المؤكدة التي تقابل الواجب.

* أن التعريف الثاني عامة تشمل كل فعل مسنون سواء كان سنة مؤكدة أو مستحبة أو فعلاً مندوباً.

٣- عند علماء الأصول

- ما صدر عن النبي من الأدلة الشرعية مما ليس بمتلوٍّ ولا هو معجز ولا داخل في العجز[٢].
- ما ورد عن النبي أو صدر عنه من قول أو فعل أو تقرير[٣]

ومن هنا ندرك الفر ق بين تعريف الفقهاء وأصول الفقه.

١- أن السنة دليل الحكم الشرعي-عند علماء أصول الفقه- وكانت بهذا الشطر الثاني من النصوص-الأصل الثاني- من المصادر التشريعية يستنبطون منه كما يستنبطون من الشطر الأول وهو القرآن ويرجعون إليها في فهم المراد منه ومن ذلك يقولون (أصول الشرع الكتاب والسنة) [٤]

---

[١]) السنة الاسلامية ص ٤
[٢]) الأحكام ج ١ ص ١٥٦
[٣]) القرآن عقيدة وشريعة ص٥١٣.
[٤]) السابق نفسه ص ١٣

٢- هي نفس الحكم عند علماء الفقه.

٤-عند علماء الحديث

- ما أضيف إلى النبي من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خُلُقِية أو خَلْقِية حقيقية أو حكماً حتى الحركات والسكنات في اليقظة والمنام أو إلى الصحابي أو التابعي من قول أو فعل وعلى هذا فالسنة تشمل الحديث المرفوع- الموقوف- المقطوع.
- وما أضيف إلى النبي من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خُلُقِية أو خَلْقِية حقيقة أو حكماً حتى الحركات والسكنات في اليقظة والمنام. وعلى هذا فهي خاصة بالمرفوع دون الموقوف والمقطوع.

- وما أضيف إلى النبي من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خُلُقِية أو خَلْقِية حقيقة أو حكماً[١]. وعلى ذلك فهي خاصة بالمرفوع فقط ويخرج حركاته وسكناته صلى اله عليه وسلم في يقظته ومنامه فهي خاصة به.

والذي يبدو لي راجحاً هو التعريف الأول للمحدثين لأنه هو:-

- الصحيح المشهور عند أهل السنة.
- لأن الله يأمرنا بإتباع الرسول صلى الله عليه وسلم. (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً) [٢]
- الصحابة عدول زكّاهم القرآن. (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار..) [٣]
- التابعون هم تلاميذ الصحابة نهلوا من معين علمهم وتخلقوا بأخلاقهم وكانوا قدوة صالحة لمن بعدهم (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه) [٤]، وهذا التعريف هو ما

---

[١] محاضرات في علوم الحديث جـ١ ص ٣٧ الشيخ النازي.
[٢] سورة الأحزاب آية رقم ٢١
[٣] سورة الفتح آية رقم ٢٩
[٤] سورة التوبة آية رقم ١٠٠

ارتضاه الإمام أحمد حينما قال: (ثم من بعد كتاب الله سنة النبي والحديث عنه وعن المهديين من صحابة النبي والتابعين من بعدهم)[1]

ومما يتقدم يتبين لنا أن كلمة سنة مرت بالمعاني الآتية:-

١- معناها في اللغة.
٢- معناها في صدر الإسلام.
٣-معناها عند الفقهاء.
٤- معناها عند الأصوليين.
٥-معناها عند المحدثين.

المبحث الثاني: حجية السنة:

والكلام على حجية السنة يشتمل على:-

١- الأدلة على حجيتها.

- لقد أجمع العلماء الثقات على حجية السنة سواء منها ما كان على سبيل البيان أو على سبيل الاستقلال وجعلوا العمل بها ضرورة دينية يقول الإمام الشوكاني: (إن ثبوت حجية السنة المطهرة واستقلالها بتشريع الأحكام ضرورة دينية ولا يخالف في هذا إلا من لاحظ له في الإسلام)[2] فلا عجب أن أجمع المسلمون على حجية السنة من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عصرنا هذا إلى ما شاء الله وذلك:-
- لأن العصمة صفة لازمة وواجبة بالشرع للنبي صلى الله عليه وسلم ويترتب عليها حتمية صدقه صلى الله عليه وسلم في كل ما ينطق به.
- تلقى الرسول صلى الله عليه وسلم عن الله القرآن الذي نزل عليه بالوحي.
- تلقى الرسول صلى الله عليه وسلم أحاديث قدسيَّة بلّغها إليه الوحي باللفظ أو به مع المعنى.

---

[1]) المناقب ص ١٦٨.
[2]) ارشاد الفحول إلى علم الأصول ص٢٩

- أحاديث نبوية شريفة يشرح بها النبي صلى الله عليه وسلم حكماً شرعياً بيّن حله وتحريمه [١].

ومن أجل ذلك ثبتت حجية السنة بالنص – وبالإجماع – وبالفعل.

فقد استفاض القرآن الكريم بالأدلة الكثيرة التي تثبت ذلك منها قوله تعالى: (من يطع الرسول فقد أطاع الله..) [٢]

فقد جعل الله –سبحانه وتعالى– طاعة رسوله من طاعته وهذا يوجب الإجماع على سنته صلى الله عليه وسلم وقوله جل شأنه: (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت وسلموا تسليماً)[٣]

فقد نفى الإيمان بمن لم يحتكم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يرضَ بحكمه ولم يسلّم له بكل ما قال وفعل[٤] ويقول الإمام الشافعي في إثبات حجية السنة: (فرض الله على الناس اتباع وحيه وسنة رسوله فقال في كتابه: (ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلّمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم) [٥] فذكر الله الكتاب هو القرآن وذكر الحكمة فسمعت وممن أرضاه من أهل العلم القرآن يقول: الحكمة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم)[٦]

ويقول جل شأنه: (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة من كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً) [٧] أي تأسوا برسول الله صلى الله عليه وسلم واقتدوا به فهو المثل الأعلى للكمال الإنساني.

فلابد من معرفة بدايته صلى الله عليه وسلم وسيرته ومكارمه وما أنعم الله به عليه في حياته من حيث هو فرد ورب أسرة وأب وداع إلى الله ونور وبرهان من ربه وقائد

---

١) السنة الإسلامية تبين اثبات الفاهمين ورفض الجاهلين.ص ١١ بتصرف .
٢) سورة النساء آية رقم ٨٠
٣) سورة النساء آية رقم ٦٥
٤) الحدود في الإسلام محمد أبو طهية .
٥) سورة البقرة آية رقم ٢٩.
٦) الرسالة ص ١٣
٧) سورة الأحزاب آية ٢١

وحاكم في حربه وسلمه وعباداته ومعاملاته من حيث هو قدوة ونبراساً وخاتم النبيين)[1]

وإذا اتبعنا الآيات التي تأمر بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم نجد أن الله جل جلاله لم يحدد هذه الطاعة لا بزمان ولا بمكان، لأنه جل شأنه ائتمنه على رسالته ولم يخبرنا أن نطيعه في شيء دون شيء فإنه صلى الله عليه وسلم – لا يأمر بما لا يرضي الله عز وجل فذلك مستحيل؛ ولذلك يقول رب العزة: (وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله) [2]

ومعنى– إلا ليطاع بإذن الله– أي أطيعوه فهو أمر من الله تعالى بطاعته والطاعة هنا عامة، ولا يعقل أن يأمر الرسول أمراً فنطالبه بنص من القرآن على هذا الأمر لأننا آمنا بأنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه لا يعقل أن يأمر إلا بما فيه رضاء الله –تبارك وتعالى– ومن أمره رسول الله –صلى الله عليه وسلم– بأمر فجادله فيه وطلب منه الدليل عليه من كتاب الله، فما عرف الله وما عرف الرسول لأن الرسول صلى الله عليه وسلم أعلم الخلق بكتاب الله وقد أنزله عليه وأمره ببيانه للناس قال تعالى: (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون) [3].

وقوله تعالى: (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) [4] ويقول الإمام الآمدي معلقاً على هذه الآية: (ومحبة الله واجبة والآية على أن متابعة النبي صلى الله عليه وسلم لازمة لمحبة الله الواجبة ويلزم من انتفاء اللازم انتفاء الملزوم وهو ممتنع) "[5].

إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة في هذا الباب.

أما من جهة السنة:

فقد روى جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يوشك أحدكم أن يقول هذا كتاب الله ما كان فيه حلالاً أحللناه وما كان فيه

---

[1]) سنة الرسول ١٢٠ للشيخ الحافظ التيجاني
[2]) سورة النساء أية ٦٤
[3]) سورة النحل ٤٤٤
[4]) سورة العمران آية ٣١
[5]) الأحكام جـ١ ص ١٦٢

حرام حرمناه، ألا من بلغه عني حديث فكذَّب به فقد كذب ثلاثه كذّب الله ورسوله وكذّب الذي جاء به) [١]

يرى الصحابي الجليل أبو هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، قالوا يا رسول الله ومن يأبى؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى) [٢].

***وأما من حيث الإجماع:**

فلقد أجمع الصحابة والتابعون وتابعوهم والأئمة الأربعة والمسلمون على وجوب طاعة الرسول وحجية السنة. ويقول سيدنا عمر رضي الله عنه وأرضاه حينما كان يقبل الحجر الأسود: (إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أنني رأيت رسول الله – صلى الله عليه وسلم– يقبلك ما قبلتك) [٣]

ويقول الإمام أبو حنيفة : (لعن الله من يخالف رسول الله –صلى الله عليه وسلم– به أكرمنا الله وبه استنقذنا)، ويقول الإمام مالك: (كل أحد يؤخذ من قوله أو يترك إلا صاحب هذه الروضة) ويقول الإمام الشافعي: (مهما قلت من قول أو أخذت من أصل وفيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلاف ما قلت، فالقول ما قال رسول الله صلى اله عليه وسلم وهو قولي).

ويقول الإمام المحتسب أحمد بن حنبل: (إن الله بعث محمداً بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، وأنزل عليه الكتاب بالهدى والنور لمن اتبعه وجعل رسوله الدال على ما أراد من ظاهره وباطنه، وخاصه وعامه، وناسخه ومنسوخه، أقصد له الكتاب فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو البصير بكتاب الله الدال على معانيه) [٤]

أما من جهة المعقول:

---

[١]) رواه الترمذي وابن ماجه فقع عن كتاب الفقه والمتفقة ص ١٠٤.
[٢]) صحح البخاري جـ٩ ص ١١٤ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة والاقتداء بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.
[٣]) الأحكام، (ج١/ ص١٦٣) للآمدي.
[٤]) رجعنا في قول الأئمة إلى السنة الإسلامية بين إثبات الفاهمين ورفض الجاهلين ص١٥وما بعدها.

فإذا كان قد ثبتت حجة السنة بالقرآن الكريم والإجماع فإن ذلك –بداهة– يثبت بالمعقول والإثبات من جهة المعقول من نواحٍ كثيرة منها:

- أن فعله صلى الله عليه وسلم يحتمل أن يكون موجباً للفعل علينا واحتمل أن لا يكون موجباً، والحمل على الإيجاب أولى لما فيه من الأمن للتبعات عن ترك الواجب.
- إن النبوة من الرتب العلِيّة والأوصاف السَّنِيّة.
- إن أفعاله عليه الصلاة والسلام قائمة مقام أقواله في بيان المجمل وتخصيص العموم وتقييد المطلق من الكتاب والسنة فكان فعل محمد لا على الوجوب كالقول) [1]

وبذلك قد ثبتت حجية السنة كمصدر من مصادر التشريع في الإسلام والاعتماد عليها في استنباط الحكم الشرعي وثبوت التكليف بها.

٢–الشبه الواردة على عدم الاحتجاج بالسنة والرد عليها:–

على الرغم من ثبوت الاحتجاج بالسنة نصاً وإجماعاً وعقلاً إلا أنه يوجد فريق قليل لا يعتد به التبست أمامهم الحوادث وقصروا همهم عن أسرار التشريع فرفضوا حجية السنة واكتفوا بما في القرآن الكريم على حد زعمهم، أولئك هم السطحيون في الفهم قصاري النظر في الحفاظ على الإسلام بحضارته وعلومه وعلى الرغم من قلة هؤلاء وسطحيتهم إلا أننا سنأتي بشبههم وتعندها من قبيل الرد عليهم وردعاً لإتباعهم ولأمثالهم في العصر الحديث وخاصة في الآونة الأخيرة حيث ظهر اتجاه يدعو إلى أحياء دعوى عدم حجية السنة والاعتماد على القرآن الكريم فقط ويعتمد في ذلك على حسب زعمهم على الكتاب والسنة، سأكتفي بأخذ شبهة من الكتاب وشبهة من السنة كنموذج.

أ–الشبه التي اعتمدوا عليها لتأييد دعواهم على حد زعمهم من القرآن:–

الشبة الأولى:–

---

[1]) الأحكام في أصول الأحكام جـ١ ص ١٦٣

يستدلون على ذلك بقوله تعالى: (ما فرطنا في الكتاب من شيء)[1] وشبهتهم في ذلك أنهم فهموا أن القرآن اشتمل على جميع أمور الدين وبيّنه للناس فإنهم إن احتاجوا إلى شيء كان القرآن غير مستوعب لكل أمور الدين وهذا خلف يستلزم عدم الصدق في خبر الله تعالى وهو محال فما أدى إليه يكون محالاً.

الرد عليها:-

١- أساس الشبهة أنهم فهموا بأن المراد من الكتاب القرآن ولكننا إذا نظرنا إلى مجموع الآيات لوجدناه يقول: (وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون)[2] فللآيات بداية ونهاية تقرر بأن المراد من الكتاب هو اللوح المحفوظ.

٢- نسلم بأن المراد من الكتاب القرآن ولكننا نقول إن هذا العموم غير تام بل هو مخصص بقوله تعالى: (وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) [3] وهذا التخصيص لهذا العام مهم لتتفق آيات الكريم ولا تتعارض في ظاهرها، فالقرآن مليء بالآيات التي فوّض الله نبيه في شرح الأحكام، ولأن كثيراً من الأمور الجزئية في حياة المجتمع يحتاج إلى حكم وليس في القرآن إلا قواعده الكلية العامة كالصلاة والزكاة....الخ

ومن هنا يضع القرآن قاعدة رئيسية عامة ترد على مزاعم الرافضين حجية السنة فيحدد القرآن الكريم عمل النبوة مع وجوده يقول تعالى: (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) [4]

٣- ونسلم أيضاً أن المراد من الكتاب القرآن على عموميته دون تخصيص ولكن ما هو المراد من شيء لقد جاءت جدّةٌ ذات يوم إلى أبي بكر الصديق تطلب منه الميراث في ابنها فقال لها: ليس لك في كتاب الله شيء وما علمت أن

---

[1]) الأنعام ص ٣٨
[2]) المرجع السابق ص ٣٨
[3]) سورة النحل ص ٦٤.
[4]) سورة الحشر آية ٧.

رسول الله جعل لك شيئاً ثم استفتى الناس فقال له أحد أصحابه سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يعطيها السدس وعلى ذلك فلا بأس أن يكون الكتاب هو القرآن وأن يكون القرآن حاوياً كل القواعد الكبرى التي تنظم للناس شئون دنياهم وتكون السنة هي الموضحة لهذه المعالم لأنه اتضح بأن المراد من شيء في الآية ليس كل الأحكام التي يحتاج إليها المجتمع إنما المراد هي الأحكام الرئيسية العليا ثم تأتي السنة لتوضحه أو تبينه وإلى هذا يشير قوله تعالى: (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم)[1]

وبهذا فلا مجال لوجود الشبهة في حيز الافتراض والمناقشة فهي من كل زاوية ضعيفة القدرة على أن تقف لتمنع الاحتجاج بالسنة أو لرفض كونها مصدراً أساسياً للتشريع الإسلامي.

الشبهة الثانية:-

يستدلون فيها بقوله تعالى: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)[2] وهم يفهمون على حسب وجهة نظرهم أن المراد من الذكر القرآن وأن الضمير في قوله تعالى (له) عائد على القرآن وأن الآية فيها حصر طريقة الجار والمجرور وهذا الحصر يفيد عندهم قصر الحفظ على القرآن وحده دون ما عداه فلو كانت السنة مصدراً أساسياً في التشريع لتكفل الله بحفظها كما تكلف بحفظ القرآن الكريم.

الرد عليها:-

١- ليس بلازم في الاحتمالات العقلية ليكون المراد من الذكر هو القرآن وحده،إذ لو كان المراد هو القرآن لصرح الله به باللفظ كقوله تعالى: (إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم) ولو كان المراد بالذكر القرآن لعبر عنه بالضمير إنا نحن نزلناه، وإذن فليس بالحتم أمام فهم العقل أن يكون بالذكر هو القرآن الكريم فقط دون غيره وأنه الأقرب من هذا التفسير أن يكون المراد من الذكر الرسالة والشرف الذي يستحقه الرسول وسياق السورة يدلنا على ذلك.

---

[1]) سورة النساء آية رقم ٥٩
[2]) سورة الحجر آية رقم ٩

٢- وقد يكون المراد من الذكر الشريعة ويرشح لهذا الاحتمال ما تناولته السورة بعد الآية التي معنا (ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين...) [١]

٣- نسلم بأن المراد بالذكر هو القرآن وأن الضمير في قوله (له) عائد عليه ولكن الحصر على أن السنة لم تدخل في دائرة الحفظ لقصره على القرآن فقط ويترتب على هذا الحصر عدم صحة الاحتجاج بالسنة. إن هذا الحصر ليس حصراً حقيقياً والدليل أن الله يحفظ السموات والأرض أن تزولاً يقول تعالى: (إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولاً ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليماً غفوراً) [٢].

وقد حفظ الله نبيه من القتل (والله يعصمك من الناس) وإذا بدا حقيقة القصر فقد فَسَدَ المترتب عليه وهو عدم الاعتراف بحجية السنة ويكون وعد الله بحفظ السنة داخل في مضمون حفظه للقرآن إذ السنة توضيح وبيان لما في القرآن (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم)[٣] والحصر من الآيات بطريقة الجار والمجرور هو عند علماء المعاني من الدرجة الثالثة فلو كان المقصود الحصر لاستعمل القرآن الحصر الحقيقي أو بطريق ما وإلا أو أنما.

ب-الشبهة التي اعتمدوا عليها من السنة – على حد زعمهم – لتأييد دعواهم.

الشبهة الثالثة:-

يقولون بأن الرسول صلى الله عليه وسلم نهى عن كتابة السنة فلقد ورد عنه أنه قال: (لاَ تَكْتُبُوا عَنِّى وَمَنْ كَتَبَ عَنِّى غَيْرَ الْقُرْآنِ فَلْيَمْحُهُ وَحَدِّثُوا عَنِّى وَلاَ حَرَجَ وَمَنْ كَذَبَ عَلَىَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ) [٤]، وكذلك يقولون قد ورد من طريق أبي مليكة مرسلاً أن أبا بكر جمع الناس بعد وفاة الرسول وقال: إنكم تحدثون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في أحاديث تختلفون فيها والناس بعدكم أشد أخلاقا فلا تحدثوا عن رسول الله شيئا.

---

[١] سورة الحجر آية رقم ١٠
[٢] سورة فاطر آية ٤١
[٣] سورة النحل آية ٤٤
[٤] رواه مسلم عن طريق أبي سعيد الخدري، كتاب الزهد والرقائق باب ١٧، رقم : ٧٧٠٢.

وإذا كان الرسول نهى عن تدوين السنة وأبو بكر منع الناس أن يحدثوا عن رسول الله كان مدلول هذا عدم الاحتجاج بالسنة وهذه هي شبهتهم.

الرد عليها:-

١- في الحديث الذي رواه أبو سعيد الخدري نقطتان.

- أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتحديث عنه دون حرج.
- نهيه عن تدوين السنة ومحو ما دوّن منها، ومفهوم أن النبي أمر بحفظ السنة بطريق واحد هو طريق الحفظ والتحديث والرواية عنه دون طريق الكتاب والتقييد.
- وعلى هذا فلا سند للمشتبهين في عدم الاحتجاج بالسنة في هذا الحديث.

٢- عدم الأمر بكتابة السنة لا ينفي حجيتها كمصدر أساسي للتشريع إذ أن مصدريتها غير متعلقة بالكتابة والتدوين.

٣- الحديث الذي يرويه ابن أبي مليكة فإنه يفيد حرص أبي بكر على سلامة متن الحديث من بعض الرواة من غير دقة أو فهم، وهذا لا يصطدم مع كون السنة مصدر أساسي للتشريع لاسيما إذا لاحظنا أن أبا بكر نفسه أنفذ للجدة نصيبها من الميراث مستنداً إلى السنة، فعمل أبو بكر بالسنة يوضح تقييده من حديث أبي مليكة والحرص على سلامة متن الحديث وهو أمر لا يتنافى مع موضوع حجية السنة.

٤- على أن الاستدلال بهذين الحديثين يقابل أحاديث أخرى كثيرة تفيد حجية السنة فعلى سبيل المثال لا الحصر.

عن المقداد بن معد كرب الكندي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أوتيت الكتاب وما يعدله، يوشك شبعاناً على أريكته يقول بيننا وبينكم هذا الكتاب فما كان فيه من حلال أحللناه وما كان من حرام حرَّمْنَاه ألا لا يحل ذو ناب من

السباع ولا من الحمار الأهلي ولا اللقطة من مال معاهد إلا أن يستغني عنها وأيما رجل أضاف قوماً فلم يقروه فإن له أن نعقبهم بمثل قراه) [١]

٥- ونقول إذا كان هؤلاء لا يعترفون بحجية السنة، فكيف يأخذون بها في إثبات دعواهم بعدم حجية السنة؟ وإذا كانوا كذلك فعليهم أن يأتوا لنا بدليل من القرآن الكريم ذاته يخبرنا فيه بترك ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تصريحاً أو تلميحاً.

المبحث الثالث منزلة السنة من القرآن الكريم عند الإمام أحمد:-

لقد شدد الإمام أحمد في اعتبار السنة مفسرة تفسيراً صحيحاً للقرآن، وفي رأيه أنه لا يمكن أن يقع التعارض بين ظاهر القرآن والسنة لأن ظاهر القرآن يُحْمل على ما جاءت به السنة فهي المبينة والمفسرة له فيقول: (للسنة عندنا آثار رسول الله والسنة تفسر القرآن وهي دلائل القرآن) [٢].

وقد صنف الإمام أحمد كتاباً في طاعة الرسول رد فيه على من احتجَّ بظاهر القرآن في معارضة سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم وترك الاحتجاج بها فقال في أثناء خطبته: (إن الله جَلَّ ثناؤه وتقدست أسماؤه بعث محمداً بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، وأنزل عليه كتابه بالهدي والنور لمن اتبعه وجعل رسوله الدال على ما أراد من ظاهره وباطنه وخاصه وعامه وناسخه ومنسوخه وما قصد له الكتاب فكان رسول الله هو المعبِّر عن كتاب الله الدال على معانيه، شاهده في ذلك أصحابه الذين ارتضاهم الله لنبيه واصطفاهم له ونقلوا ذلك عنه فكانوا هم أعلم الناس برسول الله وبما أراد الله من كتابه بمشاهدتهم وما قصَد له الكتاب فكانوا هم المعينون في ذلك بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم) [٣].

---

[١] الحديث رواه أبو داود والترمذي.
رجعنا في الشبهة إلى المراجع الآتية:
- الإسلام عقيدة وشريعة ص ٥٩٦ للشرح شلتوت بتصرف شديد .
- السنة الإسلامية بين أثبات الفاهمين ورفض الجاهلين ص ١٨ وما بعدها – متولي شلبي بتصرف شديد.

[٢] مفتاح الاحتجاج بالسنة ص ٣٩

[٣] اعلام الموقعين جـ ص ٢٩٠

من الرواية السابقة نستطيع أن نستنتج:-

١- أن ظاهر القرآن لا يقدم على السنة.

٢- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يفسر القرآن وليس لأحد أن يتأوّل فيه أو يفسره لأن السنة وحدها هي بيانه فلا يطلب البيان من غير طريقها.

٣- أن الصحابة هم الذين يفسّرون القرآن إذا لم يكن ثمة أثر عن النبي لأنهم هم الذين شاهدوا التنزيل وعرفوا سنة النبي صلى الله عليه وسلم فتفسيرهم من السنة.

وبهذا أغلق الإمام عديد من أبواب الفتن أمام أصحاب الرأي والتأويل لذلك نراه أيضاً في موضوع آخر يحدد رأيه بصراحة تحديداً دقيقاً فيقول: (أصل الإسلام أربعة: دال، دليل، ومبيّن، ومستدل فالدال هو الله والدليل هو القرآن والمبيّن هو الرسول قال تعالى: (لتبين للناس ما نزل إليهم) والمستدل هم أولوا العلم وأولوا الألباب الذين أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم)[١]

ومن أجل الوصول لتحقيق بغيته في هذا نراه يذكر حجج من عارضوا السنن بظاهر القرآن ثم يفندها ويطلبها ويذكر أمثله لهذا ويتبعها بآيات تثبت وجهة نظره في إيجاب طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم. فيذكر أن الذين يعارضون السنة بظاهر القرآن لهم طريقان في ردها فيقول: (لهم طريقان في رد السنن: أحدهما ردها بالمتشابه من القرآن أو من السنن. ثانيهما: جعلهم المحكم متشابهاً ليحطوا دلالته)[٢].

وبعد أن ذكر حجج وطريق هؤلاء أخذ يرد عليهم فنجده يقول: (أما طريق الصحابة والتابعين وهي أنهم يردون المتشابهة إلى المحكم ويأخذون من المحكم ما يفسّر لهم المتشابه ويبينه لهم فتتفق دلالته مع دلالة المحكم وتوافق النصوص بعضها بعضاً

---

[١]) النبوات ص ٤٢

[٢]) أعلام الموقعين جـ١ ص ٢٩٤.

ويصدّق بعضها بعضاً فإنها كلها من عند الله وما كان من عند الله فلا اختلاف فيه ولا تناقض وإنما الاختلاف والتناقض فيما كان من عند غيره)[1]

وهكذا يفسر الإمام أحمد القرآن الكريم الشطر الأول من مصدره، أما للقرآن نفسه بردِّ المتشابه إلى المحكم أو تفسيره بالسنة ليعلق الباب أمام التيارات المنحرفة في التفسير من تفسير آيات الصفات والمتشابهات من القرآن؛ لذلك نرى ابن القيم يأتي بأمثله كثيرة لهذا فيقول: ولأهمية هذا الأصل لشدة حاجة كل مسلم إليه نذكر منها مثالاً واحد يقول ابن القيم: رد الجهمية النصوص المحكمة غاية الأحكام المبينة بأقصى غاية البيان أن الله موصوف بصفات الكمال من العلم والقدرة والإرادة والحياة والكلام والسمع والبصر والوجه واليدين والغضب والرضا والفرح والضحك والرحمة والحكمة وبالأفعال كالمجيء والإتيان والنزول إلى السماء الدنيا ونحو ذلك.

والعلم بمجيء الرسول بذلك وإخباره به عن ربه إن لم يكن فوق العلم بوجوب الصلاة والصيام والحج والزكاة وتحريم الظلم والفواحش والكذب فليس يقصر عنه فالعلم الضروري حاصل بأن الرسول أخبر عن الله بذلك وفرض على الأمة تصديقه فيه فرضاً لا يتم الإيمان إلا به فردّ الجهيمة ذلك بالمتشابه من قوله: (ليس كمثله شيء) ومن قوله (هل تعلم له سميا) ومن قوله (قل هو الله أحد)، ثم استخرجوا من هذه النصوص المحكمة المبينة احتمالات وتحريفات جعلوها به من قسم المتشابة) [2].

أي أن الرسول والصحابة يردون المتشابه إلى المحكم أما هؤلاء فيردون المحكم إلى المتشابه وبذلك وقعوا في غيابات الفكر المنحرفة.

وهذا ما دعا الإمام أحمد إلى تمسكه الشديد بجعل السنة مفسّرة ومبيّنة للقرآن ومحدّداً وظيفتها بذلك لإغلاق أبواب الفتن أمام العقل القاصر، ومن أجل هذا نراه يذكر الأدلة التي تدفع هؤلاء الذين لا يأخذون بالسنة أو بأنها تتعارض مع ظاهر القرآن أو يحملون المحكم إلى المتشابه فيذكر الأدلة التي توجب عليهم الالتزام بإطاعة الرسول في هذا فيقول: (كان القرآن ينزل على رسول الله وهو يعرف تأويله وما عمل من

---

[1]) اعلام الموقعين جـ ص ٢٩٤ انظر أيضاً الطرق المحكمة في السياسة الشرعية للإمام ابن القيم الحوزية تحقيق د. محمد جميل غازي ص١٠٧ : ١٠٩.

[2]) ذكر بن القيم الثانية عشر مثالاً بالتفصيل في أعلام الموقعين جـ٢ ص ٢٩٤.

شيء عملنا به، ثم ساق الآيات الدالة على طاعة الرسول فقال جل شأنه في أول سورة آل عمران: (واتقوا النار التي أعدت للكافرين وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون) وقال: (قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين) وقال في سورة النساء: (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شَجَرَ بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما..) [1]

ومن هنا نرى الإمام أحمد يحدّد وظيفة السنة بأنها تفسر الكتاب. وتبينه قال الفضل بن زياد: (سمعت أحمد بن حنبل وسئل عن الحديث الذي روي أن السنة قاضية على الكتاب قال: (ما أجسَرُ على هذا أن أقوله، ولكن السنة تفسّر الكتاب وتعرف الكتاب وتبينه)[2]

من أجل ذلك نرى الإمام أحمد قد قرّر أن علم الكتاب يكون عن طريق السنة وأن طلب الدين يكون عن طريقها أيضاً، وأن السبيل المعبِّد لطلب فقه الكتاب وشرائعه الحقة يكون عن طريق السنة وأن الذين يقتصرون على القرآن من غير الاستعانة بالسنة في بيانه وتعرف شرائعه يضلون سواء السبيل ولا يهتدون إلى الحق القويم.

المبحث الرابع: مراتب الاستدلال بالسنة عند الإمام أحمد:

إن الإمام أحمد يرى السنة هي الشطر الثاني من النصوص فإذا وجد الحكم في القرآن لم يتعده إلى غيره، وإذا لم يجده فيه انتقل إلى السنة النبوية الشريفة، ويرى الإمام أن السنة من حيث مراتب الاستدلال بها على الترتيب هي:-

١- أقوال النبي صلى الله عليه وسلم.

- الحديث المتواتر.
- حديث الآحاد.

٢- أقوال الصحابة.

٣- الحديث المرسل والضعيف (الحسن لذاته عند الإمام)

---

[1] ذكر بن القيم جميع الآيات التي توجب طاعة الرسول أي في الأخذ بسنته-ا لتي ذكرها الإمام أحمكد في حجج القرآن من أراد التفصيل فليرجع إلى أعلام الموقعين جـ ١ ص ٢٩١.

[2] الكفاية في علما لرواية ص ٤٧ للخطيب البغدادي ت ٤٦٣ هـ دار الكتب الحديثة ط(١).

٤- أقوال التابعين.

وسنبين رأي الإمام أحمد في أخذه بكل منهم ومقدار استدلاله ومراتبه عنده:-

(١)أقوال النبي صلى الله عليه وسلم:

إذا نظرنا إلى أقوال النبي صلى الله عليه وسلم لوجدناها أحاديث متواترة[١] وأحاديث آحاد[٢] والأحاديث المتواترة تفيد القطع واليقين ويؤخذ بها في العقائد وغيرها.

أما أحاديث الآحاد فترى الإمام أحمد رحمه الله أخذ بها في العمل- كغيره من الأئمة، وزاد عليهم في أنه أخذ بها في الاعتقاد أيضاً ويسير على مقتضاها ولا يقتصر في الأخذ بها على العمل وحده، نرى ذلك واضحاً في رسالته إلى مسدّد بن مسَوْهِد البَصْرِي حين يقول: (..الميزان حق والصراط حق.. والإيمان بالحرص والشفاعة حق والإيمان بالعرش والكرسي حق والإيمان بملك الموت أنه يقبض الأرواح ثم يرد الأرواح إلى الأجساد، ويسألون عن الإيمان والتوحيد والرسل والإيمان بالنفخ في الصور، والصور قرن ينفخ فيه إسرافيل... وقلوب العباد بين أصبعين من أصابع الله والدجال خارج في هذه الأمة لا محالة، وينزل عيسى بن مريم فيقتله بباب لد....) [٣]

هذه الأمور المذكورة في الرواية السابقة معظمها ثابت بأخبار الآحاد والإمام أحمد لحجية السنة عنده يأخذ به في العمل والاعتقاد إذا لم يجد نصاً في القرآن أو حديثاً متواتراً. وعلى هذا يعتبر حديث الآحاد في المرتبة الثانية من أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم- وبعد المتواتر عند الإمام أحمد على معنى يوجب الإيمان به وإن لم يكفر منكره.

---

[١]) المتواتر في اللغة عبارة عن أشياء واحداً بعد واحد بينهما مهلة ومنه قوله تعالى" ثم أرسلنا رسلنا تترى" أي واحداً بعد واحد بمهلة في اصطلاح الأصوليين ١- عبارة عن خبر جماعة بلغوا في الكثرة إلى حيث عمل العلم به ولهم.٢- الخبر المفيد للعلم اليقيني بمخبره وهو غير مانع لدخول خبر الواحد الصادر فيه.٣- خبر جماعة يفيد بنفسه للعلم بمخبره. الأحكام في أصول الأحكام جـ٢ ص ١٤.

[٢]) الحديث الآحاد هو ما رواه واحد أو أكثر ولم يصل إلى حد التواتر أو فقد شرطاً من شروطه . محاضرات في علوم الحديث جـ٢ ص ٣٩

[٣]) المناقب ص١٩٦

وإذا لم يكن نص في القرآن أو حديث متواتر أو آحاد انتقل إلى أقوال الصحابة.

(٢)أقوال الصحابي[١]

حجية أقوال الصحابة عند الإمام أحمد:-

يرى الإمام أحمد أن أقوال الصحابة وفتاويهم حجة عنده تلي حجة أحاديث الرسول الصحيحة –المتواتر، الآحاد– وتتقدم على المرسل من الأحاديث والضعيف من الأخبار لأنه لا يسأل عن عدالة أحد منهم بأن ذلك أمر مفروغ منه لكونهم على الإطلاق معدلين بنصوص الكتاب والسنة وإجماع من يعتد به في الإجماع من الأمة فلقد ثبتت عدالتهم بآيات كثيرة من القرآن نذكر منها دليلاً واحداً قوله تعالى:

---

[١] **تعريف الصحابي:** الصحابي مأخوذ من الصحبة وإذا تتبعنا لفظ صحبة لوجدناها مشتقة من مادة صحب وهي: أ– في اللغة تدور حول معنيين: ١– مطلق الاجتماع ولو ساعة. ٢– أما في العرف فتدل على طوال الملازمة، يقول صاحب القاموس المحيط" الصحبية صحبة ... واستصحبه دعاه إلى الصحبة ولازمه". (جـ١ / ص٩٥). بعد اصطلاحها فقد أختلف في تعريفة فمنهم من نظر إلى معنى الصحبة في اللغة ومنهم من نظر إلى معناها فيا لعرف وعلى ذلك يكون تعريف الصحابي في الاصطلاح كالآتي:-

١- الصحابي هو من رأي النبي صلى الله عليه وسلم وهو مؤمن وأن لم يختص به اختصاص المصحوب ولا رو عنه ولا طالت مدة صحبته– الأحكام جـ٢ ص ٢ الترمذي. وهذا التعريف هو الذي مال إليه الإمام أحمد لأنه يرى أن الصحابي هو من رأي الرسول صلى الله عليه وسلم ولو ساعة أو صحب الرسول– سنة أو شهر أو يوماً أو ساعة أو رآه فهو من أصحابه له من الصحبة على قدر ما صحبه وكانت سابقته معه وسمعمنه ونظر إليه " الكفاية " ص٩٩.

٢- التعريف الآخر للصحابي يطلق على من " رأي النبي صلى الله عليه وسلم وهو مؤمن وأخشى به اختصاص المصحوب وطالت مدة صحبته وأن لم يرو عنه " الأحكام جـ٢ ص٨٢ والتعريف الأول– فيما يبدو– هو الصحيح لأمور:-

١- أن الصاحب مشتق من الصحبة والصحبة تعم القليل والكثير ومنه يقال صحبته ساعة أو شهراً أو يوماً أو لحظة.

٢- إن الإنسان إذا حلف أنه لا يصحب فلاناً في السنة فإنه يبدو بحيث إذا صحبة ساعة أو لم يصحبه .

٣- إن إنساناً لو قال صحبت فلاناً ساعة أو يوماً فأخذت منه علماً فيجوز– الأحكام جـ٢ ص ٨٣ بتصرف يسير.

٤-

(والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم) [١]

فوجه الدلالة كما يقول ابن القيم: (إن الله تعالى أثنى على من اتبعهم فإذا قالوا قولاً فاتبعهم متبع عليه قبل أن يعرف صحته فهو متبع لهم، فيجب أن يكون محموداً على ذلك، وأن يستحق الرضوان) [٢]

وأما من السنة ما رواه أبو عبدالله بن بطة من حديث الحسن عن أنس أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن مثل أصحابي في أمتي كمثل المِلح في الطعام لا يصلح الطعام إلا بالمِلح)[٣]

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: (لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحُد ذهباً ما أدرك مُد أحدهم ولا نصيفه) [٤]

ومن ذلك نرى بأنه لا صحة لمن لا يعترف بأقوال وفتاوى الصحابة، كالشيعة لثبوت عدالتهم وحجية أقوالهم، لذا نرى الإمام ابن القيم يذكر أدلة وجوب اتباع الصحابة، ويرد على هؤلاء بستة وأربعين وجهاً) [٥].

ومن أجل مكانتهم في التبليغ عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يعتبر تقليدهم تقليداً لهم، بل اتباع لما يبلغوننا عن النبي صلى الله عليه وسلم، مما سمعوا منه أو صنعوا بين يديه فأقره أو أنكره.

ولالتزام أحمد بفتاوى الصحابة قدمها على الحديث المرسل والضعيف، قال اسحق بن إبراهيم بن هاني في مسائله قلت لأحمد: (حديث مرسل عن رسول الله برجال ثُبُت

---

[١] سورة التوبة آية رقم ١٠٠
[٢] اعلام الموقعين جـ٤ ص ١٢٣
[٣] المرجع السابق نفسه جـ٤ ص ١٢٣
[٤] التشييد والإيضاح شرح مقدمه بن الصلاح ص٣٠١ للحافظ العراقي ت ٨٠٦ ط ٦٩١
[٥] انظر أعلام الموقعين جـ٤ ص ١٢٣ : ١٥٥

أحب إليك أم حديث عن الصحابة والتابعين تصل برجال ثبُت؟ قال أبو عبد الله عن الصحابة أحب إليّ) [1]

ويُحتِّم عليَّ المقام أن أشير بأن الصحابة التي يأخذ بها الإمام أحمد بن حنبل هي ما نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم قولاً أو فعلاً أو تقريراً أو صفة مضافة إليه في زمنه، أما أقوالهم وأفعالهم التي لم تضف إلى النبي صلى الله عليه وسلم فلا تكن حجة إلا إذا أخِذت على أنها من باب الاجتهاد منهم، وعلِم أنها منهم وأخذ بها الأئمة، عندئذ يحكم بها ووجب القطع على أنها شرع ثابت حجيته تحرم مخالفته"[2].

درجة أخذه من فتاوى الصحابة:

كان لفتاوى الصحابة عند الإمام أحمد درجتان:

أولاهما: إذا وجد الإمام أحمد فتوى لصحابي ولم يجد له مخالف أخذ بها ولم يتعداها إلى غيرها ولم يقل إن في ذلك إجماع يقول ابن القيم: (إذا وجد لبعضهم فتوى لا يعرف له مخالف منهم فيها لم يُعدِّها إلى غيرها، ولم يقل: إن ذلك إجماع بل من ورعه في العبارة يقول لا أعلم شيئاً يدفعه) [3]

ثانيهما: إذا وجد الإمام أحمد اختلافاً فيما بين يديه من فتاوى الصحابة فإنه ينظر فيها على الكيفية الآتية:

١- أما أن يأخذ بقول صحابي واحد ويدع الباقي (كأخذه برأي أنس في قبول شهادة العبد) [4]

٢- يذكر جميع الآراء الواردة دون أن يميل إلى أي رأي فيهم.

٣- يتخير من بين هذه الآراء ما هو أقرب إلى الكتاب والحديث الصحيح يقول ابن القيم: (إذا اختلف الصحابة تخير من أقوالهم ما كان أقربها إلى الكتاب

---

[1] أحمد بن حنبل إمام أهل السنة ص ٢٦٦
[2] الكفاية في علم الرواية ص ٥٩٤ بتصرف شديد.
[3] أعلام الموقعين جـ١ ص ٣٠
[4] أحمد بن حنبل حياته وعمره ص ٢٨٧

والسنة ولم يخرج عن أقوالهم، فإن لم يتبين له موافقة أجبر، الأقوال حكا الخلاف فيها ولم يحزم بقول) [1]

٤- يقسم الصحابة على درجات: الخلفاء الراشدين، ثم الذين يلونهم، وهكذا فإذا وجد قولين أحدَهما للخلفاء الأربعة والآخر لغيرهم أخذ بقول الخلفاء الأربعة وترك القول الآخر، على نحو يذكره لنا ابن القيم بقوله: (إذا قال الصحابي قولاً فإما أن يخالفه صحابي آخر أو لا يخالفه، فإن خالفه مثله لم يكن قول أحدهما حجة على الآخر، وإن خالفه أعلم منه كما إذا خالف الخلفاء الراشدون أو بعضهم غيرهم من الصحابة في حكم فهل يكون الشق الذي فيه الخلفاء الراشدون أو بعضهم حجة على الآخرين؟ فيه قولان للعلماء وهما روايتان عن الإمام أحمد، والصحيح أن الشق الذي فيه الخلفاء أو بعضهم أرجح وأولى أن يؤخذ له من الشق الآخر، فإن كان الأربعة في شق فلا شك أنه الصواب، وإن كان أكثرهم في شق فالصواب فيه الأغلب، وإن كانوا اثنين و اثنين فشق أبو بكر وعمر أقرب إلى الصواب، فإن اختلف أبو بكر وعمر فالصواب مع أبي بكر) [2]

وعلى ذلك يكون الإمام أحمد قد وضع أقوال الصحابة في المرتبة التي تلي أحاديث الآحاد فإذا وجد ما يريده في الكتاب أو الحديث لم يلتفت إلى أقوال الصحابة، وإذا لم يجد أحد منها على النحو السابق الذي ذكرناه آنفاً يقول ابن القيم: (كان الإمام أحمد إذا وجد النص أفتى بموجبه ولم يلتفت إلى ما خالفه ولا من خالفه كائناً من كان) [3] وإذا لم يجد فيهم ينتقل إلى الحديث المرسل والضعيف.

ولقد ضبط أهل الحديث آخر من مات من الصحابة وهو على الإطلاق (أبو الطفيل عامر بن واثلة الليثي كما جزم به مسلم في صحيحه، وكان موته سنة مائة، وقيل سنة سبع ومائة، وقيل: سنة عشر ومائة) [4]

---

[1]) أعلام الموقعين جـ١ ص ٣١
[2]) أعلام الموقعين جـ٤ ص ١١٩
١) المرجع السابق جـ٤ ص٣١ ص١١٩.
[4]) فتح الباري جـ٧ ص ٥ للحافظ ابن حجر العسقلاني، المطبعة السلفية.

ويرجح الإمام العسقلاني أن آخر من مات من الصحابة مات سنة مائة ويستدل على هذا فيقول: (وهو مطابق لقوله صلى الله عليه وسلم –قبل وفاته بشهر–:(على رأس مائة سنة لا يبقى على وجه الأرض ممن هو عليها اليوم أحد) [١].

(٣)الحديث المرسل والضعيف (الحسن لغيره)

كان الإمام أحمد يأخذ بالحديث المرسل[٢] إذا لم يكن بالباب غيره ويقبله في حالات الضرورة لأنه يؤْثِر الفتوى به على القياس والرأي، وعلى هذا يعتبر الحديث المرسل عنده من قبيل الأحاديث الضعيفة؛ لأنه يؤخّره عن فتوى الصحابة وعلى الرغم من أخذ الإمام أحمد به إلا أنه يشترط فيمن يروي المرسل شروطاً هي:

١- ألا يكون صاحب هوى .

٢- ألا يكون كذاباً.

٣- ألا يكون كثير الغلط.

سئِل الإمام أحد عمن يكتب العلم؟ فقال: (عن الناس كلهم إلا عن ثلاثة: صاحب هوى يدعو إليه، أو كذاب فإنه لا يكتب عنه قليل ولا كثير، أو عن رجل فيُرَدّ عليه فلا يُقبَل) [٣]

ومن هنا فهو لا يروي عن الكذابين، بل يروى عن الثقات العدول المشهورين بالتقوى والصدق، ولا يرد الحديث لنقد في متنه إلا إذا عارضه غيره، ولا يشترط لقَبوله عرضَه على كتاب الله سبحانه وتعالى بل يعتبر السنة مفسّرة للكتاب ودلائله إلا أنه يشترط في الحديث المرسل أن يعضده أحاديث أخرى، يبين لنا ابن تيمية طريقته هذه فيقول: (قد يكون الرجل عندهم ضعيفاً لكثرة الغلط في حديثه ويكون حديثه الغالب عليه الصحة فيروون عنه لأجل الاعتبار والاعتضاد، فإنَّ تعدد الطرق وكثرتها يقوي بعضُها بعضاً حتى يحصل العلم بها وهذا مثل عبد الله بن لهيعة فإنه كان من أكابر

---

[١]) المرجع السابق نفسه جـ ٧ ص ٥

[٢]) الحديث المرسل هو حذف من سلسلة رواته الصحابي الذي رواه عن رسول الله فحدث به التابعي ونسبه إلى الرسول فقال (قال رسول الله...) أنظر بالتفصيل الأحكام جـ ٢ ص ١١٢ والكفاية ص ٣١٨ والتقييد ص ٧٤ وتدريب الراوي جـ١ ص ١١٩٧.

[٣]) الكفاية ص ٢٢٨ ، تدريب الراوي جـ١ ص ٣٢٩

علماء المسلمين وكان قاضياً بمصر كثير الحديث، ولكن احترقت كتبُه فسار يُحدّث من حفظه، فوقع في حديثه غلطٌ كثيرٌ مع أن الغالب على حديثه الصحة قال أحمد بن حنبل: قد أكتب حديث الرجل للاعتبار به مثل ابن لهيعة) [1].

كما روي عن أحمد بأنه كان يعمل بالضعيف من الأخبار، والحقيقة بأن المقصود بالضعيف من الأخبار عند الإمام أحمد هو: ما ليس صحيحاً بل هو في مرتبة الحسن –عند غيره– لأن تقسيم الحديث إلى صحيح وحسن وضعيف لم يكن موجوداً في عصره، بل جاء مِن بعده، وإنما كانت الأحاديث عند أحمد إما صحيحة فيتوافر فيها كل حدود الحديث الصحيح فتقبل، وإما أحاديث ضعيفة لا يتوافر فيها ذلك الحد ولا ينطبق عليها فتكون ضعيفة، وعلى ذلك يدخل الحسن فيها كما يدخل الضعيف الذي تعددت طرقه ورفعته إلى درجة الحسن.

يقول الإمام ابن تيمية: (أول من عرف أنه قسم الحديث إلى صحيح وحسن وضعيف أبو عيسى الترمذي ولم تعرف هذه القسمة عن أحد مثله.. وأما من كان قبل الترمذي من العلماء فما عُرِف عنهم هذا التقسيم الثلاثي، لكن كانوا يقسمونه إلى صحيح وضعيف، والضعيف كان عندهم نوعين: ضعيف ضَعْفاً لا يمنع العمل به وهو يشبه الحسن في اصطلاح الإمام الترمذي، وضعيف ضَعْفاً يوجب تركه وهو الواهي) [2]

والمعروف أن الإمام الترمذي ولد عام تسع ومائتين من الهجرة، وتوفى عام تسعة وسبعين ومائتين من الهجرة [3]

وعلى هذا يكون الضعيف عند أحمد يعادله مرتبة الحسن عند غيره ممن جاءوا بعده، وإذا كان الإمام أحمد يأخذ به فلابد لنا أن نبيّن متى يأخذه؟ ومرتبته عنده؟ وحدود أخذه؟

---

[1] أبو زهرة ص ٣٧٠.

[2] الحديث الصحيح هو ما اتصل سنده بالعدول الضابطين من غير شذوذ ولا علة، الحديث الحديث هو ما عرف مخرجه واشتهر رجاله، الحيدث الضعيف هو لم يجمع صفة الصحيح أو الحسن أنظر تدريب الراوي جـ ١ ص ٦٣ ، ص ١٥٣ ، ص١٧٩؟ " ابن حنبل حياته وعصره... ص ٢٧٣.

[3] الترغيب والترهيب جـ١ ص ٢٠

إذا اتبعنا الإمام لوجدناه يأخذ به إذا لم يكن هناك نص قرآني أو حديث صحيح أو قول الصحابي، ثم إذا أُخِذ به لا يعمل به في مجال العقيدة، ولكن يعمل به في فضائل الأعمال والترغيب فيها، يقول الإمام أحمد: (إذا جاء الحديث في فضائل الأعمال وثوابها وترغيبها تساهلنا في إسناده، وإذا جاء الحديث في الحدود والكفارات والفرائض تشددنا فيه)[١] ويقول أيضاً: (إذا روينا عن رسول الله في الحلال والحرام والسنن والأحكام شددنا في الأسانيد، وإذا روينا عن النبي في فضائل الأعمال وما لا يضع حكماً ولا يرفعه تساهلنا في الأسانيد) [٢]، ويبين لنا الإمام شروط أخذه بهذا الحديث علاوة على ما سبق فيقول: (أحاديث الرقاق يُحتَمَل أن نتساهل فيها حتى يجيء شيء فيه حكم) [٣] ويبين لنا الحكمة من ذلك فيقول: (الحديث الضعيف –أي عنده الحسن عن غيره– أحبُّ إليّ من الرأي)، يقول عبدالله: سألت أبي عن الرجل يكون ببلد لا يجد فيه إلا صاحب حديث لا يعرف صحيحه من سقيمه وأصحاب رأي فتنزل به النازلة فقال أبي: (يسأل أصحاب الحديث ولا يسأل أصحاب الرأي ضعيف الحديث أقوى من الرأي)[٤].

(٤)قول التابعي:

تعريفه: لغة: كلمة تابعي مشتقة من مادة تبع ويراد بها هنا مشى خلفه أو مرَّ به[٥] ونجد نفس المعنى في القرآن الكريم سار ورائه سواء أكان السير حسياً أو معنوياً، والاتباع المعنوي هو الاقتدار والامتثال، وأكثر ما جاء في القرآن هو من الاتباع المعنوي[٦].

اصطلاحاً:

---

[١] شذرات الذهب في أخبار من ذهب جـ ص ١٩٦ ابن عماد الحنبلي
[٢] الكفاية في علم للرواية ص ٢١٣
[٣] المرجع السابق نفس الصفحة.
[٤] أعلام الموقعين جـ١ ص٧٦.
[٥] القاموس المحيط جـ٣ ص ٢٨ ، والمصباح المنير ص ٨٩ ، ومختار الصحاح ص٧٤
[٦] معجم ألفاظ القرآن الكريم جـ١ ص ١٤٦

١- أكثر المحدثين يعرفونه بأنه (هو من لقي الصحابي مسلماً ومات على الإسلام ولو كان صغيراً بشرط أن يكون مميزاً سواء أكان اللقاء قليلاً أو كثيراً)[١]

٢- بعض المحدثين يعرفونه بأنه (هو من صحب الصحابي وكثر لقاءه به فلا يكتفي فيه بمجرد اللقاء) [٢]

والتعريف الأول هو الصحيح في رأي الإمام أحمد لأن الاكتفاء بمجرد اللقاء أولى نظراً إلى مقتضى اللفظ[٣].

رأي الإمام أحمد في الاحتجاج بأقواله:

لقد بينا فيما سبق رأي الإمام أحمد في أقوال الصحابي، وأخذه بها إذا لم يجد لها مخالفاً، والآن نريد أن نتعرف على رأيه في قول التابعي إذا لم يجد نصاً ولا خبراً أيأخذ به كما أخذ بقول الصحابي؟ ون كان دونه مراتب أو مجتهد برأيه.

إذا تتبعنا الروايات الواردة عن الإمام أحمد في هذا لوجدنا له روايتين:

الأولى: يحتج بقول التابعي: وموضع ذلك إذا لم يكن في الموضوع عنده نص ولا قول صحابي ولا حديث مرسل أو غيره مما سيكون حجة عنده، أما في حالة وجود أي أصل من الأصول السابقة فإنه لا يأخذ به.

الثانية: لا يحتج بقول التابعي: يقول ابن القيم: (إن الاحتجاج بتفسير التابعي عن الإمام أحمد روايتين) [٤] أي في الاحتجاج وعدمه، والصحيح كما يبدو لي الرأي الأول حيث إن الإمام أحمد متبع وليس صاحب رأي، ولأن الله قد زكّى التابعين وجمعهم مع الصحابة في قوله تعالى: (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذي اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه...) [٥].

---

[١] شرح مسلم جـ١ ص ٢٨ النووي

[٢] الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث ص ٩١ للحافظين بن كثير تأليف أحمد شاكر ط٣ مكتبة ومطبعة محمد على صبيح.

[٣] المرجع السابق نفسه ص ١٩١ انظر بالتفصيل تدريب الراوي جـ٢ ص ٤٣٤ والتقييد ص٣١٧

[٤] إعلام الموقعين جـ ٤ ص

[٥] سورة التوبة آية رقم ١٠٠

ويروي الإمام أحمد بنفسه أن الأخذ بقول التابعي من السنة فيقول: (.. ثم من بعد كتاب الله سنة النبي صلى الله عليه وسلم والحديث عنه وعن المهديين من صحاب النبي والتابعين من بعدهم) [١] ولقد أخذ الإمام أحمد بالحديث المرسَل وأخَّره بعد أقوال الصحابة والمرسل في تعريف بعضهم: (ما رواه التابعي عن رسول الله قولاً وفعلاً) [٢] ومادام قد أخذ به فيعتبر قول التابعي حجة عنده.

ومما يؤكد رأينا هذا ما يقوله أبو بكر الأثرم: (قلت لأبي عبدالله يعني أحمد بن حنبل: (إذا قال رجل من التابعين حدثني رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فالحديث صحيح؟.. قال نعم) [٣]

ولا يخفى علينا- أيضاً- أن أخذه برأي التابعي فيما إذا رواه عن الصحابة وأسنده إلى زمنهم وكان من أمور الدين- كما بينت ذلك سابقاً عند الكلام عن الصحابة.

ويحدد الإمام العسقلاني بداية عصر التابعين فيقول: (وأما قرن التابعين فإن اعتبر من سنة مائة كان نحو سبعين أو ثمانين) [٤] أي أن مدة التابعين سبعين أو ثمانين سنة فقط لا غير، هذا على رواية أن آخر من مات من الصحابة سنة مائة من الهجرة فإن كان على الرواية الثانية، أو الثالثة فيكون زمن التابعين خمسين أو ستين سنة فقط.

ثم يحدد ابن حجر سنة من يُقبل قوله من أتْبَاع التابعين فيقول: (واتفقوا أن آخر من كان من أتْبَاعِ التابعين من يقبل قوله من عاش إلى حدود العشرين ومائتين وفي هذا الوقت ظهرت البدع ظهوراً فاشياً وأطلقت المعتزلة ألسنتها ورفعت الفلاسفة رؤوسها وامتُحِنَ أهلُ العلم ليقولوا بخلق القرآن وتغيَّرت الأحوال تغيراً شديداً ولم يزل الأمر في نقص إلى الآن)[٥]، وظهر بذلك أن مدة القرن تختلف باختلاف أعمار أهل كل زمان.

---

[١] المناقب ص ١٦٨
[٢] مقدمة الترغيب والترهيب جـ ١ ص ٧ الحافظ المنذري.
[٣] الكفاية في علم الرواية ص ٥٨٥ الخطيب البغدادي
[٤] فتح الباري جـ٧ ص ٦
[٥] المرجع السابق نفسه جـ ٧ ص ٦

الفصل الثالث

ويبحث في الإجماع والقياس

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول الإجماع

تعريفه: لغة – اصطلاحاً

رأي الإمام أحمد في الأخذ بالإجماع

المبحث الثاني القياس

تعريفه: لغة – اصطلاحاً

رأي الإمام أحمد في الأخذ بالقياس

نستنتج من الباب كله

خطوات المنهج.

نموذج تطبيقي عليها.

المبحث الأول الإجماع

تعريف الإجماع:

أ-الإجماع في اللغة يدور حول معان كثيرة منها:-

(١) العزم على الشيء والتصميم عليه ومنه يقال: (جمع أمره وأجمعه عليه إذا أثره وعزم عليه كأنه جعله جميعاً)[١]

ومنه قوله تعالى: (فأجمعوا أمركم) أي أعزموا ويقول عليه الصلاة والسلام: (لا صيام لمن لم يجمع الصيام من الليل) أي يعزم وعلى هذا يصح إطلاق اسم الإجماع على عزم الواحد[٢]

(٢) الاتفاق ومنه يقال: (أجمع القوم على كذا إذا اتفقوا عليه) [٣]

يقول صاحب القاموس المحيط: (..والإجماع الاتفاق... والعزم على الأمر)[٤]

ب-في اصطلاح الأصوليين تعاريف كثيرة أصحها:-

الإجماع عبارة عن اتفاق جملة أهل الحل والعقد من أمة محمد في عصر من الأعصار على حكم واقعة من واقعة من الوقائع[٥]

رأي الإمام أحمد في الأخذ:

لابد لنا أن نبين رأي الإمام أحمد في الإجماع من حيث:-

١- رأيه في وجوده.

٢- رأيه فيه من حيث حجيته.

٣- رأيه فيه من حيث مرتبته في الاحتجاج والاستدلال.

---

[١] معجم ألفاظ القرآن الكريم جـ١ ص ٢٠٥
[٢] الأحكام في أصول الأحكام جـ ١ ص ١٧٩
[٣] المرجع السابق نفسه
[٤] جـ٣ ص ١٥ وانظر المصباح المنير ص ١٣٣ ، مختار الصحاح ص ١١٠
[٥] الأحكام جـ ١ ص ١٨٠

بالنظر إلى رأي الإمام أحمد بالنسبة لوجود الإجماع أو عدمه وجدناه يثبت الإجماع عنده ولكن يشترط فيه شروطاً استنتجناها من رواياته:.

١- اتفاق جميع الأمصار على الحكم.

٢- أن يكون هذا الحكم معلوماً من الدين بالضرورة.

٣- ألا يكون هذا الإجماع مجرداً بمعنى أن يُجْمِعُوا على شيء دون أن يكون واقعاً في الحقيقة والواقع.

٤- أن يكون هذا الإجماع مستنداً إلى الكتابة والسنة، أو لا يخالفها كجمع المصحف.

٥- أن يتوافر لصاحب الإجماع العلم بالرأي المخالف.

ويهيئ لي –والله أعلم– بأنه إذا فقد شرط من الشروط المستنتجة السابقة لا يعتبر الإجماع إجماعاً عند الإمام أحمد ومن هنا نرى ابن القيم ينقل إلينا وجهة نظر الإمام أحمد بن حنبل في الإنكار وعدمه فيقول: (قد كذب أحمد من ادعى هذا الإجماع ولم يُسِغْ تقديمه على الحديث الثابت، وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: سمعت أبي يقول: ما يدعي فيه الرجل الإجماع فهو كَذِبٌ، من أدعى الإجماع فهو كاذب لعل الناس اختلفوا ما يدريه ولم ينته إليه؟ فليقل: لا نعلم الناس اختلفوا.. ونصوص رسول الله صلى الله عليه وسلم أجل عند الإمام أحمد وسائر أئمة الحديث من أن يقدموا عليها توهم إجماع مضمونه عدم العلم بالمخالف، ولو ساغ لتعطَّلت النصوص، وساغ لكل من لم يعلم مخالفاً في حكم مسألة أن يقدم جهله بالمخالف على النصوص فهذا هو الذي أنكره أحمد من دعوى الإجماع لا ما يظنه بعض الناس أنه استبعاد لوجوده)[١].

من هذه الرواية تتضح أن الإمام أحمد يقرر أن الإجماع حجة لا يقبله ممن يدعيه ويقدمه على النصوص لمجرد تلك الدعوى.

---

[١] أعلام الموعقين جـ١ ص ٣٠

كما يرى أن المسائل التي لا يعلم فيها خلاف يكتفي بذكر أنه لا يعلم فيها خلافاً أي لا يعتبر بأنه إجماع لأنه كان من ورعه يقول لعل الناس قد اختلفوا ولكن يقول لا نعلم الناس اختلفوا إذا لم يبلغوا.

ويعلق الشيخ أبو زهرة على هذه الرواية بقوله: ننتهي منها بأمرين: أولهما أن أحمد لا ينفي وجود الإجماع نفياً مطلقاً في كل مسائل العلم، بل ينفيه في الدعاوى التي كان يدعيها بعض العلماء في حياء، كما نفاه أبو يوسف في دعوى الأوزاعي أن رأيه عليه عامة أهل العلم ولا يحتج بالإجماع ليرد الحديث الصحيح.

ثانيهما: أن أحمد يقرر أن هناك مسائل لا يعلم فيها مخالفاً، وأن مثل هذه المسائل يأخذ بها إذا يجد حديثاً في موضعها ولا يدعي أن ذلك إجماع كامل، بل يقول إنه لا يعلم مخالفاً وذلك ورع في الدين"[1]

وإذا تعمقنا في كملة الإمام حيثما يقول: (لا أعلم مخالفاً) هذا اللفظ لا ينفي وجود المخالف للرأي كذلك لا يثبت وجوده فإذا توفرت أسباب العلم فإنه لا يتأنى الرد والإنكار بأي حال من الأحوال، ولا يكون ذلك –أي توفر أسباب العلم– إلا في عصر الصحابة، لأن المعلم عنهم، ولأنهم كانوا في عهد أبي بكر وعمر مقيمين بالمدينة ولم يتفرقوا في الأقاليم إلا بعد ذلك وأجمعوا على جمع القرآن في المصحف، وبعد أن تفرق الصحابة في الأقاليم لم تتوفر أسباب العلم بالخلاف، ومن هنا جاء إنكار الإمام أحمد للإجماع.

إذن نستنتج مما سبق بأن الإمام أحمد أخذ بالإجماع بشروطه المذكورة آنفاً فإذا لم تتوافر لم يأخذ به، يقول صاحب كتاب المدخل إلى مذهب الإمام أحمد: (لا يتوهمنَّ مُتوهِّم أن الإمام أحمد أنكر الإجماع إنكاراً عقلياً وإنما أنكر العلم بالإجماع على حادثة واحدة انتشرت في جمع الأقطار وبلغت الأطراف الشاسعة ووقف عليها كل مجتهد ثم أطبق الكل فيها على قول واحد وبلغت أقوالهم كلها مدعى الإجماع عليها.. فلا تتهمن أيها العاقل الإمام بإنكار الإجماع مطلقاً فتفتري عليه)[2]

---

[1]) ابن حنبل حياته وعصره ص ٣١٨

[2]) المدخل ص ١٢٩.

ومما يؤكد لنا أخذ الإمام أحمد بالإجماع فيما إذا ذهب بواحد من أهل الحل والعقد إلى حكم وعَرَف به أهلُ عصره ولم ينكر عليه منكر هل يكون ذلك إجماعاً؟ فذهب الإمام أحمد " إلي أنه أجماع وحجة " [١]

ومما يؤكد لنا أيضاً أخذه بالإجماع أنها اشترط فيه انقراض العصر وهذا يؤيد أخذه به فحينما اختلفوا في انقراض العصر هل هو شرط في انعقاد الإجماع أولا؟ ذهب الإمام أحمد (إلى اعتباره شرط)[٢]

وكيف لا يأخذ الإمام أحمد به وهو بفطرته متبع للنص وفي القرآن الكريم والسنة النبوية أدلة كثيرة تثبت الأخذ بالإجماع والقرآن والسنة منهج الإمام أحمد أما الكتاب يقول الله تعالى: (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدي ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً)[٣]

وأما السنة فعن ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يجمع الله هذه الأمة على ضلالة أبداً ويد الله على الجماعة واتبعوا السواد الأعظم فإنه من شذ شذ في النار)[٤]

إذن الإمام أحمد يعترف بوجود الإجماع بشروطه عنده ويثبت حجته ومرتبته عنده بعد الدعوى، بل ويرده إلى النصوص.

والإجماع درجتان عنده: (١) درجة الصحابة. (٢) ما علم واشتهر من الدين بالضرورة كعدد الصلوات الخمس وأوقاتها والديات والصوم وحدوده وبعض مفطراته. هذا والله أعلم...

المبحث الثاني: القياس

تعريفه: **أ-لغة التقدير** ومنه يقال قست الأرض بالقصبة أي قدَّرْتُها وقاس الشيء بالشيء قدَّرَه على مثاله[٥]، وهو يستدعي أمرين يضاف أحدهما إلى الآخر بالمساواة

---

[١] الأحكام جـ١ ص ٣٢٨
[٢] نفس المرجع السابق جـ١ ص ٢٣١
[٣] سورة النساء آية ١٥٥.
[٤] أنظر بالتفصيل حجة من يريد الإجماع والرد عليها، الأحكام، (جـ١/ص ١٧٩).
[٥] القاموس المحيط جـ٢ ص ٢٥٣، مختار الصحاح ص ٥٥٩ ، الصباح المنير ص ٦٣٠

(.....) وأضافه بين شيئين ولهذا يقال: فلان يقاس بفلان ولا يقاس بفلان أي يساويه ولا يساويه[١]

ب- **اصطلاحاً له عدة تعاريف منها:-**

١- إلحاق أمر غير منصوص على حكمه أمر آخر منصوص على حكمه باشتراكهما في الوصف الموجب للحكم.

٢- يعرفه الشوكاني بأنه استخراج مثل حكم المذكور ما لم يذكر بجامع بينهما.

٣- يقول ابن تيمية القياس لفظ مجمل يدخل فيه القياس الصحيح والقياس الفاسد ، والقياس الصحيح هو الذي وردت به الشريعة وهو الجمع بين المتماثلين والفرق بين المختلفين والأول قياس الطرد والثاني قياس العكس[٢].

فقياس العكس هو عبارة عن تحصيل نقيض حكم معلوم ما في غيره لافتراقهما في علة الحكم وذلك كما قيل لو لم يكن الصوم شرطاً في الاعتكاف لما كان شرطاً له عند نذره إن تعتكف صائماً، وأما قياس الطرد فله تعاريفات كثيرة ذكرها صاحب الأحكام ولم يرتضها ورد عليها وعرفه بقوله: إلحاقا لنوع بالأصل في حكمه لما بينهما من المشابهة[٣].

رأي الإمام أحمد في الأخذ بالقياس:-

إذا نظرنا إلى رأي الإمام أحمد في القياس لوجدناه يأخذ به في حالة الضرورة كما يقول ابن القيم: (فإذا لم يكن عند الإمام أحمد في المسألة نص ولا قول للصحابة أو واحد منهم ولا أثر مرسل أو ضعيف عدَل إلى القياس فاستعمله للضرورة)[٤]

وبما أن الإمام أحمد بن حنبل متبِع وليس بمبتدِع فإن الصحابة الذين يخرج على أقوالهم كانوا يأخذون بالقياس قال المزني: (الفقهاء من عصر الرسول إلى يومنا هذا وهلم جرّا استعملوا المقاييس في جميع الأحكام في أمر دينهم.. فلا يجوز لأحد إنكار

---

[١] الأحكام جـ٣ ص ١٦٧
[٢] ابن حنبل حياته وعصره ص ٣١٣.
[٣] انظر بالتفصيل الأحكام جـ ٣ ص ١٦٧ : ٢٢٨ ، جـ ٤ ص ١ : ١٠٢
[٤] إعلام الموقعين جـ١ ص ٣٢

القياس لأنه التشبيه بالأمور والتمثيل عليها.. ومن القياس المجمَع عليه صيد ما عدا الكلب من الجوارح قياساً على الكلاب، بقوله تعالى: (وما علمتم من الجوارح مكلبين) وكقوله: (والذين يرمون المحصنات) فدخل في ذلك المحصن قياساً) [1]

ولقد أخذ الإمام أحمد بالقياس في جواز إثبات الحدود والكفارات يقول صاحب الأحكام: (مذهب الشافعي وأحمد جواز إثبات الحدود والكفارات بالقياس، ودليل ذلك النص والإجماع والمعقول، أما النص فتقرير النبي لمعاذ في قوله: (أجتهد رأيي) مطلقاً من غير تفصيل وهو دليل الجواز، وإلا لوجب التفصيل لأنه في مظنة الحاجة إليه، وتأخير البيان عن وقت الحاجة ممتنع، وأما الإجماع فهو أن الصحابة لما اشتوروا في حد شارب الخمر قال عليّ: إنه إذا شرب سكر، وإذا سكر هذى، وإذا هذى افترى، فحدُّه حدّ المفتري قاسه على حد المفتري، ولم يُنْقَل عن أحد من الصحابة في ذلك نكير فكان إجماعاً، أما المعقول فهو أنه مغلوب على الظن فجاز إثبات الحدِّ والكفارة به لقوله عليه السلام: (نحن نحكم بالظاهرة والله يتولى) وقياساً على خبر الواحد) [2].

وهكذا نستطيع أن نستنتج شروط أخذ الإمام بالقياس من الرواية السابقة وهي:

١- أن يعتمد القياس على دليل من السنة كما جاء في حديث معاذ.

٢- أن يعتمد القياس على إجماع من الصحابة كما جاء في سيدنا علي.

٣- أن يعتمد القياس على أصل يقاس عليه من النص لقياس المحصنين على المحصنات في شارب الخمر على المفتري أي أن القياس لابد أن يقاس على نص ثابت وعلى هذا لا يعتبر رأياً.

فإذا تحققت فيه الشروط الماضية يعتبره الإمام أحمد مساوياً لخبر الواحد، ويأخذ به وهكذا نجد الإمام لا يمنع القياس مطلقاً ولا يغالي فيه، ولكنه يأخذ به بشروطه التي ذكرناها آنفاً، وعند الضرورة أيضاً، وتأتي مرتبة القياس بشروطه السابقة في المرتبة

---

[1]) المرجع السابق نفسه جـ١ ص ٢٠٥

[2]) الأحكام جـ ٤ ص ٥٤.

الأخيرة عند الإمام أحمد فيقول: (إن ضعيف الحديث أحبُّ إليّ من رأي الرجال لأنه لا يُعد إلى القياس إلا بعد عدم النص) [١].

ما يستنتج من الباب كله:

ونستنتج مما سبق كله أن مصادر منهج الإمام أحمد هي:-

(١) النصوص الكتاب والسنة، والسنة عنده كما يقول صاحب المناقب: (ما ورد عن الرسول وعن المهديين من أصحابه والتابعين من بعدهم والتصديق بما جاءت به من الرسل واتباع السنة نجاة)[٢]

ووظيفة السنة عنده تفسِّر القرآن وهي دلائله يقول: (أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله والاقتداء بهم وترك البِدَع وكل بدعة فهي ضلالة وترك المراء والجدال والخصومات في الدين فالسنة عندنا آثار رسول الله، والسنة تفسير القرآن وهي دلائل القرآن) [٣].

ومراتب الاستدلال بالسنة عند الإمام أحمد بعد الكتاب هي:-

١- أقوال الرسول وتشتمل الأحاديث الصحيحة وأحاديث الآحاد.

٢- أقوال الصحابة.

٣- الحديث المرسل والضعيف (الحسن عن غيره).

٤- أقوال التابعين.

فإذا لم يجد حُكماً أو دليلاً على حكمه -في الترتيب السابق- انتقل إلى الإجماع وهكذا القياس، وإذا نظرنا إلى شروط الإجماع -التي ذكرناها آنفاً- وكذلك شروط القياس -كما ذكرناها سابقاً- لوجدنا الإمام أحمد يردهما إلى الكتاب والسنة، أي إلى النصوص، لذا نراه يقول: (لست أتكلم إلا من كتاب الله أو سنة أو عن الصحابة والتابعين، وأما غير ذلك فالكلام فيه غير محدود)[٤].

---

[١] تدريب الراوي جـ١ ص ١٦٨
[٢] ص ١٦٨ بتصرف
[٣] المرجع السابق نفسه المناقب ص ١٧٠
[٤] تاريخ الاسلام ص ٣٢ الذهبي.

(٢)خطوات منهج الإمام أحمد:-

ومما سبق نستطيع أن نستخلص خطوات منهج الإمام أحمد الذي سيرتكز عليه في تفسير أي آية أو شرح أي حديث سواء كان ذلك في العقيدة أو الشريعة أو الأخلاق، **وهذه الخطوات هي:-**

١- تفسير القرآن بالقرآن.

٢- تفسير القرآن بأقوال الرسول صلى الله عليه وسلم.

٣- تفسير القرآن بأقوال الصحابة.

٤- تفسير القرآن بأقوال التابعين.

٥- رد المتشابه من القرآن إلى المحكم منه.

٦- النظر إلى القرآن في جملته كوحدة متماسكة كلية.

٧- الاعتماد على أصول اللغة العربية الأصلية ومواصفاتها.

٨- وعدم الأخذ بظاهر اللفظ.

ونتيجة لذلك:

١- عدم وقوع تناقض بين آيات القرآن الكريم.

٢- لا تناقض بين السنة الصحيحة والقرآن الكريم.

٣- لا تناقض بين السنة الصحيحة مع بعضها.

حتى أنه من أجل هذا يضع منهجاً للقضاء على التناقض الظاهري -إنْ وُجِد- بين الأحاديث فيقول: (للتعارض بين الحديثين قد تكون بحيث لا يمكن الجمع بينهما بوجه كالناسخ والمنسوخ فيصار إلى الناسخ ويترك المنسوخ وقد يكون بحيث يمكن الجمع، ولكن لا يظهر لبعض المجتهدين، فيتوقف حتى يظهر وجهُ الترجيح بنوع من أقسامه أو يهجم فيُفتي بهذا في وقت وبهذا في وقت)[١]

---

[١]) الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث ص ١٧٥.

٤- عدم الوقوع في التشبيه والتجسيم والتعطيل.

٥- يحدد منشأ الخطأ الذي أدى إلى التفرق والاختلاف وتعدد المناهج بأنه راجع إلى:

١- رد السنة بالمتشابة من القرآن أو من السنة.

٢- جعل المحكم متشابهاً لتعطيل دلالته.

٣- الاعتماد على ظواهر النصوص. **فكان من نتيجة ذلك:**

١- إنكار السنة.

٢- وقوع تعارض بين آيات القرآن الكريم.

٣- الوقوع في التشبيه والتعطيل.

وإن الناظر لهذا المنهج يجد الإمام قد استمده واستخلصه من الكتاب والسنة –وهذا هو موطن جماله– وهو وحدة منهجه في العقيدة والشريعة والأخلاق قولاً وعملاً ليتسنى له به تفسير القرآن وشرح الأحاديث واستنتاج المسائل الفقهية لأن الكل نابع من الكتاب والسنة، وهذا ما أراده الإمام أحمد فعلاً من توحيد المنهج وجمع الأمة على منهج الكتاب والسنة والعودة إليه وترك ما عداه من المناهج المختلفة.

وسأذكر نموذجاً واحداً تتجلى فيه خطوات منهج الإمام السابقة للرد على من ادعى وجود تناقض في القرآن الكريم حيث يذكر الإمام دعوى هؤلاء وما يترتب عليها وأدلتهم التي اعتمدوا عليها ثم بعد ذلك يرد عليهم مستخدماً خطوات منهجه السابقة.

(٣) نموذج تطبيق لخطوات منهج الإمام: (خلق الإنسان).

١– الدعوى وجود تناقض في القرآن.

٢– ما يترتب عليها القرآن مشكوك فيه فلا يحتج به.

٣- الدليل يقولون بقول الله (خلقكم من تراب) [١] ثم قال: (من طين لازب)[٢] ثم قال (من سلالة)[٣] ثم قال (من حمإٍ مسنون) [٤] ثم قال (من صلصال كالفخار)[٥] فشكوا في القرآن وقالوا هذه ملابسه تلبيس، ينقض بعضه بعضاً)[٦].

ثم أخذ الإمام يرد عليهم:

نقول: هذا بدء خلق آدم، خلقه الله أول بدء من تراب ثم من طينة حمراء وسوداء وبيضاء، من طينة طيبة وسبخة فكذلك ذريته: طيب وخبيث أسود وأحمر وأبيض ثم بُلَّ ذلك التراب وصار طيناً فذلك قوله: (من طين) فلما لصق الطين بعضه ببعض فصار طيناً لازباً بمعنى لاصقاً ثم قال: (من سلالة من طين) يقول مثل الطين إذا عصر انسل من بين الأصابع ثم نتن فصار حمأً[٧] مسنوناً [٨]

فخلق من الحمإ فلما جف صار صلصالاً كالفخار صار له صلصلة كصلصلة الفخار له دوي كدوي الفخار فهذا بيان خلق آدم وأما قوله: (من سلالة من ماء مهين) [٩] فهذا بدء خلق ذريته من سلالة يعني النطفة إذا انسلت من الرجل فذلك قوله-من ماء- يعني النطفة -مهين- يعني ضعيف فهذا ما شكت فيه الزنادقة[١٠]

واستطاع الإمام أن ينفي عدم وجود تعارض بين آيات القرآن الكريم وظهرت براعته في أنه يفسر القرآن بالقرآن أو القرآن بالسنة، ومن هنا نراه قد أحاط بالسنة لتكون زاداً ومصدراً يفسّر بها القرآن الكريم، ولم يجنح إلى العقل المجرد وتفسيراته لذا نراه يحدد رأيه في التفسير بالرأي المجرد، والمغازي التي تعتمد على الظن دون الحديث

---

[١] سورة فاطر بعض آية ١١
[٢] سورة الصافات بعض آية ١١
[٣] سورة المؤمنون بعض آية ١٢
[٤] سورة الحجر بعض آية ٢٦
[٥] سورة الرحمن بعض آية ١٤
[٦] الرد على الزناد على الزنادقة ص ٩ عقائد السلف ص ٥٦
[٧] الطين الأسود المنتن وهو جمع حمأة اللسان جـ١ ص ٥٤
[٨] متغير مثل أسن الماء إذا تغير ويقال مسنون أي محكوم ملس، وقال سيبويه: المسنون المصور أخذ من سنة الوجه وهو صورته – لسان العرب جـ١٧ ص ٨٤.
[٩] سورة السجدة آية رقم ٨
[١٠] الرد على الزنادقة ص١٠ ، عقائد السلف ص ٥٦ المسألة التي ذكرناها تمثل المسألة رقم ٨ من مجموع المسائل التي بلغ عددها سبعة عشر مسألة والتي قيل بأنه يوجد تناقض في القرآن الكريم فأخذها الإمام ورد عليها مَسألة مسألة وأثبت عدم وجود التناقض في القرآن، أنظر بالتفصيل الرد على الزنادقة والجهمية من ص ٧ – ٢٠، عقائد السلف من ص ٥٣ - ٦٤.

وكذلك الملاحم فيقول: (ثلاث كتب ليس لها أصول المغازي والملاحم والتفسير) [١] أي أن أصولها في القرآن والسنة ولذلك قال: (من لم يجمع علم الحديث وكثرة طرقها واختلافها لا يحل له الحكم على الحديث ولا الفتيا) [٢]. من أجل ذلك استطاع أن يكتشف التفاسير المريضة فلقد سئل عن تفسير الكلبي فقال: (من أوله إلى آخره كذب فقيل له فيحل النظر فيه؟ قال لا) [٣]

وهكذا استطاع الإمام عن جدارة وباستخدامه خطوات منهجه أن يثبت بأنه لا تناقض في القرآن الكريم. هذا هو منهج الإمام أحمد وأصوله وخطواته التي أثمرت لنا الداعية أحمد بن حنبل الذي يقول فيه الشافعي: (خرجت من بغداد فما خلفت بها رجلاً أفضل ولا أعلم ولا أفقه ولا أنقى من أحمد بن حنبل) [٤] وهذا المنهج هو الذي أفنى شبابه فيه وعمل من أجل إحيائه والعودة إليه وعمل بكل وسيلة على نشره وهذا مما سيتضح لنا في الباب الثالث إن شاء الله تعالى.

---

[١]) التاج المكلل من جواهر مأثر الطراز الأول ص ٢٤.
[٢]) المرجع السابق نفسه ص ٢٤
[٣])المنهج الأحمد جـ١ ص ٣٠٨
[٤]) تاريخ الإسلام ص ٦٦ للحافظ الذهبي.

الباب الثالث

ويبحث في: الوسائل التي نشر بها الإمام أحمد منهجه

ويشتمل على:

- **مدخل ويبحث في**
- **تعريف الوسيلة لغة، اصطلاحاً**
- **الفرق بين الوسيلة والأسلوب**
- **وثلاثة فصول:**
- **الفصل الأول: ويبحث وسائل التبليغ بالقول.**
- **الفصل الثاني: ويبحث في وسائل التبليغ بالتدوين.**
- **الفصل الثالث: ويبحث في وسائل التبليغ بالأسوة**

مدخل:

بعد أن بينا منهج الإمام وأصوله لابد من أن نبين الوسائل التي نشر بها الإمام منهجه لمجتمعه لكي يوحي ثماره المرجوة من ورائه.

والمنهج في حد ذاته ليس كائناً متحركاً بذاته حتى يصل إلى الناس ولكنه مفهوم معنوي لابد له من:

- وسائل يستخدمها الداعية لإيصال منهجه إلى مجتمعه، ومن هنا أصبح لزاماً عليّ أن أعرّف الوسيلة والوسائل التي أستخدمها الإمام أحمد لنشر منهجه.

تعريف الوسيلة:-

(أ)تعريفها في اللغة:

إذا نظرنا إلى معاجم اللغة- التي رجعت إليها- لوجدنا بأن الوسيلة مشتقة من كلمة "وسل " بفتح الواو والسين- ومعناها في معاجم اللغة يدور حول:

١-**القُربة** أي السلوك الذي يتوصل به الإنسان إلى خالقه.

٢- ما يتقرب به إلى الغير أو ما يتوصل به إلى الشيء.

٣- السرقة.

يقول صاحب لسان العرب" الوسيلة: القربة.. والوسيلة ما يتقرب به إلى الغير أو ما يتوصل به إلى الشيء"[١]

يقول صاحب معجم مقاييس اللغة " الواو والسنين واللام كلمتان متباينتان جداً.

١- الرغبة والطلب يقال وسل إذا رغب، والواسل: الراغب إلى الله عز وجل ومن ذلك الوسيلة.

٢- الأخرى: السرقة -أخذ إبله توسلا- سرقة"[٢]

---

[١] جـ١٤ ص ٢٥٠
[٢] جـ ٦ ص ١١٠

يقول صاحب القاموس المحيط: .. والوسيلة المنزلة عند الملك وتوسل إلى الله توسيلاً عمل عملاً يتقرب به إليه، والتوسل والواسل الراغب إلى الله وعلى ذلك تكون الوسيلة. والوسيلة السرقة"[١] **وعلى ذلك تكون إما بمعنى:-**

١- القربة العمل نفسه الذي يتخذ وسيلة للقرب من الله.

٢- ما يتقرب به إلى الغير أو ما يتوصل به إلى الشيء أي للطريقة التي ينشر بها المنهج السابق.

٣- السرقة أو الاختلاس.

ويبدو أن المعنى الثالث مستبعد لأنه لا يتفق مع ما نحن فيه أو أن الداعية استطاع أن يجذب ويسيطر –ويختلس ويسرق– لبَّ وفؤاد المجتمع كوسيلة ما ليستطيع إيصال منهجه.

(ب)في اصطلاح أهل فن الدعوة:

إذا نظرنا إلى تعريفها في الاصطلاح لوجدنا لها تعريفات نقتطف منها:

١- يعرفها البعض فيقول إنها " عملية الاتصال الفردي والجماعي التي تتم بين الداعية ومجتمعه من أجل تبليغ الإسلام ونشره"[٢]

أو هي: أي شيء يساعد على الاتصال الذي ينقل المعنى من شخص إلى غيره"[٣]

٢- ويقول آخر في تعريفها: " الوسيلة هي الطريقة التي توصل بها الأسلوب إلى المدعو " [٤]

وإذا نظرنا إلى هذه التعارف نجد:-

---

[١] جـ ٤ ص ٦٥ ونرى ذلك واضحاً في
- مفرادات الراغب الاصبهاني ص ٥٦٠
- معجم الفاظ القرآن الكريم جـ٢ ص ٦٥٣
- الصابح المنير ص ٨٢٤
- مختار الصحاح ص ٧٢١

[٢] الدعوة الاسلامية ووسائلها في عصر النبي ص ١٠٤ ط٧١ بتصرف د/ أحمد حمد غلوش

[٣] الدعوة الإسلامية ووسائلها في عصر النبي ص ١٧٩ ط ٧٢.

[٤] الدعوة إلى الله تعالى خصائصها ومقوماتها- مناهجها ص ١٨٩ د/ أبو المجد نوفل.

أولاً التعريف الأول: حد مفهوم الوسيلة كاصطلاح في نشر الدعوة الإسلامية- وهذا ما نميل إليه.

أما التعريف الثاني: فعرف الوسيلة بمعناها اللغوي العام وهناك فرق بين التعريف اللغوي والاصطلاحي.

ومن التعريف الأول نجد –فيما يبدو- أن الوسيلة والأسلوب بمعنى واحد أما التعريف الثاني –فهو يرى بأن الوسيلة غير الأسلوب، ومن هنا نراه يعرف الأسلوب فيقول: عرض ما يراد عرضه من معاني وأفكار ومبادئ وأحكام في عبارات وصيغ ذات شروط معينة[١]

ويبدو –لي- بأن الاثنين معناهما واحد تماماً، فإذا نظرنا إلى معنى الأسلوب في اللغة لوجدنا معناه نفس معنى الوسيلة التي ذكره آنفاً.

يقول صاحب لسان العرب "سلب.. الاستلاب الاختلاس.. والأسلوب الطريقة"[٢]. ويقول صاحب القاموس المحيط: "سلبه اختسله والأسلوب الطريقة"[٣] ويقول صاحب المصباح : "سلبته ثوبه سلباً أخذت الثوب فهو مسلوب والأسلوب بضم الهمزة، الطريق والفنّ وهو على أسلوب من أساليب القوم أي على طريق من طرقهم[٤].

إذن يكون الأسلوب بمعنى الوسيلة، وبخاصة أن الذي يفرق بينهما يقول بأن الأسلوب هو الفن إلى المنهج " والطريقة والفن والمنهج هي أحد معاني الأسلوب والوسيلة، ثم إذا كان الأسلوب على حسب تعريف أستاذنا الفاضل- بمعناه الذي حدده- إذن ما هي الوسيلة التي يتقرب بها الأخرس –مثلاً- إلى الناس؟ والأصم لأنه لا يسمع؟ إذن سيستعمل إما الكتابة أو السماع –ومن هنا فيما يبدو لي- بأن الاثنين معناهما واحد.

ونستطيع أن نستخرج مما سبق كله تعريفاً لهما:

---

[١]) المر جع السابق نفسه ص ١٨٩
[٢]) جـ١ ص ٤٥٤
[٣]) جـ ص ٨٦
[٤]) ص ٣٣٥ وكذلك نرى نفس المعنى (- مخاطر الصحيح ص ٣٠٨ – مفردات الراغب ص ٢٤٣- معجم ألفاظ القرآن جـ١- ص ٥٨١).

والوسيلة والأسلوب هو: الطريقة التي يعرف بها الداعية الدعوة الإسلامية وبيانها للناس على حسب مستوياتهم وشمائلهم متعددة مختلفة يراها مناسبة مع مستوياتهم، بشرط أن تكون متفقة مع منهج وسائل القرآن.

ومن المسلَّم به بداهة أن عملية الاتصال بين الداعية ومجتمعه لنشر منهجه الذي التزم به هي جوهر الحياة الاجتماعية ودليل نظيرها وهي أساس انتشار المبادئ والمفاهيم وسبب نحو الحضارة الإنسانية.

وحينما تناولت تعريف المنهج في أول الباب الثاني قلت: إذا أريد به الطريق الحامل للمادة أي الوسيلة التي ينشر بها الإنسان منهجه فيعرف على أنه " مجموعة القواعد –الوسائل– التي يتكون فيها أسلوب معين يلتزم به الفاعل –الداعية – لنشر دعوته على حسب متطلبات عصره بشرط عدم الخروج عن إطار منهج الله في القرآن الكريم (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة..).

فإذا نظرنا إلى الإمام أحمد نراه قد استخدم وسائل –قواعد– متعددة نشر بها منهجه الذي التزم به، وهي داخلة في إطار منهج القرآن الكريم، نجمل هذه الوسائل في الفصول التالية.

الفصل الأول

ويبحث في وسائل التبليغ بالقول

وينقسم إلى المباحث الآتية

المبحث الأول: المقابلة-

- **أنواعها**
- **ملاحظات على درس الإمام.**
- **منهج الإمام في التحديث أثناء المقابلات**

المبحث الثاني: الوعظ والإرشاد:-

- **تعريفه**
- **لغة**
- **اصطلاحاً**
- **مجالات وعظ للإمام أحمد.**
- **منهج الإمام في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (منهجه في الوعظ والإرشاد).**

المبحث الثالث: المناقشة والمناظرة

المبحث الأول المقابلة

(أ)أنواعها ومكانها:

لقد استخدم الإمام أحمد المقابلة[1] كوسيلة فعالة ومؤثرة لنشر منهجه وهذه المقابلة جماعية أو فردية عادة كانت تتم في:

١- المسجد. ٢- المنزل "منزله"

المسجد: لقد اتخذ الإمام من المسجد حلقة عامة للتحدث منه لينشر منه منهجه ولقد جلس الإمام للتحديث في سن الأربعين تيمناً برسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حجاج بن الشاعر: (جئت إلى أحمد بن حنبل فسألته أن يحدثني في سنة ثلاث ومائتين فأبى أن يحدثني خرجت إلى عبد الرزاق ثم رجعت في سنة أربع وقد حدّث أحمد (استوى الناس عليه وكان لأحمد في هذه اليوم أربعون سنة) [2].

لم يجلس الداعية للدرس والإفتاء -لينشر منهجه- إلا بعد أن اكتمل ونضج وسرى بين الناس حديث صلاحه وتقواه وورعه وزهده وعفته عما في أيدي الناس فلقد عاين الناس فضله ووجدوا تعففه وتواضعه وسمو أخلاقياته فلقد تسايرت بذكره الأخبار وفضله ودينه قبل أن يجلس للدرس والإفتاء حتى أنه عندما ذهب إلى صنعاء ليأخذ العلم على عالمها الإمام عبد الرزاق كان قد وصل إليه زهد أحمد وتقواه وورعه وعلمه وهديه وحفظه، يقول يحيى بن معين لعبد الرزاق: (هذا أحمد بن حنبل أخوك، قال حياه الله وثبته فإنه يبلغني عنه كل جميل) [3].

وإن الذي قد ذاع صيته بسلوكه وصلاحه وانتشر علمه قبل أن يجلس للدرس فلابد أن يكون الازدحام على درسه شديداً والإقبال عليه متزايداً فلقد (كان يجتمع في مجلس أحمد زهاء خمسة آلاف أو يزيدون، أقل من خمس مائة يكتبون والباقون يتعلمون منه حسن الآداب وحسن السمت) [4]

---

[1])المقابلة هي مواجهة بالشيء – يقول صاحب معجم مقاييس اللغة" القاف والباء واللام أصل واحد صحيح تدل كلمة على مواجهة الشيء بالشيء" جـ٥ ص ٥١ ، المقابلة هي المعاينة يقول صاحب لسان العرب " ورأيته قبلا وقبلاً – وقبلاً وقبيلاً أي مقابلة وعياناً... كلمة قبلا أي عيانا ومقابلة لا من وراء حجاب والمقابلة المواجهة (جـ١٤/ ص ٥٤)، وعلى ذلك فالمقابلة هي المحادثة وجهاً لوجه، مواجهة عياناً من غير حجاب.

[2]) المناقب ص ١٨٨ لابن الجوزي

[3]) المناقب ص ٣٠ ، الذهبي ص ١٢

[4]) المناقب ص ٢١٠ السمت حسن النحو في مذهب الدين وانه لحسن السمت أي حسن القصد ومن السمت اتباع الحق والهدي وحسن الجوار والسمت الطريق- لسان العرب جـ٢ ص ٣٥٠.

وإذا أممنا الفكر في هذه الرواية لاستطعنا أن نستنتج منها قواعد عامة تنفع الداعية في عصرنا الحديث منها:

١- لابد أن يكون المكان الذي يجلس منه يسع هؤلاء جميعاً ولا يكون هذا – بداهة– إلا في المسجد الجامع ببغداد، كما ذكرنا. وعلى هذا لابد للداعية أن يستخدم المسجد وسيلة مؤثرة لنشر الإسلام ولتجديد الصلة بين الله وبين مجتمعه في بيت الله.

٢- هذا العدد الضخم يدل على **حب المجتمع له** وهذا يعطي الداعية مؤشراً فعالاً يقيس به حرارة صلته بمجتمعه وحسن علاقتهم به في العصر الحديث.

٣- هذا العدد يدل على **كتبة منهجه** وتلاميذه ولقد استخدم الإمام التلاميذ كوسيلة لنشر منهجه وهذا يعطي الداعية في العصر الحديث وسيلة هامة متنقلة– وهي إحداث استقطاب حوله من التلاميذ ليستطيع أن ينشر بهم دعوة الإسلام لتتسع دائرته.

٤- هذا العدد يدل على **غزارة مادته** وسعة علمه وإحاطته بموضوعه مما يعطينا نحن الدعاة في العصر الحديث وسيلة خطيرة لنشر الإسلام فلابد أن يكون الداعية ملماً بفكرته محيطاً بمنهجه موسوعة علمية متحركة تجدها في أي فرع من فروع المعرفة.

٥- هذا العدد الضخم سواء أكان على حقيقة –أو مبالغ فيه بعض الشيء– لم يأت كله للكتابة بدليل ما جاء في الرواية (أقل من خمس مائة يكتبون) هنا يتبادر إلى الذهن سؤالاً مغزاه، ماذا يفعل الباقون إذن؟ هنا تأتي أخطر وسيلة لنشر الدعوة ويأتي الجواب من واقع الرواية نفسها (والباقون يتعلمون من حسن الأدب وحسن السمت).

وهذا يعطينا نحن الدعاة في عصرنا الحديث درساً قاسياً ومهمة صعبة في تبليغ الإسلام ألا وهي وسيلة **السلوك**– وهذه سنتناولها تفصيلياً فيما بعد، ولقد كان الإمام بحسن استغلال المسجد أحسن استغلال لينشر فيه وبه منهجه وكان يُدرِّس فيه كل أمور الدين من عقيدة وشريعة وأخلاق وحديث وتفسير وفقه وتاريخ وكانت تتم في

المسجد المقابلات الجماعية والفردية إلا أن الجماعة كانت أكثر، وهذا يعطينا نحن الدعاة درساً وهو لابد من جعل المسجد خلية نحل لنشر الدعوة الإسلامية.

وكان يحضر هذا المجلس العامة والخاصة وكان يتم بعد صلاة العصر- كما يقول الشيخ محمد أبو زهرة[١]

المنزل:

كان الإمام يستخدم منزله لمقابلة الخاصة من تلاميذه ومحبيه ليحدثهم في الأمور الدقيقة وليجيب على أسئلتهم ويقرأ عليهم مسنده وليتعلموا منه أيضاً سمت أخلاق وحسن سلوكه.

يقول أبو بكر بن المقطوعي: (اختلفت إلى أبي عبدالله أحمد بن حنبل اثنتي عشرة سنة وهو يقرأ المسند على أولاده فما كتبت منه حديثاً واحداً إنما كنت انظر إلى هديه وأخلاقه وآدابه) [٢]

ولقد استخدم الإمام المقابلة الفردية في المنزل لنشر منهجه وتدريسه يتجلي لنا ذلك عندما أتى إليه بقي بن مخلد أبو عبد الرحمن الأندلس ليأخذ الحديث عنه وكان الإمام وقتها ممنوعاً من الحديث أيام الواثق، ولكن الداعية وجد أمامه إنساناً يستطيع عن طريق هذه المقابلة أن ينشر منهجه في بلاد الأندلس وفعلاً اتفقا على موعد للقاء بينهما واستمر على تلك الحال إلى أن فرَّج الله عن الإمام وأمر بالتحديث وكان يجله بصبره على إتيانه إليه أيام امتناعه"[٣].

ومنها نستنتج:-

١- أن الإمام استطاع أن ينشر منهجه في بلاد الأندلس عن طريق بقي بن مخلد، وهذا يدعو الدعاة بدورهم أن يتخذوا تلاميذ من البلاد المجاورة ليستطيعوا نشر الإسلام عن طريقهم.

٢- على الرغم من منع السلطة له من نشر دعوته إلا أنه كان ينشرها بما يتسنى له من وسائل وهذا يعطي الداعية أيضاً درساً يستطيع عن طريقه ألا يتجمد بل ينشر الإسلام بسلوكه إن أمكنه ذلك.

---

[١]) أحمد بن حنبل ص ٣٩ محمد أبو زهرة.
[٢]) المناقب ص ٢١٠.
[٣]) المنهج الأحمد جـ١ ص ١٧٩ بتصرف

٣- حب الناس للإمام وذيوع مشهرته في الآفاق.

٤- تفريج الكرب مع الصبر.

٥- على الداعية أن يكون بيته مفتوحاً للجميع، ومنزله موطناً للناس كريماً جواداً وصدره متسع لكل سؤال.

يحكي لنا ذلك صالح فيقول: (سئل أبي وأنا شاهد عمن يقدم علياً على عثمان يبتدع؟ قال هذا أهل أن يبتدع أصحاب رسول الله قدموا عثمان)[١]

وكذلك كانت تتم المقابلة الفردية للإجابة على الأسئلة الدقيقة يتضح لنا ذلك من مجيء أخت بشر بن الحارث للإمام فسألته عن مسائل دقيقة، يحدثنا عبدالله ابن أحمد عن ذلك فيقول: (كنت مع أبي يوماً من الأيام في المنزل فدق الباب قال لي أبي أخرج فانظر من بالباب قال فخرجت فإذا امرأة قالت لي: استأذن لي على أبي عبدالله، يعني أباه قال فاستأذنته، فقال: أدخلها فدخلت فجلست وسلمت عليه وقالت له: يا أبا عبد الله أنا امرأة أغزل بالليل في السراج فربما طفئ السراج فأغزل في القمر، فهل على أن أبين غزل القمر من غزل السراج؟ قال فقال لها: إن كان عندك بينهما فرق فعليك أن تبيني ذلك قال: فقالت له: يا أبا عبد الله أنين المريض شكوى؟ قال أرجو ألا يكون، ولكنه اشتكاه إلى الله تعالى) [٢].

نستنتج من هذه الرواية:

- جواز ذهاب المرأة لطلب العلم والسؤال فيه بشرط أن تكون ملتزمة بالإسلام مع وجود ولو شخص مع يجيبها –ولقد كان الإمام فاتحاً منزله ليل نهار للمقابلات التي يستطيع عن طريقها نشر منهجه، فلقد أتي إليه ذات يوم وقال له: (أمر الرسول صلى الله عليه وسلم ونهيه واحد قال نعم إلا أن نهيه أشد قلت له ففعله؟ قال فعله ليس عليك بواجب وذلك أنه كان يقوم حتى تورم قدماه ويفعل أفعالاً لا تجب عليك) [٣]

ولقد استخدم الإمام أحمد المقابلة في نشر منهجه استخداماً حسناً واستطاع عن طريقها أن يحدث تأثيراً في مجتمعه يتجلى ذلك من الدروس والعلم الذي كان يؤديه

---

[١] تاريخ الاسلام ص ٣٢ للذهبي.
[٢] المنهج الأحمد جـ ١ ص ٣٤٩.
[٣] المنهج لأحمد جـ ١ ص ٣٤٨.

بها. وفوق ما تقدم نلاحظ في درس الإمام أموراً كان لها أثر بالغ في نفوس الناس ونشر منهجه.

(ب) ملحوظات على درس الإمام أثناء المقابلة:

هذه الأمور هي:

جلسة الإمام ذاتها: لقد كان الإمام متأسياً برسول الله صلى الله عليه وسلم في جلسته التي كان يجلسها وهى القرفصاء.

فيقول محمد بن إبراهيم البوستجي: (ما رأيت أحمد بن حنبل جالساً إلا القرفصاء إلا أن يكون في الصلاة وهذه الجلسة التي يحكيها قبله في حديثها أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً جلسة المتخشع القرفصاء وكان أحمد يتيمم في جلوسه هذه الجلسة[١]

العناية بمظهره الخارجي: يقول عبد الملك الميموني: (ما أعلم أني رأيت أحداً أنظف ثوباً ولا أشد تعاهداً لنفسه في شاربه وشعر رأسه وشعر بدنه ولا أنقى ثوباً وشدة بياض من أحمد بن حنبل)[٢]

شدة هيبته: يقول الحسن بن أحمد والي الجسر: (دخلت على إسحاق بن إبراهيم وفلان وفُلان –يعني السلاطين– ما رأيت أهيب من أحمد بن حنبل صِرت إليه أكلّمه في شيء فوقعت على الرعدة حين رأيه من هيبته)[٣]

أنه كان يسود مجلسه: الوقار والسكينة مع تواضع واطمئنان لا يمزح في مجلسه – وفي غير مجلسه– بل كان كل ما يذكر فيه كل أمور الدين يقول أبو داود السجستاني: (لقيت مائتين من مشايخ العلم لما رأيت مثل أحمد بن حنبل لم يكن يخوض في شيء مما يخوض فيه الناس من أمر الدنيا فإذا ذكر العلم تكلم) [٤].

وربما بعضهم من ظاهر الرواية أن الإمام إذا سئل عن أمر من أمور الدنيا كان لا يجيب، والحقيقة غير ذلك لأن الإسلام دين العموم والشمول للدنيا والآخرة ولكن

---

[١]) المناقب ص ٢١٠.
[٢]) تاريخ الإسلام ص ٢٥ للذهبي
[٣]) المناقب ص ٢١٣
[٤]) الحلية جـ ٩ ص ١٦٣.

المراد من هذا هو عدم المزاح والضحك واللعب واللهو، كما نرى في كثير من الجلسات.

كان قليل الكلام: رزيناً ثابتاً يقول عيد بن حميد: (كنا في مسجد- أَطِنَه ببغداد وأصحاب الحديث يتذاكرون وأحمد يومئذ شاب إلا أنه المنظور إليه من بينهم فجاء أبو سعيد -شيخ عندنا بلخي- فدنا من أبي عبدالله فسأله عن شيء فأجابه فقلَّب الشيخ عليه الكلام وكان أحمد قليل الكلام فلا يرد)[١].

ومع أنه قليل الكلام كان لا يتكلم: إلا إذا علم بأن القرآن أو السنة أو الصحابة أو التابعين تكلموا في الشيء الذي يريد أن يتكلم فيه فإذا علم أنهم لم يتكلموا فيه لم يتكلم، لذا كان كلامه وعلمه وفقهه هو السنة وفقهها، ومن هنا كان لا يتكلم في علم الكلام بصورته الفلسفية المنطقية المعروفة ولذلك يقول: (لا يفلح من تعاطي الكلام ولا يخلو من أي يتجهم)[٢].

ولذلك تراه لا يرد على أبي سعيد البلخي حينما سأله سؤالاً في هذا وقال له: (يا هذا إنما مجلسنا مجلس مذاكرة حديث رسول الله وحديث أصحابه فأما الذي تريد أنت فعليك بابن أبي دؤاد) [٣].

كان يبغي من وراء ذلك: الأجر والمثوبة من الله وحده وكان ورعاً زاهداً في درسه يتجلي ذلك في رده هدية أحد تلاميذه: (فلقد كان غلاماً من الصيرفة يختلف إلى أحمد بن حنبل فناوله يوماً درهماً قال اشتر بها كاغدا فخرج الغلام واشترى له وجعل في جوف الكاغد خمسمائة دينار وشده وأوصله إلى بيت أحمد فسأل وقال حمل إلينا من البياض فقال بلى فوضع بين يديه فلما أن فتحه تناثرت الدنانير فردها في مكانها وسأل عن الغلام حتى دلّ عليه فوضعه بين يديه فتتبعه الفتى وهو يقول الكاغد اشتريت بدراهمها خذ هذه فأبى أن يأخذ الكاغد أيضاً) [٤].

---

[١]) الحلية جـ٩ ص ١٨٥.
[٢]) تاريخ الإسلام ص ٢٦ للذهبي
[٣]) الحلية جـ ٩ ص ١٨٦.
[٤]) المرجع السابق نفسه جـ٩ ص ١٧٦ الكاعذ كلمة فارسية وهو القرطاس- المحيط جـ١ ص ٣٤٤ لسان العرب جـ٤ ص ٣٨٤.

وإذا فحصنا هذه الرواية لوجدنا الإمام –وكما سيأتي بعد– يتقبل الهدية ويردها بأحسن منها ولكنه في موقفه هذا رفضها من أجل أن لا يشتم من ورائها شيء في النفس ولإبعاد الرياء عن درسه وانتظار الأجر والمثوبة من الله وحده.

ومن الملاحظات السابقة على درس الإمام أحمد نستطيع أن نقنّن منها قواعد يسير الداعية عليها في حياته لينشر بها –مع المقابلة– الإسلام فعلى الداعية أن:

- يتأسى برسول الله في جلسته ومتابعته في كل شيء.
- يعتني بمظهره الخارجي.
- أن يكون مهاباً.
- أن يسود مجلسه الوقار والأدب وأن يبتعد عن المزاح والضحك في مجالسه.
- أن يكون قليل الكلام ورزيناً ثابتاً.
- لا يتكلم إلا في القرآن والسنة والحديث ولا يتكلم إلا إذا طلب للكلام.
- أن لا يخوض في علم الكلام والفلسفة بصورته المعروفة عند أهله.
- أن يكون عفيف النفس قنوعاً.

فإذا استطاع الداعية فعلاً تطبيق ما مضى كله لاستطاع أن ينشر الإسلام ويحدِث تأثيراً فعالاً في مجتمعه.

(ج) منهج الإمام في التحديث أثناء المقابلة:

إذا كان الإمام أحمد قد استخدم وسيلة المقابلة بنوعيها –المسجد والمنزل– لتكون إحدى وسائله لنشر منهجه، فهل يا ترى كان يسير على منهج للتحديث في هذه المقابلة لتأتي الثمرة المرجوة من ورائها؟ أم أنه كان يسير بلا تخطيط وتنسيق ومنهج فنستنتج الثمرة المرجوة منها؟

الحقيقة إذا نظرنا إلى الإمام وعلى الرغم من منح الله له حافظة قوية وذكاء سيّالا – لوجدناه يستخدم منهجاً إسلامياً علمياً أصيلاً في التحديث– نتمنى ونرجو من كل داعية أن يطبق في تحديثه.

ويمكن إيجاز منهج الإمام في التحديث في النقاط الآتية:–

١- أن يكون التحديث – أثناء المقابلة– من كتاب وبالتملية.

٢- أن يكون التحديث على حسب متطلبات الواقعة أو الحادثة والجلسة التي يجلس فيها أي يفوض عنها معيناً ولا يقرر مسائل افتراضية غير واقعة بل يكون تابعاً لمن يسأله يقول محمد بن إبراهيم البوستجي: (رأيت أحمد بن حنبل وهو يملي علينا فسأله رجل من أهل مرو يكنى أبا يعقوب عن حديث فأمر ابنه عبد الله وقال له: أخرج كتاب الفوائد فأخرجه فجعل يطلبه فلم يجد الحديث فقام بنفسه ونزل من ظهر مسجده ودخل منزله فلم يلبث كثيراً حتى عاد إلينا وعلى يده عدد أجزاء من الكتب فقعد يطلب فيها الحديث فطال عليه فقال له السائل قد تعبت يا أبا عبداله فدعه، فقال: لا الحاجة لنا فرأينا أنه دخل البيت فنظر إلى كل جزء يتوهم ذلك الحديث فيه، فأخرج تلك الأجزاء لئلا يرى أنه قد استقله وكره أنه يحتبس في المنزل ليطلب ذلك الحديث ويحسبك هذا كرم مجلسه)[١].

وإذا أحصينا عدد الأحاديث التي حدث بها الإمام من غير كتاب لوجدناها – كما يخبرنا ابنه– أقل من مائة حديث.

يقول عبد الله ابنه: (رأيت أبي حدّث من حفظه من غير كتاب إلا بأقل من مائة حديث) [٢] ويبين لنا الحكمة من وراء التحديث من الكتاب –على الرغم من قوة حفظه– وهي مخافة النسيان أو سقوط كلمة. يقول إبراهيم بن خالد: (كنا نجالس أحمد بن حنبل فيذكر الحديث ونحفظه ونتقنه، فإذا أردنا أن نكتبه قال: الكتاب أحفظ شيء فيثبت ويجيء بالكتاب) [٣].

٣- يرى الإمام ضرورة إسناد العلم إلى أهله ولابد من ذكر السند عند ذكر الحديث ولذلك يقول: (طلب إسناد العلوم من السنة)[٤].

ويبين الحكمة من وراء طلب الإسناد فيقول: (كنا نرى السكوت عن هذا قبل أن يخوض فيه هؤلاء فلما أظهره لم نجد بدّاً من مخالفتهم)[٥]، أي لابد من ذكر سند العلم للقضاء على الوضع في الحديث، وللقضاء على الوعظ

---

[١] المناقب ص ١٨٩.
[٢] الحلية جـ ص ١٦٣.
[٣] تهذيب الأسماء واللغات جـ١ ص ١١٠
[٤] التاج المكلل ص ٢٤
[٥] المرجع السابق نفسه ص ٢٢

القصصي الذي لا أساس لصحته والروايات المختلقة. ولذلك يوصى أحد تلاميذه بقوله: (إياك أن تتكلم في مسألة ليس لك فيها إمام) [١].

٤- لابد أن يكون الخط الذي يكتب به الحديث واضحاً لتسهل قراءته وليس دقيقاً لا يرى، ولذلك يقول لابن عمه حنبل بن إسحاق حينما رآه يكتب خطاً دقيقاً صغيراً لا يرى: (لا تفعل أحوج ما تكون إليه يخونك) [٢]، ولذلك نرى الإمام يطلب من تلاميذه تطبيق منهجه السابق كله فيقول علي بن المديني: (قال لي سيدي أحمد بن حنبل لا تحدث إلا من كتاب)[٣]، ويقول أيضاً: (ليس في صحابنا أحفظ من أبي عبد الله أحمد بن حنبل إنه لا يحدث إلا من كتابه ولنا فيه أسوة حسنة)[٤].

ومع الكتابة لابد من الحفظ أما الكتابة بدون حفظ فكان يكره ذلك يقول أبو بكر الأثرم: قلت لأبي عبدالله ما تقول في الرجل يأخذ الحديث من كتاب الرجل المحدث فيصححها ثم يجيء بها فيدفعها إليه فيقرؤها المحدّث عليه وهو يعلم أنه لا يحفظها؟ فقال: (ينبغي للناس أن يتوقوا هذا ثم قال: وكان يحيى بن سعيد يعيب قوماً يفعلون هذا)[٥] **هل بعد هذا المنهج الأساسي العلمي الصحيح من منهج؟**

وهل بعد هذا الاستيثاق بالحفظ والكتابة- والإسناد من شيء؟ أليس هذا المنهج بعينه هو الذي نطالب به الباحثين الآن في أبحاثهم وكتابتهم؟

بلى: إذن يجب على الدعاة تطبيق هذا المنهج ليستطيعوا كشف الدخيل في الفكر الإسلامي وللقضاء على الأحاديث الموضوعة، ولمحاربة القصص الخرافية المختلقة وليصلوا إلى جذور القضية التي يريدون مناقشتها بمنهج علمي إسلامي خالص.

المبحث الثاني: الوعظ والإرشاد

---

[١] المناقب ص ١٧٨

[٢] تدريب الراوي جـ ص ٧١

[٣] تهذيب الأسماء واللغات جـ١ ص ١١١

[٤] الحلية جـ ٩ ص ١٦٣.

[٥] الكفاية في علم الرواية ص ٣٧٧

الوعظ لغة النصح والتذكير بالعواقب ليليّن قلب الإنسان، يقول صاحب اللسان: (الوعظ والعظة والموعظة: النصح بالعواقب قال ابن سيده هو تذكيرك للإنسان بما يليّن قلبه من ثواب وعقاب)[١]

ويقول صاحب معجم مقاييس اللغة: (الواو والعين والظاء كلمة واحدة فالوعظ التخويف، والعظة الاسم منه، قال الجليل التذكر بالخير وما يرف له قلبه)[٢]. ويقول الراغب الأصفهاني: (الوعظ زجر مقترن بتخويف)[٣]. وعلى ذلك يكون الوعظ هو النصح بالترغيب والترهيب أو الاثنين معاً لِيَلِين قلبُ الإنسان.

وفي الاصطلاح: يطلق على القول الحق الذي يلين القلوب ويؤثر في النفوس ويكبح جماح النفوس المريضة ويزيد النفوس المهذبة إيماناً وهداية [٤]

ولقد استخدم الإمام أحمد هذه الوسيلة لنشر منهجه، وكان كلامه فيها محمولاً على النصيحة في الدين، دخل ذات يوم المسجد يصلي فلما انصرف وجد العباس الهمذاني فقال له: (أنت عباس؟ قال نعم، قال اتق الله ولا ينبغي أن تنصب نفسك وتشتهر بالكلام ولا بوضع الكتب، لو كان هذا خيراً لتقدمنا فيه الصحابة ولم أر شيئاً من هذه الكتب وهذه كلها بدعة، قال مقبول منك يا أبا عبدالله أستَغْفِرِ اللهَ وأتوب إليه أني لست أطلبهم ولا أدُق أبوابَهم ولكن أسمعُهم يتكلمون بالكلام وليس أحدٌ يرد عليهم، فأغتم ولا أصبر حتى أردَّ عليهم، قال إن جاءك مسترشدٌ فأرشده قالها مراراً)[٥].

ينصح ويرشد على سبيل النصيحة في الدين –أحد إخوانه– بأن لا يشغل نفسه بعلماء الكلام ولا بطريقتهم الفلسفية ولا يجادل إلا بالتي هي أحسن ولذلك قال له (إذا جاءك مسترشدٌ فأرشده) ونراه أيضاً يتخير من يجد منه القَبول وننظر إلى أدب الموعظة الجم حينما قال: (مقبول منك يا أبا عبدالله) فهل للدعاة أن يعوا هذا الدرس؟ نرجو ذلك.

---

[١] (جـ٩ ص ٣٤٦).
[٢] (جـ ٦/ ص ١٢٦).
[٣] معجم مفردات ألفاظ القرآن ص ٥٦٤
[٤] هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة ص ٦١ الشيخ على محفوظ جـ دار السعادة.
[٥] تاريخ الإسلام للذهبي ص ٣٣.

وإذا كان الإمام قد وعظ صاحبه بالابتعاد عن طريقة المتكلمين نراه أيضاً ينصح أصحابه بتلقي الحديث واستنتاج الفقه منه ولا يجعلوا كل همِّهم المسائل الفرعية الفقهية وبذلك تحول بينهم وبين دراسة الحديث وهو الأصل.

يتجلى لنا ذلك أن موسى بن حزام الترمذي كان يختلف إلى سليمان الجرجاني في كتب محمد بن الحسن فقابله أحمد فقال له: (إلى أين؟ فقلت إلى أبي سليمان فقال العجب منكم؟ تركتم إلى النبي ثلاثة وأقبلتم على ثلاثة، إلى أبي حنيفة فقلت كيف يا أبا عبدالله؟ قال يزيد به هارون –بواسط– يقول حدثنا حميد عن أنس قال: قال رسول الله وهذا يقول حدثنا محمد بن الحسن عن يعقوب عن أبي حنيفة قال موسى بن حزام: فوقع في قلبي قوله فاكتريت زورقاً من ساعتي فانحدرت إلى واسط فسمعت من يزيد بن هارون)[١]

ينصح ويعظ إخوانه إلى أخذ العلم من أصوله وهو حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تشغلهم فروع الفقهاء عن طلب الحديث هذا فيجعل الفقه صعباً متجمداً بعد انفصاله عن الحديث أما أخذه واستنتاجه من الحديث فيعطينا الثراء الكثير في المسائل بوضوح وسهولة ودون تعقيد ويجعل باب الاجتهاد مفتوحاً لمن هو أهل له.

ولقد كان رحمه الله يقول بالوعظ بين صفوف الحجاج فيعظهم وينصحهم ويبين لهم أمور دينهم.

يقول العباس بن محمد الدوري: (ربما كنا عند أحمد بن حنبل أيام الحج فيجيئه أقوامٌ من الحجاج فيقبل عليهم ويحدثهم فربما قلنا له في ذلك فيقول: هؤلاء قوم غرباء وإلى أيام يخرجون)[٢].

وكان من ثمرة وعظه بين أهل الكتاب من أنه أسلم على يديه بعضهم وهو يوسف بن موسى العطار الحربي وهو حدث فحسن إسلامه ولزم العلم [٣]. **ولقد وعظ الإمام ونصح وأرشد في مجالات الوعظ المختلفة، فلقد وعظ في:**

١- الإخلاص وترك الرياء وستر التعبد.

---

[١] الحلية جـ ٩ ص ١٨٥.
[٢] المنهج الأحمد جـ١ ص ١٦٢
[٣] المنهج الأحمد جـ١ ص ٣٤٣.

٢- الزهد والرقائق.

٣- في فنون أخرى نقتطف منها ما يلي:

(أ) وعظه في الإخلاص وترك الرياء وستر التعبد فتراه يقول: (إظهار الحمرة من الرياء)[١] يقول عن الصدق والإخلاص (بهذا ارتفع القوم)[٢]

(ب) أما وعظه و نصحه في الزهد فتراه يقول عن الدنيا (قليلها يجزي وكثيرها لا يجزي)[٣] يقول عنها أيضاً (ما قل من الدنيا كان أقل للحساب)[٤].

يقول عن الفقر (الفقر مع الخير)[٥].

يقول عن النفس (يا نفس أنصبي وإلا فتسحزني)[٦].

ويحثُّ على نقل الخير فيقول (كل شيء من الخير تهتم به فبادر به قبل أن يحال بينك وبينه)[٧].

وسئل عن الفتوة فقال (ترك ما تهوى لما تخش)[٨]

ويعظ شخصاً فيقول له (اجعل التقوى زادك وأنصب الآخرة أمامك)[٩].

(جـ) وعظه في فنون أخرى:

يخبرنا عن الصداقة وأثرها فيقول (يؤكل الطعام بثلاث مع الإخوان بالسرور ومع الفقراء بالإيثار ومع أبناء الدنيا بالمروءة)[١٠]

ويقول (إذا مات أصدقاء الرجل ذل) [١١]

ويقول لأحد أصحابه وقد دعاهم رجل إلى وليمة فذهبوا وقدّم لهم طعاماً كثيراً فقال أحدهم هذا إسراف فإذا الإمام يرد عليه ويقول (لا لو أن الدنيا حتى تكون في مقدار لقمة ثم أخذها امرؤ مسلم فوضعها في فم أخيه المسلم لما كان مسرفاً) [١٢] يبين أن

---

[١] المناقب ص ١٩٥

[٢] المرجع السابق نفسه ص ١٩٥

[٣] المرجع السابق نفسه ص ١٩٧

[٤] المرجع السابق نفسه ص ١٩٨

[٥] المرجع السابق نفسه ص ١٩٨

[٦] المرجع السابق نفسه ص ١٩٨

[٧] المرجع السابق نفسه ص ١٩٨

[٨] المرجع السابق نفسه ص ١٩٨

[٩] المرجع السابق نفسه ص ٢٠٠

[١٠] المرجع السابق نفسه ص ٢٠١

[١١] المرجع السابق نفسه ص ٢٠٢

[١٢] المناقب ص ٢٠٢ ومن أراد الاستزادة فعليه بالمناقب ص ٢٠٤:١٩٤

الصداقة أعلى من كل شيء ويرى بأن اجتماع الصحبة على الخير وإجابة الدعوة لا تضارع بشيء.

ولذلك نراه يعظ رجلاً قد استشاره فيمن يتزوجها فيقول له تزوج ببكر وحرص أن لا يكون لها أم[١].

ولقد استخدم الإمام أحمد الشعر في الوعظ فلقد قال أحمد بن يحيي ثعلب كنت أحب أن أرى أحمد بن حنبل فصرت إليه فلما دخلت عليه قال لي فيم تنظر؟ فقلت في النحو والعربية فأنشدني أحمد بن حنبل:

إذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل خلوت ولكن قل عليّ رقيب

ولا تحسبن الله يغفل ساعة ولا أن ما تخفي عليه يغيب

لهونا عن الأيام حتى تتابعت ذنوب على آثارهن ذنوب

فياليت أن الله يغفر ما مضى ويأذن في توباتنا فنتوب [٢]

ومن باب الوعظ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهل يا ترى كان الإمام يسير على منهج فيه؟ وهل أمر بمعروف ونهي عن منكر وغيره؟ **هذا ما سيتضح لنا إن شاء الله**

منهج الإمام في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

في الواقع إذا نظرنا إلى منهج الإمام أحمد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تجده –أيضاً– ملتزماً فيه بمنهج الكتاب والسنة هذا، فالقرآن الكريم قد حدد هذا المنهج في قوله تعالى: (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين)[٣] فطبق الإمام هذا المنهج في دعوته –قولاً وعملاً– واستطاع بعبقرية الداعية أن يضع للداعية في كل زمان ومكان منهجاً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، استطاع الطالب بعد توفيق الله أن يقنن قواعد هذا المنهج فيما يأتي:–

---

[١] المرجع السابق نفسه ص ٢٠٤ [- والآداب الشرعية جـ١ كله، جـ٢ كله ومعظم جـ ٣ لابن مفلح الحنبلي]

[٢] المرجع السابق نفسه ص ٢٠٥.]

[٣] سورة النحل آية ١٢٥.

أولاً: الالتزام بمنهج الكتاب والسنة.

ثانياً: يبين لنا الإمام شروط من يتولى هذه المهمة الخطيرة فيقول" ينبغي أن يكون فيه ست خصال: فقيهاً. عالماً. زاهداً. ورعاً. عفيفاً. بصيراً بما يأتي بصيراً بما يذر[1].

ثالثاً: إذا تحققت الشروط السابقة في الداعية فهو مهيأ للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فلابد أن يضع في اعتباره:

١- أن يأمر وينهي من يريد أن يأمره بينه وبين نفسه إلا إذا كان المأمور قد اشتُهِر بالفسق فلا حرمة له.

٢- أن يأمر وينهي برفق ولين.

جاء رجل إلى الإمام يشكي إليه جاراً له يؤذيه بالمنكر فقال له الإمام أحمد (مُرهُ بينك وبينه) [2]. ويقول: (الناس يحتاجون إلى مداراة ورفق في الأمر بالمعروف بلا غلظة إلا رجلاً مباياناً معلناً بالفسق والردى فيجب عليك نهيه وإعلانه لأنه يقال ليس لفاسق حرمة فهذا لا حرمة له) [3]

٣- أن لا يغضب الداعية ولا ينتصر لنفسه بل يغضب وينتصر إذا ارتُكِبَتْ حرمات الله.

فلابد لمن يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر أن يتَحَمَّل المصاعب بصدر رحب وأن يقابل المشاق بارتياح واطمئنان قلبي، حتى وإن أوذي في نفسه وماله؛ لأنه خرج من أجل الله وفي الوقت نفسه نَزْع الصِّفة الخَبِيثَة صعبٌ على النفس وغرسُ صفة الفضيلة مكانها أصعب، ومن هنا سيصطدم الدعاة بالمصاعب والمشاق، ولربما رده هذا ومنعه عن تحقيق الغاية الأساسية من وظيفته فيغضب وينتصر لنفسه من هنا فلابد من الصبر وعدم الغضب.

---

[1]) المنهج الأحمد جـ ص ٣٤٥
[2]) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص ٩١
[3]) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص ٩٧

فلقد سئل الإمام عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كيف ينبغي أن يأمر؟ قال (يأمر بالرفق والخضوع ثم قال: إن أسمعوه ما يكره لا يغضب فيكون يريد ينتصر لنفسه) [١].

وتتضح هذه الصورة حينما يسأله رجل فيقول: (قلت لأبي عبد الله مثل زماننا هذا نرجو ألا يلزم رجلاً القيامُ بالأمر والنهي إن خاف أن يُنَال منه قال: يحْتَمل، قلت: في الصلاة لابد، أهُم يُحسِنُون؟ قال: يُعلِّمهم، قلت: يشتَمُ قال: يحتمل من يريد أن يأمر وينهى لا يريد أن ينتصر بعد ذلك) [٢]. إنها العزة والأنَفة والصلابة وقوة التَّحمل في سبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقد يثور المؤمن إذا انتهكت حرمات الله وهذا وارد لا غبار عليه فيه لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن يغضب إلا أن تنتهك حرمات الله، والداعية لا يعرف الانتصار لمنفعة ذاتية ولا لحاجة دنيوية وإنما ينتصر لله إذا ارتكبت حرماته، ولا يغضب إن رماه الفاسق بالجهل أو بالفسق.

٤- إذا كان الداعية قادراً على البيان وتحمّل الأذى فلا يرفع الأمر للسلطان فإذا لم يقدر على البيان -أي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر- وفي الوقت نفسه تحمَّل الأذى وصبر وحاول له بعد ذلك.

- إن وجد أن السلطان يقيم الحد لا يزيد فيه ولا ينقص يَرْفَعُ الأمر إليه.
- أما إذا وجد السلطان لا يقيم الحد نهائياً أو يُنقص عن مقداره أو يزيد فيه فلا يَرْفَع الأمر للسلطان.

فلقد سئل الإمام عن رجل يرى منه الفسق والدعارة ويُنهَى فلا ينتهي يَرفَعُه إلى السلطان؟ قال: إن علمت أنه يقيم عليه الحد فارفعه) [٣].

وفي حالة عدم إقامة الحد أو الزيادة عن المقدار أو النقصان عنه فلا يَرْفَع للسلطان هذا ما عناه الإمام بقوله: (كان لنا جارٌ فرُفع إلى السلطان كان قد تأذي منه جيرانه

---

[١] المرجع السابق نفسه ص ١٠٢
[٢] المرجع السابق نفسه ص ١٠٢
[٣] الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص ١٠٤

فرفعوه فضربه ثلاثين درة فمات) [1] ولذلك نراه يقول (لا ترفق للسلطان من يتعدي عليه)[2]، ويبدو –والله أعلم– بأن الإمام أحمد موفق في هذا لأنه إذا رفع أمر فاعل المنكر إلى السلطان

إما أن يقيم عليه الحد الشرعي بلا زيادة وبلا نقصان فهذا هو العدل بعينه، وهذا هو المراد، ومن هنا طلب الإمام في هذه الحالة رفع الأمر للسلطان ليزدجر العصاة وليبتعدوا عن فعل المنكرات.

أما إذا رفع الأمر للسلطان وضرب فاعل المنكر أزيد من حده، سواء مات أو لم يمت، فهذا هو الظلم بعينه، وهذا مالا يرتضيه الإمام، وفي الوقت نفسه يعطينا صورة على أن السلطان لا يلتزم بالحد الشرعي.

أما إذا رفع الأمر إلى السلطان وخفّف من الحد فهذا يعطينا عدم التزامه بالحد الشرعي، وفي الوقت يعطي لفالعي المنكرات دفعة قوية لفعلها، لأنهم وجدوا بأن السلطان يتجاوز– وهذا ما جعل الإمام لا يرى رفع الأمر إلى السلطان– لأن الوقاية خير من العلاج– وتأتي الطّامّة الكبرى حينما يرفع أمر صاحب المنكر إلى السلطان فيأمر بإخراجه دون إقامة الحد عليه أو حبسه ماذا سيكون حال هذا؟

سيكون كالأسد الكاسر في فعل المنكرات ويتحول إلى سرطان للمنكرات بل ويستهزئ بالآمرين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من هنا رأى الإمام عدم رفع الأمر إلى السلطان للوقاية من كل هذا.

٥–بيّن الإمام وسائل تغير المنكر:

١- التغيير باليد والتغيير باليد ليس منها بها أو ممسكاً بسيف أو سلاح وإنما التفريق بين فاعلي المنكر أو إفساد المنكر ذاته ككسر عود الغناء إذا كان مكشوفاً واستُعْمِل، وإفساد الخَمْرة إذا كانت مكشوفة بوضع مِلْحٍ فيها.

٢- التغيير باللسان وهذا بالنصيحة كما قلنا سابقاً.

---

[1] المرجع السابق نفسه ص ١٠٤

[2] المرجع السابق نفسه ص ١٠٤.

٣- التغيير بالقلب وذلك أضعف الإيمان.

سئل رحمه الله كيف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ فقال: (باليد وباللسان وبالقلب، وهو أضعف، فقال سائله: كيف باليد قال تفرق بينهم)[١] ولربما بينهم من التفريق باليد استعمال أي آلة كذلك فإذا بالإمام يوضحها فيقول: (وإن التغير باليد ليس بالسيف والسلاح)[٢]

إذن الإمام قد وضع منهجاً –من وجهة نظري– سليماً صحيحاً قوي الأساس متماسك البنيان مترابط القواعد مَبنيّاً على منهج الكتاب والسنة إيماناً بخطورة هذا المبدأ وهو عمود حضارة الأمم وازدهارها وأساس أصالتها وبناء شخصيتها وذاتيتها وما تمسّكت به أمة إلا ورفع الله كلمتها وأعز شأنها ونصرها على أعدائها وما تقاعصت أمة عنه إلا وهنت وشاخت وسرى تيار الانحراف بين أجزائها فقضى عليها كالهشيم المحتظر.

ومن هنا نراه قد طبق هذا المنهج كما ذكرنا– في ثنايا الرسالة بنفسه، طبقه بالقول وطبقه بالعمل باليد وبالتفريق، يقول المروزي: (كنت سائراً مع أبي عبدالله في الطريق فرأي صبياناً يقتتلون فعدل إليهم ففرق بينهم)[٣]

ولقد مرّ من أمامه عود غناء مكشوف (فقام بكسره)[٤]، ومن إيمانه بخطورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ورؤيته البدع المنتشرة الزائدة في عصره وما تحدثه من انحرافات وخاصة وأنها تخاطب الغريزة فتتجاوب معها دون وعي يرى الإمام بأن لابد من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليل نهار وبكل وسيله ممكنة لأن الناس تأكل مرة أو مرتين في اليوم فقط أما المنكر فهو إذا دخل جسماً فلا يتركه أبداً، ومن هنا يرى بأن العلم والأمر بالمعروف لابد أن يكون مستمراً ولذلك تراه يقول: (الناس

---

[١]) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص ٩٣
[٢]) المرجع السابق نفسه ص ٩٤.
[٣]) المرجع السابق نفسه ص ٩٣
[٤]) المرجع السابق نفسه ص ١٤٢.

يحتاجون إلى العلم مثل الخبز والماء لأن العلم يُحتاج إليه في كل ساعة والخبز والماء في كل يوم مرة أو مرتين)[1].

المبحث الثالث : المناقشة والمناظرة

المناقشة هي: (تبادل الأفكار والآراء وجهاً لوجه بين أعضاء جماعة صغيرة نسبياً)[2]، **والمناظرة هي:** (محاورة تُجرى بين شخصين من ذوي المعرفة القادرَيْن على الحديث عن موضوع معين)[3].

وقد استعمل الإمام أحمد في تبليغه الدعوة المناظرة والمناقشة، وتتجلى المناقشة في أمر امرأة ماتت ولم يجدوا لها إلا امرأة حائضاً تغسّلها فأتى أهلها إلى يحيي ابن معين والدورقي وجماعة فتناقشوا فأجاب بعضهم بعدم الجواز، وبعضهم توقف عندئذ دخل الإمام أحمد بن حنبل وسألهم جميعاً، ما شأنكم؟ فقال أهل المرأة: ليس نجد غاسلة إلا امرأة حائضاً، فقال أحمد أليس ترون عند النبي صلى الله عليه وسلم : يا عائشة ناوليني الخِمْرة قالت: إني حائض فقال: إن حيضتك ليست في يدك يجوز أن تغسّلها فخجلوا)[4]

وتتجلى صورة المناظرة واضحة في قضية القرآن حينما كان الإمام أحمد مسجوناً في دار إسحق بن إبراهيم يقول الإمام أحمد: (فكان يوجّه إلى كل يوم برجلين فلا يزالان يناظران.. فلما كان في اليوم الثالث دخَل عليّ أحدُ الرجلين فناظرني فقلت له: ما تقول في علم الله؟ قال: علم الله مخلوق فقلت له: كفرت فقال الرسول الذي كان يحضر من قِبَل إسحق بن إبراهيم إن هذا رسول أمير المؤمنين فقلت له: إن هذا قد كفر، فلما كان الليلة الرابعة وجّه –يعني المعتصم– إلى اسحق فأمره بحمْلِي إليه، فأدْخِلْتُ على إسحق فقال يا أحمد إنها والله نفسك انته، ولا يقتلك بالسيف إن لم تجبه أن يضربك ضرباً بعد ضرب وأن يقتلك في موضع لا يُرى فيه شمسٌ ولا قمر، أليس

---

[1]) منهج الأحمد جـ ١ ص ٢٨٨

[2]) الدعوة الإسلامية في عهدها المكي مناهجاً وغلبتها ص ٣٥٣ د/ متولي يوسف شلبي.

[3]) المرجع السابق نفسه ص ٣٥٥

[4]) التاج المكلل من جواهر الطراز الأول ص ٢٤ وما بعدها – المغطي- أي الشيء الذي يغطي أو يستر به – لسان العرب جـ٥ ص ٣٤٢

قال الله عز وجل: (إنا جعلناه قرآنا عربياً) أفيكون مجعولاً إلا مخلوقاً؟ فقلت قد قال الله تعالى: (فجعلهم كعصف مأكول) أفخلقهم؟ قال فسكت)[1]

تمعّن معي هذه المناظرة الساخنة وهذا الداعية الشجاع الذي لا يخاف في الله – ونشر دعوته– لومة لائم في أي مكان، إنها كانت في السجن، يناظره رسول أمير المؤمنين ثم إسحق نفسه نائب أمير المؤمنين، فيقيم الإمام عليهم الحجة والبرهان والدليل القرآني الساطع، وهذا مما يجعل الداعية في العصر الحديث محيطاً بموضوعه حافظاً للقرآن لا يخاف التهديد، ولا يخضع لإنسان كهذا الداعية الكبير حينما هدده إسحق بأن المعتصم سيصيبه ضرباً بعد ضرب، ويقتله بحيث لا تُرى جثته ولا يعرف عنها شيئاً ماذا كان حال الداعية؟ أن صمد يناظر وأقام عليهم الحجة لأنه يعلم بأن الحق بجانبه، أليست هذه الأسلحة تستخدم الآن ضد الدعاة؟ بلى إذن العصر الحديث لم يأت بجديد على الدعاة.

ويأتي دور المناقشة الواسعة بين فطاحل المعتزلة أمام الخليفة وبين الإمام أحمد في جوٍّ ملبّد بالتهديد ومملوء كله بالضرر، وينذر بالقضاء عليه فلم يَهُن ولم يضعف ولم تزلزل الأرض من تحت قدميه، ولكنه انتهزها فرصة سانحة نادرة ولا تتكرر ، خاصة أمام الخليفة وجمع كثير– انتهزها لنشر منهجه وبيانه ودحض أدلتهم والقضاء عليها وإقامة الحجة عليهم حينما حُمِل إلى المعتصم، فإذا هو جالس وابن أبي دؤاد حاضر وخلفه كثير، وبدأت المناقشة فيقول المعتصم: (كلموه يا عبد الرحمن كلمة فقال لي عبد الرحمن: ما تقول في القرآن؟ قلت له: ما تقول في علم الله؟ فسكت فقال لي بعضهم: أليس قال الله تعالى: (الله خالق كل شيء)[2] والقرآن أليس هو شيء؟ فقلت قال الله تعالى: (تدمر كل شيء بأمر ربها) [3] قد دمَّرَت إلا ما أراد الله.

فقال بعضهم : (ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث) [4] أفيكون محدث إلا مخلوقاً؟ فقلت قال الله: (ص والقرآن الكريم ذي الذكر) [5] فالذكر هو القرآن وتلك ليس فيها

---

[1]) تاريخ الإسلام ص ٤٣ للذهبي.
[2]) سورة الأنعام بعض آية ١٠٢
[3]) سورة الأحقاف بعض آية ٢٥
[4]) سورة الأنبياء آية ٣
[5]) سورة ص آية ١

ألف ولام، وذكر بعضهم حديث عمران بن حصين أن الله عز وجل خلق الذكر ، فقلت: هذا خطأ حدثنا غير واحد (أن الله كتب الذكر) واحتجوا عليّ بحديث ابن مسعود: (ما خلق الله من جنة ولا نار ولا سماء ولا أرض أعظم من آية الكرسي) فقلت: إنما وقع الخلق على الجنة والنار والسماء والأرض ولم يقع على القرآن.

فقال بعضهم: حديث خباب (يا هنتاه تقرب إلى الله بما استطعت فإنك لن تتقرب إليه بشيء أحبَّ إليه من كلامه) فقلت هكذا هو.. لم يقول صالح –ابن الإمام أحمد – فجعل أحمد بن أبي دؤاد ينظر إلى أبي كالمُغضَب وقال أبي: وكان يتكلم هذا فأردّ عليه ويتكلم هذا فأرد عليه ، فإذا انقطع الرجل منهم اعترض ابن أبي دؤاد فيقول يا أمير المؤمنين هو ضالٌّ مبتدع، فيقول: (كلموه ناظروه فيكلمني هذا فأرد عليه ويكلمني هذا فأرد عليه.. وجعل صوتي يعلو أصواتهم.. وجعل أبى أبي دؤاد يقول يا أمير المؤمنين لئن أجابك لهو أحب إليّ من مائة ألف دينار، ومائة ألف دينار فيعُدُّ من ذلك ما شاء الله أن يَعُدّ، وقال المعتصم: والله لئن أجابني لأطلقن عنه بيدي ولأركبن إليه بجندي ولأطأن عقبه.. فيقول الإمام: أعطوني ديناراً من كتاب الله أو سنة رسوله حتى أقول له) [1].

ثلاثة أيام متتالية يناقشون الإمامَ أمام الخليفة مستعملين مرة التهديد، وأخرى الأدلة في غير موضعها، وثالثه الإغراء بالمال، حتى المعتصم نفسه يستعمل معه الإغراء، ولكن الإمام كان يقابل كل هذا بالرد عليهم ومناقشتهم ومناقشة إسلامية صحيحة مبنيّة على الكتاب والسنة، ومستعملاً أدلة قرآنية صحيحة وداحضاً لأدلتهم ومعرضاً عن تهديداتهم وإغرائهم وظلَّ متمسكاً بمنهجه، بل واستغل هذا في نشره، بل نراه أكثر من هذا، يستعمل معهم في مناقشته الحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، بلا غضب ولا انفعال ولا تهور ويبين للخليفة بأن هذه المناقشة لا تصح من جذورها، لأنها دخيلة على الفكر الإسلامي الصحيح فحينما دخل الإمام أحمد على المعتصم فقال المعتصم لرسوله: (ادنه ادْنه فلم يزل يدنيني حتى قربت منه، ثم قال لي: اجلس فجلست وقد ثقلتني القيود فمكثت قليلاً ثم قلت: أتأذن لي في الكلام؟ فقال

---

[1]) تاريخ الإسلام ص ٤٢:٤٨ بتصرف وبتقديم وتأخير الرواية ، انظر المناقب ص ٣٢١ – لأطـأن عقب أسير في أسره- لسانا لعرب جـ ٢ ص ١٠٢.

تكلم فقلت إلى ما دعا الله ورسوله؟ فسكت هنيهة ثم قال إلى شهادة أن لا إله إلا الله، فقلت: وأنا أشهد أن لا إله إلا الله، ثم قلت: إن جدك العباس يقول: (لما قدم وفد عبد قيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم سألوه عن الإيمان فقال أتدرون ما الإيمان؟ قالوا الله ورسوله أعلم، قال: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وأن تعطوا الخمس من المغنم) [1] قال أبي قال –يعني المعتصم– لولا أني وجدتك في يديّ من كان قبلي ما عرضت لك، ثم قال: يا عبد الرحمن بن إسحق آلم آمرك برفع المحنة)[2].

لقد استعمل الإمام مع المعتصم الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، واستطاع أن يقيم الحجة عليه من واقع الحديث، وأن ينتزع اعترافاً منه بإقامة الحجة على كل من ناقشه أمامه، وبأن هذه القضية دخيلة في الفكر الإسلامي وذلك حينما أمر المعتصم برفع المحنة.

ومن هنا لا أبرِّئ بأي حال من الأحوال (المأمون –والمعتصم– والواثق) مِن تحمُّل تبعة المحنة لأنهم –بلا شك– كانوا على علم بها، وكانت تجرى أمامهم المناقشات، إلا المأمون فلم تجرى أمامه.

أما القول بأنهم كانوا مغلوبين على أمرهم فهذا شيء نقره، ولكن نقول إن الخليفة إذا غلب على أمره لا يستحق أن يتولى خلافة المسلمين ولكنها الحفاظ على العرش ولو ضاع الدين أو أن المعتزلة سيطروا على الخلفاء، وكانوا هم يقومون بهذه المهمة من ورائهم، فهذا ما لا يقبله عقل بدليل وقوع المناقشة أمام المعتصم، وبدليل إرسال الواثق للإمام بمنعه من التحديث، وفرضه القول بجواز خلق القرآن، وقضية الرؤية، ولإرسال المأمون من قبلهم الخطابات بامتحان العلماء في قضية خلق القرآن.

الفصل الثاني

ويبحث في وسائل التبليغ بالتدوين:

---

[1]) الحديث رواه الإمام أحمد في مسنده جـ٢ ص ٢٧٠ حديث رقم ٢٠٢٠ ط الإعتصام.
[2]) تاريخ الإسلام ص ٤٤ المناقب ص ٣٢١.

وتنقسم إلى:

مدخل : الإمام أحمد " وتدوين الكتب.

مناقشة قضية كراهية تصنيف الإمام للكتب

وثلاثة مباحث:

المبحث الأول: كتب الإمام أحمد

المبحث الثاني: تقسيم كتب الإمام أحمد

تقسيمها موضعياً

تقسيمها من حيث الوجود والعدم

أهم هذه الكتب

المبحث الثالث: الرسائل

أنواعه:

رسائل يعطيها الإمام أحمد.

رسائل يرسلها الإمام أحمد.

نموذج تخطيطي لرسائل الإمام

المدخل:

ويشتمل على: ١- الإمام أحمد وتدوين الكتب.

٢- مناقشة قضية كراهية تصنيف الإمام للكتب والرأي الصحيح فيها.

لاشك أن استخدام الإمام أحمد لوسائل القول آتت الثمرة المرجوة من ورائها -إلى حد بعيد- ولكن نوع الوسائل -لاشك- أفضل لنشر منهجه إلى أكبر عدد ممكن من الناس، وعلى الرغم من إتيان الثمرة المرجوة من وراء استخدام وسائل القول إلا أنها محدودة الزمان والمكان والمستمعين أي محدودة بحدود صاحبها.

أما تصنيف الكتب وتحصيل وسائل القول فلاشك سنعبر عن رأيه في القضايا المثارة في عصره، ونستطيع أن نأخذ منها منهجه الذي استخدمه فيها وتصبح مدوناته حلقة من حلقات الفكر الإسلامي في حقيبة ثرية من الزمن ملئت بالنهضة الفكرية في جميع المجالات.

فحينما نظر الإمام إلى عصره ووجد منه ما وجد من تصنيف الكتب المختلفة في جميع المجالات في التفسير- الحديث- الفقه- الفلسفة- التاريخ...الخ واستخدامها كوسائل فعّالة في نشر الأفكار، ورأى ما رأى من أصحاب الآراء المختلفة من معتزلة وأهل كلام ومن غيرهم الذين يثيرون قضايا فكرية معينة -واستغلالهم المؤلفات أحسن استغلال في الدعاية لهم ونشر مناهجهم التي قد يكون منها منحرفاً وضالّاً كالشعوذة والزندقة، لابد إذن من اقتحام هذا الميدان والدخول فيه للمشاركة في تقدم الفكر الإسلامي الصحيح في التفسير والحديث.....

والرد على المنحرفين ومناقشاتهم وبيان خطئهم في الوقت نفسه يبين لنا صورة حيَّة للفكر في عصره ومن وراء ذلك كله كوسيلة فعّالة على مر السنين لنشر منهجه فكان تصنيفه الكتيب.

وكان الإمام -في بداية عهده- يكره وضع الكتب إلا ما كان جمعاً لمادة حديثه تكون إماماً للناس كما قال عن المسند يقول حنبل بن إسحق: (رأيت أبا عبدالله يكره أن يكتب شيئاً من رأيه أو فتواه)[١] وحينما علم أن الكَوْسَج يروي عنه مسائل بخراسان قال: (اشهدوا أني رجعت عن ذلك كله)[٢].

---

[١] المناقب ص ١٩٣
[٢] المنهج لأحمد ص ٢٥٧

وإذا كان الإمام يكره وضع الكتب فهل يا ترى هناك أسباب وراء هذا المنع؟ وهل رجع الإمام عنه؟ وما سبب رجوعه؟

هناك أسباب وراء هذا المنع نجملها فيما يأتي:-

١- إن الإمام له هدف ومنهج من وراء نهيه عن وضع الكتب هو بعينه ما ينتهجه الآن المشرفون على الرسائل العلمية مع طلابهم إذا يرفضون المراجع الفرعية ويؤثرون العودة بالنصوص إلى مصادرها الأصلية إلا أن هناك فارقاً ما بين الإمام والمشرفون على الرسائل، إذ الإمام يرى الرجوع بالعلم -النظري- كله إلى مصادره الأولى، الكتاب والسنة والأثر بينما المحدثون يقرون تأليف الكتب وينصحون برد النصوص إلى أصحابها القدامى نسبياً. والذي يجب أن نشير إليه أن المحدثين عادوا إلى ما رآه الإمام في بعضه لا في كله إذ هم يتفقون معه ( ) بالمستحدث من المؤلفات كمصدر للنقل - لأنه ناقل مما قبله- اللهم إلا إذا كان المستحدث مبيناً على الكتاب والسنة وترتيبها للمادة ليسهل قراءتها وتنقية ما علق بها وتجميعها وبيان الفاسد من الصالح فيها، وينفرد الإمام برأيه في عدم الثقة لا بمستحدث ولا بتقديم من المؤلفات إلا في نقل الكتاب والسنة والأثر إلى الجيل الثاني من التابعين[١] وما كان كذلك فهو مطلوب سواء أكان قديماً أو مستحدثاً وما كان غير ذلك فهو غير مطلوب سواء أكان قديماً أو مستحدثاً أيضاً.

٢- قعّد الإمام إذا قال رأياً ودوّنه فمن الممكن أن يرجع عن هذا الرأي لوضوح دليل أقوى من السابق فيرجع عن رأيه الأول. يروى أن رجلاً قال له أريد أن أكتب هذه المسائل فإني أخاف النسيان قال له أحمد: (لا تكتب شيئاً فإني أنْهَ أن أكتب رأياً. وأحسَّ مرة بإنسان يكتب ومعه ألواح في كمه فقال: لا تكتب لعلي أقول الساعة بمسألة ثم أرجع عنها) [٢].

٣- يرى الإمام تدوين الأحاديث والسنة فقط ولا يكتب رأياً بجوارها فلقد قال له رجل يوماً يا أبا عبدالله هذه أحاديثك أرويها عنك فنظر في الكتاب وقال: (إن كان عني

---

[١]) مقدمه المسند ص ٣٨ دار الانعام بتصرف شديد
[٢]) المنهج لأحمد جـ ١ ص ٢٥٥

فأروه) [١]. وغضب غضباً شديداً حينما سأله رجل وقال له: (أكتب كتب الرأي؟ قال: لا. قال: فأبن المبارك قد كتبها؟ قال: ابن المبارك لم ينزل من السماء إنما أمرنا أن نأخذ العلم من فوق) [٢].

٤- يرى البعض أنه لم يأمر بتدوين آرائه لشدة تواضعه فنراه يقول: (كان أحمد رضي الله عنه ينهى عن كتب كلامه تواضعاً وقدر الله أن دوّن ورتّب وشاع)[٣].

٥- يرى البعض بأن الإمام يريد من وراء ذلك أن يلزم تلاميذه أن يستكملوا جمع النصوص والآثار وتصحيحها، لأن النصوص مصدر الفقه كله.[٤]

٦- يرى البعض بأن الإمام يهدف من وراء إلزام المتفقهين بالاجتهاد ومحاربة التقليد، وكانت بدعة التقليد قد بدأت تفشو في الناس، وكان فقه عظيماً قد تم تدوينه في كتب الشافعي ومحمد بن الحسن ومدوَّنة مالك وتلاميذ هؤلاء كثيرين[٥].

إلا أننا نرى الإمام أحمد حينما يروى عنه عبد الملك بن عبد الحميد بن مهران الميموني نراه يسكت عنه ويجعله يدون أقواله فيقول الميموني: (سألت أبا عبدالله عن مسائل فكتبتها فقال أي شيء تكتب يا أبا الحسن؟ فلولا الحياء منك ما تركتك تكتبها، وإنه عليَّ لشديد والحديث أحبُّ إليَّ منها)[٦].

فهل يا ترى يرجع الإمام أحمد عن غرضه الأول- وهو المنع خاصة بعد أن رأينا كتباً كثيرة له؟ وإذا كان رجع فما هي الأسباب الداعية لذلك؟

يقول فريق بأن الإمام أحمد رجع عن ذلك ويستدلون بأن الإمام ألف في الردِّ على الجهمية والزنادقة ويقولون: (ما تمسك من الأولين فهو منسوخ) [٧]، ويقولون بأن

---

[١] المرجع السابق نفسه جـ ١ ص٢٦٠
[٢] المناقب ص ١٩٣
[٣] المرجع السابق نفسه ص ١٩٤
[٤] أحمد بن حنبل إمام أهل السنة ص ٢٨٢.
[٥] أحمد بن حنبل إمام أهل السنة ص ٢٨٢
[٦] المنهج الأحمد جـ ص ١٧١
[٧] الآداب الشرعية والمنهج المرعية جـ ص ٢٢٣

الإمام قال: (قد كنا نأمر بالسكوت –أي عن علم الكلام والكتابة فيه– فلما دعينا إلى أمر ما كان لابد لنا أن ندفع ذلك)[1]

فنحن الآن أمام فريقين: ١– فريق يثبت بأن الإمام كره ذلك.

٢– فريق آخر يثبت بأنه رجع عن ذلك.

فإلى أي فريق يكون الحق:

الحقيقة إذا نظرنا إلى أدلة الفريقين لوجدنا بأن الفريق الأول الذي يثبت بأن الإمام كره ذلك أطلق وعمم كره الإمام ( ) نظرنا إلى الأدلة التي اعتمدوا عليها لوجدنا بأن الإمام كره وضع الكتب الخاصة بالفروع الفقهية المجردة والكتب الخاصة بعلم الكلام على الطريقة الفلسفية.

وإذا نظرنا للرد للفريق الثاني الذي يقول بأن الإمام قد رجع، هم في الحقيقة أطلقوا أيضاً الرجوع وعمموه والحقيقة أن الإمام حدد منهجه في تصنيف كتبه كما وضح لي من الأدلة السابقة على:

١- كره وضع الكتب الخاصة بالآراء الفرعية الفقهية التي لا تعتمد على الكتاب والسنة.

٢- كره وضع الكتب الخاصة بعلم الكلام التي لا تعتمد على الكتاب والسنة.

٣- وضع كتبه كلها في الحديث والتفسير– الرد على الجهمية.

كتبها كلها مبينة على الكتاب والسنة لأنه يريد أن يجمع الأمة ويعود بها إلى منهجها السلفي الخالص إلى العصر الأول والدليل على ذلك فوق ما تقدم. أننا إذا نظرنا إلى مصنفات الإمام كلها لوجدناها معتمدة على الكتاب والسنة خالية من أقواله وآرائه ( ) قصة كتاب الرد على الزنادقة والجهمية. رواية الميموني يوجد فيها:

١- قول الإمام (فلولا الحياة ما تركتك تكتبها وإنه علي لشديد) يوحي بحياء الإمام منه.

---

[1]) المرجع السابق نفسه جـ١ ص ٢٢٣.

٢- وعلى الرغم من حياء الإمام منه لم يوافقه إلا بكتابة ما هو مبني على الكتاب والسنة يتضح ذلك من بقية الرواية (..والحديث أحبّ إلي منها) قلت –أي الميموني– إنما تطيب نفسي في الحمل عنك إنك تعلم أنه منذ مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد لزم أصحابه قوم ثم لم يزل يكون للرجل أصحاب يلزمونه ويكتبون قال: – أي الإمام أحمد– فمن كتب؟ قلت: أبو هريرة قال: وكان عبدالله بن عمرو يكتب ولم أكتب فحفظ وضيّعت فقال لي: فهذا الحديث – يرى الإمام أن فقه وراد في شأن كتابة الحديث عن الرسول لا في الفقه والفروع، فقلت له: فما المسائل إلا حديث ومن الحديث تشتق) [١].

فمن هذه الرواية يتضح لنا إذن منهجه في تصنيف كتبه وموافقة الميموني أن يسجل الأحاديث ويستنتج منه مسائل الفقه.

٣- ومما تؤكد لنا ذلك أيضاً أنه قال لابنه: في شأن المسند: (احتفظ به فإن سيكون للناس إماماً) والمسند فيه من الأحاديث ما يغطي التفسير والعقيدة والفقه والزهد والورع والتاريخ ....

وليس هذا يدل على أن الإمام ليس فقيهاً، وإنما يريد هو من وراء ذلك استنباط الفقه من الحديث مباشرة وربط المجتمع بالكتاب والسنة لتوحيد منهج الفكر دون الاعتماد على كتب الفروع وحدها، وترك الكتاب والسنة أو أن الاعتماد على كتب أهل الكلام بطريقتهم المجردة دون الاعتماد أيضاً على الكتاب والسنة.

ومن هذا نبعت كل كتبه من الكتاب والسنة كمنهجه تماماً بتمام.

المبحث الأول

كتب الإمام أحمد

يحدثنا ابن النديم عن بعض كتبه فيقول: (له من الكتب كتاب العلل– كتاب التفسير– كتاب الناسخ والمنسوخ– كتاب الزهد– كتاب المسائل– كتاب الفضائل–

---

[١]) المنهج الأحمد جـ ١ ص ١٣.

كتاب الفرائض – كتاب المناسك– الأيمان– كتاب الأشربة– طاعة الرسول– كتاب الرد على الجهمية– المسند) [١].

ونلاحظ هنا بأن ابن النديم لم يحصر كتب الإمام أحمد لأنه قال (له من الكتب)، ومِن هنا للتبعيض لأن صاحب طبقات المفسرين ذكر كتباً لم يذكرها ابن النديم فيقول: (فكانت تصانيفه المنقولات فصنف المسند وهو إحدى وثلاثون ألف حديث وكان يقول لابنه: احتفظ بهذا المسند فإنه سيكون للناس إماماً، قال ولده عبد الله: وصنف أبي المسند سنة ثمانين –أي ثمانين ومائة– والتفسير وهو مائة وعشرون ألفاً، والناسخ والمنسوخ والتاريخ وحديث شعبة والمقدم والمؤخّر في القرآن، وجوابات القرآن والمناسك الكبير والصغير، والعلل والزهد والمسائل والفضائل والفرائض والأيمان والرد على الجهمية والأشرية وطاعة الرسول وأشياء أخر)[٢].

وبالنظر إلى الروايتين نجد أن جميع الكتب التي ذُكِرَت في رواية ابن النديم لوجدناها ثلاثة عشر كتاباً موجودة بنصها في رواية طبقات المفسرين وهي:–

١- كتاب العلل. ٢– التفسير. ٣– الناسخ والمنسوخ.

٤- الزهد. ٥– المسائل. ٦– الفضائل.

٧–الفرائض. ٨–المناسك. ٩– الأيمان.

١٠–الأشرية. ١١– طاعة الرسول. ١٢–الرد على الزنادقة والجهمية.

وانفردت الرواية الثانية بالكتب الآتية:–

١- المناسك الصغير. ٢– التاريخ. ٣– حديث شعبة.

٤–المقدم والمؤخر في القرآن. ٥– جوابات القرآن.

إلا أن روايته طبقات المفسرين ويتفق معها رواية صاحب المناقب في قوله (وأشياء أخر)[٣] وأيضاً رواية صاحب المنهج الأحمد فتقول : (وغير ذلك من الكتب) [٤]، **وهناك كتب أخرى للإمام أهمها:–**

١- كتاب السنة وهو الذي قرر فيه عقيدته الدينية[٥].

---

[١]) الفهرست ص ٢٠

[٢]) جـ٢ ص ٧٠

[٣]) للمناقب ص ١٩١

[٤]) جـ١ ص ١٩٠

[٥]) الفتح المبين في طبقات الأصوليين جـ١ ص١٤٩

٢- كتاب الفوائد فلقد ورد أن الإمام جاءه رجل فسأله عن حديث فأمر ابنه وقال له: (أخرج كتاب الفوائد) [١].

٣- رسالة الصلاة ذكرها صاحب طبقات الحنابلة[٢]

أما كتاب (الرد على الزنادقة والجهمية) فيقولون بأنه كتابان مستقلان كتاب الرد على الزنادقة وكتاب الرد على الجهمية، لأنهما وجدا منفصلين وعلى ذلك يكونان مستقلين، وقيل: إنهما كتاب واحد لأنهما طبعا مع بعضهما، ولأنهما يعالجان موضوعاً واحداً، وسأبين الرأي الصحيح إن شاء الله، عند كلامي عن هذا الكتاب وعلى ذلك تكون عدد مصنفات الإمام إحدى وعشرين كتاباً أو اثنين وعشرين كتاباً، ولكن هل توجد للإمام كتب أخرى؟ الحقيقة –فيما يبدو لي والله أعلم– بالبحث في المراجع التي بين يدي لم أجد –إلى الآن– كتباً تنسب إلى اسمه إلا الكتب السابقة ولكن وجدنا كتباً رواها تلاميذه عنه ولكن تنسب إليهم:–

١- كتاب الورع تصنيف أبو بكر الخلال رواه عن الإمام أحمد [٣].

٢- كتاب الأمر بالمعروف والني عن المنكر " " " " [٤].

٣- كتاب العلم في أصول فقه الإمام " " " " [٥].

٤- كتاب الأمر في آراء الإمام السياسية " " " " [٦].

المبحث الثاني

تقسيم كتب الإمام

(١) تقسيمها على حسب موضوعاتها:–

إذا قسمنا كتب الإمام السابقة موضوعياً فتكون على ما يبدو لي غالباً كالآتي:–

أ– كتب خاصة بالعقيدة وهي ثلاثة كتب:

١- كتاب السنة.

---

[١] المناقب ص ١٨٩
[٢] جـ١ ص ١٤٩
[٣] مقدمة المسند ص ٣٠
[٤] مقدمة المسند ص ٣٠
[٥] دائرة المعارف الإسلامية جـ٢ ص ٦٥
[٦] المرجع السابق نفسه جـ٢ ص ٣٦٥

٢- كتاب الفضائل.

٣- كتاب الأيمان.

ب- كتب خاصة بالقرآن وتفسيره:

١- التفسير. ٢- الرد على الزنادقة والجهمية.

٣-الناسخ والمنسوخ. ٤-المقدم والمؤخر في القرآن.

٥-جوابات القرآن.

جـ-كتب خاصة بالسنة والرجال والعلل:

١-كتب طاعة الرسول. ٢- المسند.

٣-التاريخ. ٤- العلل.

٥-حديث شعبه.

د-كتب خاصة بالفقه:-

١-المناسك الكبير. ٢-المناسب الصغير.

٣-الفرائض. ٤-الصلاة.

٥-الأشرية. ٦-المسائل.

هـ-أخرى

١-الزهد. ٢-الفوائد.

فيكون المجموع إحدى وعشرين كتاباً، وقسمنا هذا التقسيم على ما يبدو والله أعلم غالباً وخاصة نحن بأن منهج الإمام واحد في العقيدة والتفسير والفقه والأخلاق.... ومن هنا جاءت وحدة كتبه وإن تعددت الأسماء إلا أن المنهج واحداً وهو الكتاب والسنة فنرى ذلك واضحاً في كل كتبه هذه الكتب زيادة على حسب أدلتها)...(ولكن لم يتيسر ذلك لعدم وجود)...(

٢-تقسيمها على حسب وجودها من عدمه:

وهي من حيث من الوجود وعدمه تنقسم إلى:-

كتب لم يقف عليها إلى الآن.

١- كتاب طاعة الرسول. ٢- التفسير. ٣- المناسك الكبير. ٤- المناسك الصغير. ٥- الناسخ والمنسوخ. ٦- الفضائل. ٧- الفرائض. ٨- التاريخ. ٩-

حديث شعبة. ١٠- المقدم والمؤخر من القرآن. ١١- جوابات القرآن. ١٢- الفوائد. ١٣- الأيمان.

ب كتب موجودة ووقفنا عليها وهي:

١- العلل.
٢- المسند.
٣- الرد على الجهمية والزنادقة.
٤- الصلاة.
٥- الأشربة.
٦- المسائل.
٧- الزهد.
٨- السنة.

يقول أبو زرعة (حُرِّزت كتب أحمد يوم مات فبلغت اثني عشر حملاً وعدلاً، وما كان ظهر كتاب فيها حديث فلان ولا فلان، وكل ذلك كان يحفظ عن ظهر قلبه)[١].

أما الكتب التي رواها الخلّال أيضاً عنه فمنها:-

أ- **ما هو موجود فهو: ١- كتاب الورع ٢- كتاب الأمر بالمعروف.**

ب- **منها ما هو غير موجود وهو: ١- كتاب العلم. ٢- كتاب الأمر.**

وإتماماً للفائدة ومن الواجب أن تذكر [٢]

---

[١] تاريخ الإسلام ص١٣.

٢) لقد اعتنى تلاميذ الإمام وتلاميذ تلاميذه من بعده بتعديد آراء الإمام أحمد ومنهم:

- الفقيه الصوفي عبد القادر الجيلي اعتنى بعرض آراء الإمام الاعتقادية في كتابة (الغنية مطالبي الحق) شغلت من صحيفة ستة وخمسين إلى صحيفة تسعين من الجزء الأول.
- كذلك بن مفلح قد نقل كثيراً جداً من آراء الإمام السلوكية في كتابه الآداب الشرعية والمنح المرعية في أجزائه الثلاثة وتكاد تكون كلها مقصورة على آراء الإمام.
- كذلك نرى الفقيه ابن قدامة قد جمع آراء الإمام الفقهية في كتابه الموسوعة (المغني).
- كذلك نرى ابن القيم في كتابه (أعلام الموقعين) أيضاً.
- كذلك نرى ابن القيم في كتابه (الطرق الحكيمة في السياسة الشرعية).
- أبا يعلى في كتابه الأحكام السلطانية.
- الماوردي في كتابه الأحكام السلطانية. قد جمعوا آراء الإمام في السياسة الشرعية.
- كذلك كتاب الجامع لعلوم أحمد بن حنبل وقد جمعه أبو بكر محمد بن هارون الخلال وهو مخطوط بالمتحف البريطاني رقم: (١٦٨) الملحق (انظر كل ما سبق مقدمة مسند الإمام ص ٣٠).
- كذلك نرى قطعتين في آراء الإمام الاعتقادية في آخر الجزء الثاني من طبقات الحنابلة.

الأولى قطعة من مقدمة الشيخ الإمام أبي محمد بن تميم الحنبلي طبقات الحنابلة (جـ٢ /من ص٢٠٣) ؟

أ) كتب غير موجودة

لقد ذكرت فيما سبق كتب الإمام التي لم نحصل عليها حتى الآن إجمالياً وسأتكلم بكلمة موجزة عن كل كتاب.

١-كتاب طاعة الرسول

هذا الكتاب وان كنا لم نقف عليه، إلا أن ابن العم بيّن لنا بأن الإمام صنفه للرد على قضية خطيرة هي عدم الاحتجاج بالسنة والأخذ بالقرآن فقط وبين لنا فيه منهجه في تفسير القرآن وحدثنا خطأ هؤلاء[١]. ولم أعرف متى ألفه الإمام، ولم أقف على عدد صفحاته ويبدو -والله أعلم- أن صفحاته قليلة لأنه يعالج أهمية هامة.

يقول محمد بن صالح بن أحمد بن حنبل حدثني عمي زهير بن صالح قال: (قرأت على أبي صالح بن أحمد هذا الكتاب فقال هذا كتاب عمله أبي رضي الله عنه في مجلسه رداً على من احتج بظاهر القرآن ويكون ما فسّره رسول الله ودلَّ على معناه وما يلزم من اتباعه صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم[٢].

وهذا الكتاب قليل الصفحات كثير المعني كما قلنا والدليل على ذلك أنه قال في الرواية: (هذا كتاب عمله أبي في مجلسه) وفي آخر الرواية يذكر (وذكر تمام الكتاب بطوله) [٣]، وللأسف لم تذكر للرواية بقية للكتاب والكتاب ثابت نسبه إلى الإمام كما ذكرنا سابقاً ولم يقدح فيه أحد إلى الآن لا من السابقين أو اللاحقين.

٢-كتاب التفسير:

وهو ما لم نقف عليه ويقولون بأنه (مائة ألف وعشرون ألف حديث) [٤] والظاهر أن هذا العدد مبالغ فيه لأن السند يجمع ما بين الثلاثين إلى الأربعين حديث، هذا إذا كان المراد بهذا العدد من الأحاديث، إما إذا أريد به سند الأحاديث فمن الجائز فعلاً لأن الإمام كان يروى الحديث الواحد من ستة وجود وسبعة فكان يقول: (نحن كتبنا

الثانية إملاء الشيخ الإمام أبي الفضل عبد الواحد بن عبد العزيز بن الحارث النمسي طبقات الحنابلة (جـ٢ / ص٢٩١ : ٣٠٨) طبعة أنصار السنة المحمدية علاوة على الآراء المثبوته في طبقات الحنابلة، المنهج الأحمد المناقب.

[١] أعلام الموقعين جـ ص ٢٩٠-٢٩٤

[٢] المنهج الأحمد جـ٢ ص ٣٤

[٣] المرجع السابق جـ ص ٣٤

[٤] المنهج الأحمد جـ١ ص ١٩.

الحديث من ستة وجوه وسبعة وجوه لم نضبطه كيف يضبطه من كتبه من وجه واحد)[1].

ومن الجائز أيضاً أن يكون عدد الأحاديث متنا هذا العدد ووضع الإمام منها مسنده لأن أبا زرعة يخبر عبد الله بن أحمد بن حنبل فيقول له (كان أبوك يحفظ ألف ألْف حديث فقيل له: وما يدريك قال ذاكرتُه فأخذت عليه الأبواب) [2].

ويظهر الغرض من اسمه –فيبدو لي– بأن الإمام وضعه ليفسر به للقرآن تفسيراً بالمأثور ولا يعرف متى صنف الإمام هذا الكتاب والكتاب ثابت للإمام.

٤،٣ كتاباً المناسك الكبير والصغير:

لم نقف عليهما ولم أدر متى ألفهما الإمام، ويبدو من اسميهما أنهما يخبران على الشعائر والتعبُّد به التي يجب على المؤمن أن يفعلها ليتقرب بها إلى ربه والكتاب ثابت للإمام.

٥–الناسخ والمنسوخ:

لم تقف عليه ولم أدر متى ألف ولكن يبدو من اسمه –والله أعلم– أنه بين الناسخ والمنسوخ في القرآن وهذا ضروري لمن يتعرض لتفسير للقرآن تفسيراً صحيحاً ومن هنا يلتقي مع الكتاب الأول والثاني والكتاب ثابت أيضاً للإمام.

٦–الفضائل:

الكتاب ثابت نسبته للإمام ولكن لم نقف عليه ولم نعرف متى ألّفه ولكن من اسمه يبدو أنه يعالج قضية هامة مثارة في عصره وهي قضية تفضيل الصحابة بعضهم على بعض ولأنه موجود في رواية باسم (فضائل الصحابة).

٧–الفرائض:

لا ندرى متى ألّف ولم أقف عليه ولكنه يبدو أن يشابه كتاب المناسك الكبير والصغير والكتاب ثابت نسبه للإمام ولم يقدح فيه أحد.

٨–التاريخ:

---

[1]) غير موجودة بالأصل.

[2]) تاريخ الإعلام ص ٤٣ للذهبي.

لم أعثر عليه ولم أدر متى ألف ولكنه من عنوانه يبين تاريخ كل صحابي، ومن هنا تلقي هو وكتاب الفضائل أو جزء من السند لأن المسند فيه جزء خاص بالتاريخ وبالمناقب، والكتاب ثابت للإمام أحمد أيضاً.

٩-حديث شعبه:

كسابقيه ويبدو لي أن الإمام ألفه ليقول رأيه في حديث معين.

١٠-١١ المقدم والمؤخر في القرآن، جوابات القرآن:

لم أعثر عليهما ولم أدر متى ألفهما الإمام؟ ولكن من عنوان الأول يبدو أنه يبين القصر والمد من السِّور، أو المقدم والمؤخر في الآية الواحدة، أو في السورة وهذا مهم وخطير لمن يتعرض لتفسر القرآن ولنشر الدعوة.

أما الثاني فض عنوانه يبدو بأن الإمام ألفه لبيان أسباب نزول الآيات من عدمها أو لأسئلة مثارة في القرآن والقرآن أجاب عليها، وهذا ضروري لمن يفسر القرآن لكي يتسنى له معايشة الجو الذي نزلت فيه الآية، أو أجيب فيها عن سؤال مثار.

وبذلك يلتقيان مع كتب طاعة الرسول- التفسير- ناسخ ومنسوخ والكتابات ثابتان للإمام ولم يقدح فيهما أحد.

١٢-الفوائد:

لا نقف عليه -أيضاً- ولم يُعرف زمان تأليفه ويبدو من عنوانه أن الإمام ألفه في فوائد معينة يتقرب بها الإنسان إلى ربه، ويغلب عليها الجانب الأخلاقي لا التعبدي -فيما يبدو لي- والكتاب ثابت للإمام.

٣-الإيمان:

وهو كقرنائه لم نقف عليه أو نعرف متى ألف؟ ويبدو من عنوانه أن الإمام بيّن فيه الإيمان وكيفية وصفاته، وعلى ذلك يكون هو وكتاب المسند أسَّس أو بيّن فيه الإمام -والله أعلم- الإيمان كما جاء فيه القرآن، والكتاب ثابت له أيضاً.

٦- كتب موجودة ومتداولة:

لقد ذكرت أسماء هذه الكتب -آنفا- إجمالياً وسأتكلم بكلمة عن كل كتاب من هذا الكتب.

١- كتاب العلل:-

هو في علل الحديث وهو عبارة عن آراء الإمام في الرجال وعلل الأسانيد وقد صورة الشيخ محمد بن سلطان النسنكاني صاحب المكتبة العلمية بالمدنية المنورة استعداداً لنشره[١].

وقد ندري متى وضعه الإمام ولكن يبدو أنه ألفه مع جمعه للمسند ليتسنى له معرفة الصحيح والضعيف في سند الحديث ومتنه، ويضع أمام مفسري القرآن بالسنة زاداً يستطيعون تنقية الحديث أولاً مما علق به وفي الوقت نفسه محاربة للوضع وخدمة للسنة ووقوفاً ضد من يريد أن يأخذ بالقرآن ولا يعمل بما في السنة والكتاب ثابت صحته للإمام.

٢- مسند الإمام:

المسند هو مجموعة الأحاديث التي انتقاها الإمام أحمد رضي الله عنه من الأحاديث التي كان يحفظها فلقد كان رحمه الله يحفظ ألف ألْف حديث يقول ابنه عبد الله: (سمعت أبا زرعة يقول كان أبوك يحفظ ألف ألْف حديث فقيل له وما يدريك؟ قال ذاكَرْتُه فأخذت عليه الأبواب)[٢]

وفي سبيل جمع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم رحل الإمام الرحلات الطويلة من أجل جمعه لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم – كما ذكرنا ذلك من قبل في رحلاته لطلب العلم.

ولقد ابتدأ الإمام في تصنيف المسند سنة ثمانين ومائة يقول صاحب المنهج الأحمد: (صنف المسند وهو ثلاثون ألف حديث وكان ابتداؤه فيه سنة ثمانين ومائة)[٣]. ولقد انتقى الإمام أحمد المسند من سبعمائة ألف حديث يقول عبد الله: (خَرَّج أبي المسند من سبعمائة ألف حديث)[٤].

وهذا لا يتعارض مع ما ذكرناه في أول الحديث عن المسند فلقد كان يحفظ ألف ألْف حديث ثم انتقى فيها سبعمائة ألف حديث، ثم انتقى منها مسنده الذي يتراوح عدده ما

---

[١]) مقدمة للمسند ص ٢٩ وقد ارسلت فعلاً لأقتنى نشر منه فرد على أنه لم يطبع وبعد ولكن هناك كتباً تروى آراء الإمام هذا العلم .

[٢]) تاريخ الإسلام ص ١٣ للذهبي

[٣]) جـ ص ١٩

[٤]) المرجع السابق نفسه جـ١ ص ٢٠٨.

بين الثلاثين إلى الأربعين ألفا أو كما ذكرنا سابقاً في التفسير أنه كان يحفظ الحديث من ستة أو سبعة أوجه: أي متن الحديث.

ولقد قرأ الإمام المسند على عمه حنبل بن إسحاق وصالح وعبد الله في اثنتي عشرة سنة يقول حنبل: (جَمَعَنَا أحمد بن حنبل أنا وصالح وعبد الله وقرأ علينا المسند وما سمعه منه غيرنا، وقال لنا هذا الكتاب قد جمعته وانتقيته من أكثر من سبعمائة ألف وخمسين ألفا، فما اختلف المسلمون فيه من حديث رسول الله فارجعوا إليه فإن وجدتموه فيه وإلا فليس بحجة)[1].

إذا نظرنا إلى هذه الرواية لوجدنا عمه يقول فيها: (وما سمعه منه غيرنا)، فما المقصود من هذا؟

إذا كان المقصود النفي مطلقاً فهذا لا يتفق مع الغرض الذي من أجله يريد الداعية أن ينشر به منهجه.

وإن كان المراد دوام السماع والملازمة وسماعه كله، هذا ما نميل إليه للرواية التي ذكرناها سابقاً في استعمال الإمام المقابلة المنزلية الخاصة ليتلو عليهم المسند والعلم.

هذا ما نؤيده يقول أبو بكر بن القطيعي: (اختلفت إلى أبي عبدالله أحمد بن حنبل اثنتي عشر سنة وهو يقرأ المسند على أولاده، فما كتبت فيه حديثاً واحداً وإنما كنت أنظر إلى هديه وأخلاقه وآدابه) [2].

<u>الأسباب التي جعلت الإمام يجمع السند:</u>

١- حب الإمام لسيدنا رسول الله ولسنته.

٢- ليكون المسند إماماً يقول عبدالله: (قلت لأبي –رحمه الله– لم كرهت وضع الحديث وقد عملت المسند؟ فقال: (عملت هذا الكتاب إماماً إذا اختلفت الناس في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم يجرع إليه)[3].

٣- كثرة وضع الأحاديث من الفرق المختلفة وكثر الوضَّاعون والقصاصون قصداً للكسب والارتزاق أو الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم أو خدعة غر ض معين.

---

[1]) المنهج الأحمد جـ١ ص ١٩، ١٦٦

[2]) المناقب ص ٢١٠

[3]) المنهج الأحمد جـ ١ ص ٢٠٨

يروى ابن الجوزي بإسناده إلى أبي جعفر بن محمد الطيالسي قال: (صلى أحمد بن حنبل ويحيي بن معين في مسجد الرصافة فقام بين أيديهم قاص فقال: حدثنا أحمد بن حنبل ويحيي بن معين قال حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن أنس قال قَالَ لي رسول الله: من قال لا إله إلا الله خلق الله من كل كلمة طيراً منقاره من ذهب وريشه من مرجان.. وأخذ في قصة نحواً من عشرين ورقة. فجعل أحمد بن حنبل ينظر إلى يحيي بن معين وجعل يحيى بن معين ينظر إلى أحمد فقال لي حدثته بهذا؟ فيقول والله ما سمعت هذا إلا الساعة فلما فرَغ من قصته وأخذ العطيّات ثم قصد ينتظر بقيتها قال له يحيى: من حدثك بهذا الحديث؟ فقال أحمد بن حنبل ويحيي بن معين، فقال: أنا يحيي بن معين وهذا أحمد بن حنبل، ما سمعنا بهذا كما في حديث رسول الله، فقال لم أزل أسمع أن يحيي بن معين أحمق ما تحققت هذا إلا الساعة، كأنه ليس فيها يحيي ومعين وأحمد بن حنبل غيركما وقد كتبت عن سبعة عشر أحمد بن حنبل ويحيى بن معين فوضع أحمد كمه علي وجهه وقال دعه يقوم فقام كالمستهزئ بهما) [1].

نستطيع أن نأخذ من هذه الرواية كثرة القصاصين ووضعهم الحديث فكان يجب على الدعاة ومنهم الإمام أحمد أن يطاردوهم ويقضوا عليهم ولا يكون ذلك إلا بما فعله الإمام أحمد من جمعه لأحاديث الرسول الصحيحة، ثم انظر لهذا القصاص الخبيث حينما اختار علمين من أعلام الجرح والتعديل والحديث ليمكر بهما على الناس لشهرتهما وحسن سمعتهما وأخذ الحديث عنهما فلا يبحث فيه أحد.

وهذا يدل على شهرة الإمام أحمد وصديقه يحيى ويعطينا أيضاً سعة الصدر والحلم فقد تركاه إلى أن أكمل حديثه وجمع ما جمع من مال ثم بعد ذلك ناقشاه منفردين من أجل عدم إعلان الناس به والنصيحة منفرداً عسى ما أن يعمل بها.

٤- إنكار البعض لحجية السنة كما ذكرنا ذلك آنفاً.

٥- يريد أن يجمع المسلمين على منهج واحد وهو منهج الكتاب والسنة فالمسند مادة خادمة لتفسير القرآن، ومن هنا تتوحَّد مصادر الفكر الإسلامي.

---

[1]) الباعث الحثيث ص ٨٥ القصاصون هم الذين يعظون الناس ويخبرونهم بما مضى ليعتبروا بشروط أن لا يزيد ولا ينقص فإن زاد أو نقص في قصته، لسان العرب جـ٨ ص ٣٤٢.

٦- تفرق الحديث في الأمصار، هذا حديث كوفي وآخر بصري وثالث شامي ورابع مدني وهلم جرا، ومع بُعد المسافات انقطعت الصلة بين المحدثين علاوة على تعصب كل إقليم لما عنده من الأحاديث، ومن هنا رحل الرحلات الطويلة لجمع الحديث من جميع الأمصار ليرجعوا إليه.

٧- وضع منهجه فيه ويريد من ورائه نشره في جميع الأمصار.

المنهج الذي سار عليه الإمام في ترتيب المسند:

للعلماء في تصنيف الأحاديث طريقتان:

إحداهما التصنيف على الأبواب وهو تخريج الأحاديث على الأحكام الفقهية وغيرها وتنويعه أنواعاً وجمع ما بَعُدَ في كل حكم وكل نوع في باب.

ثانيهما تصنيفه على المسانيد وجمع أحاديث كل صحابي وَحْدَهُ على حِدَه وإن اختلفت أنواع الحديث فند حديث صلاة بجانب حديث عقيدة وهكذا..

ولمن اختار هذا الطريقة:

إما أن يرتب الصحابة على حروف المعجم في أسمائهم.

أو أن يرتب الصحابة على القبائل، فيبدأ ببني هاشم ثم الأقرب والأقرب نسباً لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

أو أن يرتب الصحابة على سابق الصحبة فيبدأ بالعَشَرَةِ ثم أهل بدر ثم أهل الحديث ثم من أسلم وهاجر وفتح مكة ويختم بأصاغر الصحابة كآبي الطفيل ونظرائه ثم النساء وهذا أحسن والأول أسهل[١].

وعلى أي طريقة يا ترى صنف الإمام عليها مسنده؟ ولماذا هذا ؟ وهل يريد من وراء ذلك منهجاً معيناً وغاية؟ يحسن بنا قبل أن نجيب لابد أن نصف المسند وصفاً دقيقاً فنراه ينقسم على حسب طبعة الحلبي إلى:

---

[١] التقييد والإيضاح ص ٢٥٥.

١- مسانيد العشرة بما فيهم الخلفاء الأربعة في الجزاء الأول من صحيفة اثنين إلى صحيفة خمس وتسعين ومائة.

٢- مسانيد أبي عبيدة بن الجراح، عبد الرحمن بن أبي بكر وزيد بن خارجة والحارث بن خزيمة رضي الله عنهم من صحيفة خمس وتسعين ومائة إلى صحيفة تسع وتسعين ومائة من الجزء الأول.

٣- مسانيد أهل البيت رضي الله عنهم من صحيفة تسع وتسعين ومائة إلى صحيفة ست ومائتين من الجزء الأول.

٤- مسانيد المشهورين من الصحابة من صحيفة ست ومائتين من الجزء الأول إلى نهايته والجزء الثاني كله والثالث إلى صحيفة أربعمائة.

٥- مسند المكيين من صحيفة أربعمائة من الجزء الثالث إلى نهايته.

٦- مسند المدنيين في الجزء الرابع صحيفة اثنين إلى صحيفة ثمانين.

٧- مسند الشاميين في الجزء الرابع من صحيفة ثمان وثمانين إلى صحيفة تسع وثلاثين ومائتين.

٨- مسند الكوفيين في الجزء الرابع من صحيفة تسع وثلاثين ومائتين إلى صحيفة تسع عشرة وأربعمائة.

٩- مسند البصريين في الجزء الرابع من صحيفة تسع عشرة وأربعمائة إلى نهايته وفي الجزء الخامس من أوله إلى صحيفة ثلاث عشرة ومائة.

١٠- مسند الأنصار في الجزء الخامس من أوله إلى صحيفة تسع وعشرين إلى نهايته وفي الجزء السادس من أوله إلى صحيفة تسع وعشرين.

١١- مسند النساء في الجزء السادس من صحيفة تسع وعشرين إلى صحيفة اثنين وثمانين وثلاثمائة ومن صحيفة اثنين وأربعمائة إلى آخره.

١٢- مسند القبائل في الجزء السادس من صحيفة ثلاث وثمانين وثلاثمائة إلى صحيفة ثلاث وأربعمائة.

إذا نظرنا إلى هذا الترتيب لوجدنا ترتيباً غريباً، لم يلتزم فيه الإمام بالطرق السابقة في الترتيب.

فبعضه مرتب على حسب رواية من الصحابة

وبعضه مرتب على حسب رواية البلاد التي رويت فيها.

وبعضه مرتب على حسب رواية الرواة من الصحابة والأنصار.

وبعضه مرتب على حسب القبائل ثم أفرد روايات النساء الصحابيات وأمهات المؤمنين.

فهل يا ترى عمد الإمام إلى هذا المنهج أم أنه جاء بمحض الصدفة دون تعمد منه؟ وهل كان عسيراً عليه أن يرتبه ترتيباً موضوعياً؟

الحقيقة أن الإمام أحمد عمد إلى هذا المنهج وليس بعسير عليه أن يرتبه ترتيباً موضوعياً لأنه يريد من ترتيبه هذا الترتيب الذي ذكر آنفاً منهجاً هو:- [1]

١- باب الاجتهاد لمن هو أهل له وحتى لا يكون الإنسان مقلداً لغيره تقليداً أعمي ولا يهمل السنن في)...(بالمتون والمختصرات[2] ولذلك فضل كتابة الحديث على الصوم والصلاة- على الرغم من كثرة صيامه وقيامه والمراد هنا صلاة وصوم النفل- حينما سأله رجل وقال سألت عبدالله أيهما أحب إليك الرجل يكتب الحديث أو يصوم ويصلي؟ قال يكتب الحديث، قلت فمن أين فضلت كتاب الحديث على الصوم والصلاة؟ قال: لئلا يقول قائل إني رأيت قوماً على شيء فتبعتهم[3].

٢- ليس الإمام فقيهاً يعني بتصحيح العبادات والمعاملات والحدود فقط وإنما بجانب ذلك رجل سنة يعني بالسنة كمجموع شامل لكل أعمال الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم. إذن فهو يعطينا السلوك التطبيقي العملي لأي صاحب مسند لأن مسند الصحابي يعطينا صورة متكاملة لسلوك في شتى ألوان النشاط البشري مستنداً إلى السلك النبوي فمنهج الإمام ينقل القارىء المتتبع لشخصية

---

[1]) مقدمة السند ص ٣١
[2]) انظر مقدمة المسند ص ٣١
[3]) المرجع السابق نفسه ص ١٩٣

صحابي من الأحكام إلى السلوك إلى الحياة الاجتماعية إلى علاقة الأصحاب برائدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أي أنه عرض لصورة من السنة تليها صورة قد تختلف في الميول ولكنها كلها تتفق في شيء واحد وهو الاتباع، وهذا ما يريده الإمام أحمد فهو مدرسة مميزة بالعناية ببركة الإتباع حتى إن استأذن زوجته في (أن يسترى طلبنا للإتباع) [1].

٣- ما رآه من اشتعال الناس بالمسائل الفقهية الجزئية وتركهم الحديث فأراد أن يربطهم بأصل المسائل الفقهية وهو السنة فحينما سئل عن موطأ مالك وجامع سفيان أيهما أحب إليك؟ فقال: (لا ذا أو لا ذا، عليك بالأُثر)، وقال في رواية أخرى: (أمرنا أن يأخذ العلم من فوق).

٤- مقاومة الإمام للبدعة أن حشّد كل ما يتصل بالصحابي من مسائل ونُقُول مسندة إليهم جعل السنة تعزل إليه تلقائياً فتعرف ويقضى عليها أو يحذر الناس منها على الأقل.

٥- وفي تبويب المسند على هذا الوضع -كما يقول الدكتور محمد أحمد عاشور- يلمس الباحث طابعاً معيناً لكل صحابي أو لكل مجموعة معينة من الصحابة كالأنصار أو لكل بلد من البلاد أو قبيلة من القبائل، كما نلمس طابعاً مميزاً لمرويات النساء وهذا أمر لا يجتهد الباحث الاهتداء إليه من أول الأمر حينما نلمس صورة واضحة لأبي بكر وعمر وعثمان من خلال مسانيدهم يصلح أن يكون مادة أولية واعية لبحث جوانب حياتهم النفسية والروحية والعقلية.

الباحث الإسلامي يجد بغيته من التيارات التي سيطرت على الصحابة وفئاتهم وعلى أمصار الإسلام وعلى رجاله ونساءه ومن القضايا التي شغلت الصحابة والتابعين بعد عصر الرسول صلى الله عليه وسلم ومن المفاهيم التفسيرية للقرآن في صورتها الأولى وفي كل ذلك عناء لا تجده في الكتب المبوبة تبويباً فقهياً.

---

[1]) المرجع السابق نفسه ص ١٧٧ ومقدمه.

والقول بأن المسند يُكِدُّ الباحثين قوله لم ينشأ إلا حديثاً حينما قلت الأفكار وأصفاها الكسل [١].

شروح المسند ومختصراته:-

ذكر الأستاذ حاجي خليفة أن (أبا الحسن بن عبد الهادي السندي صنف شرحاً كبيراً للمسند جاء في خمسين كراسة) [٢].

كما اختصر زين الدين عمر بن حسن الشجاع الجلبي وسمَّى مختصره (الدرُّ المنتقد من مسند الإمام أحمد[٣]، كما اختصره أيضاً عمر بن على المعروف بابن الملقن الشافعي المتوفى سنة ٨٠٤هـ[٤].

ترتيب المستند:-

إن ترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل وتبويبه للاستفادة منه استفادة كاملة أمنية يتمناها العلماء وقد حدث في:

أ) في القديم: لقد نقل الإمام الحافظ شمس الدين الجزري في كتابه المصعد الأحمد (أن الإمام الورع الصالح أبا بكر محمد بن المحبّ الصامت رتبه على معجم الصحابة وكذلك رتب زوائده ترتيب الأطراف الإمام الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل ابن عمر بن كثير) [٥].

ب) في العصر الحديث: لقد اشتدت الحاجة إلى الانتفاع بالمسند في العصر الحديث حيث من كلت الأفكار وأضفاها الكسل ولابد من الانتفاع بهذا السفر العظيم انتفاعاً يؤدي الثمرة المرجوة من ورائه.

- ولذا نرى الله قد قيّض له في القرن الهجري الأخير رجلاً من العلماء العاملين وهو الشيخ أحمد بن عبد الرحمان البنا الشهير بالساعاتي فقسم المسند إلى سبعة أقسام هي: ١- التوحيد وأصول الدين. ٢- الفقه. ٣-

---

[١] مقدمة المسند ص٣٥ لدار الاعتصام د/ محمد أحمد عاشور عبد القادر أحمد عطا.
[٢] المرجع السابق نفسه ص ٣٩
[٣] المرجع السابق نفسه ص ٣٩
[٤] أعلام المحدثين ص ٨٦
[٥] المرجع السابق نفسه ص ٨٦.

التفسير. ٤- الترغيب. ٥-الترهب. ٦-التاريخ ويدخل فيه السير والمناقب. ٧-القيامة وأحوال الآخرة. وشرحه شرحاً موجزاً وسماه " الفتح الرباني في ترتيب مسند الإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني[١].

- كما قام بمثل هذا العمل الجليل عالم آخر شغف بالسنة وخدمتها ونشر كتبها هو الأستاذ القاضي الشيخ أحمد شاكر فعمل للمسند فهارس علمية ولفظية تعين الباحث على الاطلاع على مواقع الأحاديث من مسانيد الصحابة ورقم الأحاديث على حسب ترتيبها في المساند وفي آخر كل جزء يذكر أنموذجاً للفهرس، كما تكلم عن الرجال والأمثلة لبيان الحق فيما اختلفت فيه، وبيان درجة كل حديث من الصحة أو الحسن أو الضعيف مع التنبيه على ما وقع في الأسانيد من أوهام أو أخطاء أو مع التعرض أحيانا لرد بعض الشبهات التي يثيرها المبشرون وصنائعهم على الأحاديث الصحيحة، وقد قدّم من بين يدي المسند مباحث سماها (طلائع المسند) وذكر فيها أقوال بعض الأئمة في المسند ومنزلته من دواوين الإسلام، كما ذكر ترجمة وافية للإمام أحمد بن حنبل نقلها بنصها من تاريخ الإسلام للحفاظ الذهبي، ولكنه انتقل إلى رحمة الله قبل أن يتمه[٢].

- ونظراً لأهمية هذا المسند في خدمة السنة النبوية الشريفة فقد (..) إلى قسم الحديث بكلية أصول الدين- القاهرة- أن يحمل على عاتقه مهمة تكملة تخريج أحاديث المسند على غرار الشيخ شاكر- في رسائل علمية خدمة للعلم وطلاب المعرفة فجزاءهم الله خيراً، ووفقهم لتأدية وتكملة المهمة الضخمة الملقاة على عاتقهم لخدمة الإسلام.

٣-كتابة الرد على الزنادقة والجهمية:

هذا الكتاب من الكتب الهامة ووسيلة فعالة استطاع بها الإمام أحمد أن يستخدمها وأن يقف بها في الرد على الزنادقة والمتشككين في القرآن والمتأولين له على غير

---

[١]) أعلام المحدثين ص ٨٦ وما بعدها.
[٢]) المرجع السابق نفسه ص ٨٦

تأويله، وفي مجال النضال عن القرآن ووظيفة الداعية إما بيان الدعوة أو تثبيتها أو الدفاع عنها، وفي تلك الحالات هو ينشر منهجه، والإمام أحمد بحق استطاع عن طريق هذا الكتاب أن يدافع دفاعاً مستميتاً عن القرآن ضد الزنادقة وأن يبين لهم خطأهم ومنشأه وأنه يسهم بدلوه في بيان الحق من الباطل من مشاكل عصره التي يعالجها في هذا الكتاب، والكتاب لا تدري بالتحديد متى ألف؟ وأغلب الظن أن الإمام قد ألفه قبل المحنة نظراً لزيادة الاعتماد على التيار الفلسفي في العلوم الدينية آنذاك فما استطاع الإمام بهذه الوسيلة أن ينشر منهجه وأن يبين رأي الكتاب والسنة فيها.

والكتاب يقع في أربع وأربعين صحيفة يشغل الرد على الزنادقة فيها تسع عشرة صحيفة والباقي للرد على الجهمية، كتاب الرد على الزنادقة وثيقة هامة ووسيلة مؤثرة يرد بها الإمام أحمد على الذين يشككون في القرآن ويأتي بدعواهم التي يدّعون بها وقوع التناقض في القرآن، ويأتي بالآيات كلها التي استشهدوا بها ويزيل عنها التناقض يفسّرها تفسيراً مأثوراً بسنة رسول الله.

أما الكتاب الآخر–أو الشق الآخر– وهو (الرد على الجهمية) في مسألتين خطرتين وهما مسألة الصفات وخلق القرآن. وبذلك استطاع الإمام أحمد أن يستخدم وسيلتي الدفاع والبيان في كتاب الرد على الزنادقة والجهمية ليكون حلقة من حلقات الفكر الإسلامي للرد على الزنادقة والجهمية.

تحقيق نسبة الكتاب إلى الإمام أحمد:

والكتاب ثابت صحته للإمام أحمد إلا أن الشبح زاهد الكوثري في تعليقه على كتاب ابن قتيبة ٢٧٦ نبه على الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية[١] يشكك في صحة نسبة الكتاب إلى الإمام أحمد، بدعوى أن (نسبة الكتاب إلى الإمام أحمد إنما كانت تعزى إليه في القرن الرابع الهجري عن طريق رواية مجهولة)[٢] ولنا أن نتساءل: ما هي الأدلة التي أعتمد عليها للشيخ محمد زاهد الكوثري في

---

[١]) مكتبة القدس القاهرة سنة ١٣٤٩هـ نقلا عن عقائد السلف ١٣.
[٢]) عقائد السلف ١٣

دعواه؟ فنراه يقول: (هناك علل قادحة للمتن والسند سأذكرها فيما بعد)[1] والرد عليه كما يقول الأستاذ على سامي النشار.

١- بتتبع صفحات تعليقه على الكتاب المذكور من أوله إلى آخره وبتعلقاته لم نجد لها –أي للعلل القادحة والأدلة التي اعتمد عليها– ذكراً ولا مكاناً في الكتاب. وأقول والدعوى من غير دليل ساقطة من أساسها لا يُعْتَدُّ ولا يؤخذ بها ولا يعتمد عليها، والحقيقة أن الكتاب ثابت صحة نسبته للإمام أحمد لأمور كثيرة:

٢- قد ذكره ابن النديم وأسنده وأثبت صحة نسبته للإمام أحمد كما ذكرنا ذلك آنفاً كما ذكره صاحب طبقات المفسرين.

٣- الخلّال روى الكتاب عن طريق عبدالله بن الإمام أحمد وقد نص الخلال على هذا الكتاب وأثبت صحة نسبته إلى الإمام أحمد وأورده بجملته في كتاب السنة[2].

٤- قد أورد ابن القيم خطبة الكتاب في كتابه (اجتماع الجيوش الإسلامية على عزو المعطلة والجهمية)[3].

٥- قد ذكر ابن القيم –أيضاً– أن أصحاب الإمام أحمد بن حنبل نقلوا عنه هذا الكتاب –قديماً وحديثاً– ويقول نسبه إليه أيضاً شيخ الإسلام ابن تيمية ويقول ابن القيم: (لم يسمع عن أحد من متقدمي أصحابي ولا متأخريهم طعن فيه)[4].

٦- أحتج القاضي أبو يعلي في كتابه المشهور بـ (إبطال التأويل) ببعض نقول من كتاب الرد على الزنادقة والجهمية ونسبه إلى الإمام أحمد "[5].

٧- ذكره وأثبت نسبة صحته للإمام أحمد صاحب كتاب (المنهج الأحمد)[1].

---

[1]) المرجع السابق نفسه ص ١٣.
[2]) المرجع السابق نفسه ص ١٣ :١٥ على سامي المشاء
[3]) المرجع السابق نفسه ص ١٣:١٥
[4]) المرجع السابق نفسه ص ١٣:١٥
[5]) المرجع السابق نفسه ص ١٣: ١٥

٨- أثبت صحته للإمام ابن حجر العسقلاني في فتح الباري[٢].

سبب القدح في نسبة الكتاب:

يبدو أن الذي جعل بعض الكتاب يطعن في نسبة الكتاب إلى الإمام أحمد بن حنبل كما يقول صاحب كتاب عقائد السلف: هو ورود الخضر بن المثنى في سند الرواية، لأن الكتاب رواه أبو بكر عبد العزيز المعروف بغلام الخلال أراه قال: أخبرني الخضر بن المثنى الكندي، والخضر رواه عن عبد الله بن أحمد بن حنبل، والخضر هذا مجهول والرواية عن مجهول مقدوح فيها ومطعون في سندها.

ولقد تكفل ابن القيم الجواب عن هذا في كتابه (اجتماع الجيوش الاسمية في غزو المعطلة والجهمية) فذكر أن الخلال قال إنه كتبه عن خط عبدالله ابن أحمد وكتبه عبدالله عن خط أبيه، ومن جهة أخرى فإنه قد عَرَف الخلالُ الخضرَ وروى عنه ولا يضر جهالة غيره له، وأغلب الظن أن الخلال أسنده إلى الخضر بن المثنى لأنه أحب أن يتصل سنده على طريقة أهل الحديث والآثار، يضاف إلى ذلك أن الخضر كان صغير السن حين أخذ الكتاب عن عبدالله ولم يكن من المعمرين ولا من الأئمة المشهورين بالعلم ولم يرو الخلال عن الخضر هذا الكتاب وحده بل روى عنه عدة آثار عن الإمام أحمد بن حنبل[٣].

والكتاب –فيما يبدو لي– والله أعلم– أنه كتاب واحد– على الرغم من رواية العلمي التي يقول فيها (الرد على الزنادقة في دعواهم التناقضية على القرآن والرد على الجهمية).

ويميل لهذا أيضاً صاحب كتاب عقائد السلف ويستدل على أنهما كتابان مستقلان بأنه:

---

[١]) المرجع السابق نفسه ص ١٣ : ١٥
[٢]) المرجع السابق نفسه ص١٣ :١٥
[٣]) عقائد السلف ص ١٥

– كتاب الرد على الجهمية ورد مسفلاً في نسخة مخطوطة عن الرد عن الزنادقة ففي مكتبة (روان كشك) توجد نسخة من الرد على الجهمية كتب سنة ١٠٨٤ م رقمها (٥/٥١٠) وهو النص الخاص بالرد على الزنادقة فقط[١].

وهل هذا يمنع أن يكون الجزآن كتاباً واحداً، ويتألف من قسمين، وخاصة وأن التقسيمين متلازمان تماماً الأول فيهما يرد فيه على من يدعي التعارض والتناقض بين آيات القرآن الكريم، ويترتب عليه القسم الثاني وهو تفسير هذه الآيات تفسيراً بالمأثور في قضيتي الصفات ومشكلة القرآن.

وما المانع من أنه يكون كتاباً واحداً ثم أخذ القسم الأول منه وهو الرد على الزنادقة وفصل عن الآخر وهو مخطوط، ولذلك نرى صاحب عقائد السلف يأتي بدليل يؤيد –وجهة نظري هذه– ويعتبر عليه لا له فيقول: (وتوجد نسخة أخرى في مكتبة روان كشك مخطوطة تشتمل على الرد على الزنادقة وعلى الجهمية في آن واحد وهي واقعة تحت رقم (٤/٥١٠) وبها خمس وثمانون ورقة) [٢].

إذن الأصل قسمان والكتاب واحد ثم فصل قسم منهما وأصبح قائماً بنفسه بدليل وجود النسخة المخطوطة للقسمين معاً –والله أعلم.

٤–كتاب الصلاة:

وهو رسالة صغيرة تتكون من أربع وأربعين صحيفة من القطع الصغيرة طبع مطبعة السلفية وهي وسيلة فعالة استطاع بها الإمام أن ينشر بها منهجه في أهم ركن من أركان الإسلام، ألا وهو الصلاة وأن بيّن فيها كيفية صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فحينما صلى مع قوم ورآهم يسيئون في صلاتهم فقام بما فرض على العالم من بيان صفة الصلاة الصحيحة التي صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكتب هذه الرسالة إليهم لينشر عن طريقها منهجه.

والرسالة لا تدري متى ألفها الإمام وهي ثابتة النسبة إلى الإمام إلا أننا نرى الشيخ محمد ناصر الألباني في كتابه صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم من التكبير

---

[١]) المرجع السابق نفسه ص ١٦
[٢]) المرجع السابق نفسه ص ١٦

إلى التسليم كأنك تراه ينكر صحة نسبة هذه الرسالة للإمام أحمد، فيقول: (لا تصح نسبته إليه) [1].

وتسألنا ما هي الدواعي والأسباب والأدلة لصحة هذه الدعوى؟ وقرأت الكتاب وفي طبعه السابقة –وللأسف– لم أجد الأسباب والدواعي والأدلة لصحة هذه الدعوى السابقة.

ومن الممكن والجائز بأن قد ذكرها في الطبعات السابقة إلا أننا نرى الشيخ حمودة بن عبدالله التويجري الحنبلي يرد عليه في كتاب سماه التنبيهات على رسالة الألباني في الصلاة ويثبت صحة هذه الرسالة للإمام أحمد) [2]، وهذا يدل على أنه ذكرها قبل الطبعة التي قرأناها، ولكني أرى صحة نسبة هذه الرسالة للإمام أحمد للأسباب الآتية:

١- المراجع أشارت إلى ذلك وأثبتها للإمام أحمد.

٢- هذه الرسالة موجودة في طبقات الحنابلة لأبي الحسين محمد بن أبي يعلي المتوفى سنة ست وعشرين وخمسمائة وهي منقولة بالفوتوغرافية قبل طبع طبقات الحنابلة يملكها الشيخ محمد حامد الفقي كتبت سنة أربع وسبعين وثمانمانة موجودة في ترجمة فهنا بيّن يحيى الشامي.

٣- توجد نسخة مطبوعة بمطبعة –دت– برشاد في بومبي (الهند) قبل الحرب العالمية الأولى وبدون تاريخ.

٤- توجد نسخة مطبوعة بالمطبعة العامرة الشرقية سنة ١٣٢٣ طبعها أحمد محمد أمين الخانجي مع كتاب (الصلاة وأحكام تاركها) لابن القيم.

٥- توجد نسخة مطبوعة بمطبعة المنار في سنة ١٣٤٢ هـ طبعها الشيخ رشيد رضا وقال: إنه راجعها على: نسخة طبعة الهند كثيرة الغلط والتحريف وقوبلت على النسخة التي طبعت في مصر.

---

[1]) الطبعة السابعة ص٨ سنة ١٣٩٤ بيروت المكتب الإسلامي.

[2]) ص ٥٧ رسالة صغيرة مكونة من ٥٧ صحيفة طبعت في الرياض سنة ١٣٨٧ هـ تعالا عن رسالة الألباني ص ٨

٦- توجد نسخة مطبوعة بالمطبعة السلفية كما ذكرنا آنفا –الطبعة الثالثة سنة ١٣٩٦ هـ [١].

(٥)كتاب الأشربة:

وهو كتاب يبين رأي الإمام أحمد في أنواع الشراب وحكمه وخاصة في عصره حينما انتشر فيه هذا المنكر، فهو وسيلة فعّالة لنشر منهجه وبيان رأي الدين في قضايا عصره، وتوجد من الكتاب نسخة خطية بالمكتبة الأزهرية تحت رقم ١٢٨ فقه حنبلي[٢].

(٦)كتاب المسائل:

وهو عبارة عن آراء الإمام في مسائل متفرقة في الفقه استطاع بها أن ينشر منهجه وأن يبين وجهة نظره في هذه المسائل المثارة وتوجد من الكتاب عدة نسخ منها ما هو مطبوع ومنها ما هو مصوّر.

مسائل الإمام أحمد جمع أبي داود السجستاني صاحب السنن وقد طبعه الشيخ رشيد رضا سنة ١٣٥٣ هـ[٣].

مسائل الإمام أحمد جمع ولده صالح وتوجد منه نسخة مصورة بدار الكتب المصرية تحت رقم– ٢١٦٨١ ب.

المسائل عن إمامي أهل الحديث وفقيهي أهل السنة أبي عبد الله أحمد بن حنبل وأبي يعقوب إسحاق بن راهويه الحنبلي رضي الله عنهما رواه عنهما إسحاق بن منصور المروزي الحافظ، ومنه نسخة مصورة بدار الكتب المصرية رقم – ٢٠٧٥٥ ب[٤].

(٧)كتاب الزهد:

وهو مجموع من أخبار زهد النبي صلى الله عليه وسلم وزهد الأنبياء والصحابة والتابعين وأقوالهم وسلوكهم في هذا الباب، والكتاب تداخلت نصوصه واضطربت

---

[١]) رجعنا في كل ما سبق إلى رسالة الصلاة ص ٦ المطبعة السلفية
[٢]) مقدمة المسند ص ٣٠
[٣]) المرجع السابق نفسه ص ٣٠
[٤]) المرجع السابق نفسه ص ٣٠

أسانيده في المطبوعة مما نحتم إعادة تحقيقه وترتيبه لاسيما وأنه يحتوي على نصوص كثيرة ليست في المسند وقد ظن الأستاذ عبد العزيز عبد الخالق مترجم كتاب (أحمد بن حنبل والمحنة) لو كثر من القيل بأن كتاب الزهد هو كتاب الورع[١].

والكتاب طبع في مطبعة أم القرى وهي وسيلة فعالة مهمة استعملها الإمام في نشر منهجه ولبيان الزهد والتصوف القائم على الكتاب والسنة وتتضح لنا أهمية هذه الوسيلة في مقدمة هذا الكتاب التي يتول فيها ابن تيمية حينما ذكرت أمامه كتب الزهد فقال: (أجود ما صنف فيه كتاب الزهد للإمام أحمد، وسئل عن الحلية فقال: في رأيي أجود الكتب المصنفة في أخبار الزهاد، والمنقول فيها أصبح من المنقول في رسالة القشيري، ومصنفات السلمي، ومناقب الإبراء وغير ذلك ولكن كتاب الزهد للإمام أحمد أصح نقلاً من الحلية) [٢].

وذكر صاحب صفوة الصفوة، قال: الغالب على كتاب الحلية والقشيري الصحة وفيها أحاديث وحكايات باطلة، وأما الزهد للإمام أحمد فليس فيه من الأحاديث والحكايات الموضوعة ما في هذه، فإنه لا ينكر في مصنفاته عمن هو معروف بالوضع)[٣].

والكتاب يقع في أربعمائة صفحة من الحجم المتوسط وقد طبع في مطبعة أم القرى وبدون تاريخ.

ويقول فيه الشيخ أحمد عبد الجواد الدومي: (فيه طرائف من الحكم وفرائد من المواعظ ورقائق من الشعر وزاد يفيد كل مسلم يحب أن يعيش مع سلفه الصالح في حقائق الحياة لا في زيفها، وفي جدها لا في لهوها)[٤]، والكتاب ثابت نسبة صحته للإمام أحمد.

(٨)كتاب السنة:

---

[١] مقدمة للسند ص ٢٩
[٢] مقدمة كتاب الزهد صحيفة الإمام أحمد مطبعة أم القرى
[٣] حمد بن حنيف بين محنة الدين ومحنة الدنيا ص ١٨٩
[٤] مجموعة شذرات اللاتين جـ١ ص ٤١ : ٥٢

وهذا الكتاب مطبوع إما منفرداً وإما مع الرد على الجهمية والزنادقة أو في مجموعات[1] والكتاب يشغل في مجموعة شذرات اللاتين إحدى عشرة صفحة وهو مطبوع بطبعة منفردة يشغل اثنين وثلاثين صحيفة من القطع الصغيرة وبذلك تثبت صحته للإمام أحمد، وكما ذكرنا آنفاً وهذا الكتاب –في نظري– وسيلة من أهم الوسائل المهمة الخطيرة التي استطاع بها الإمام أحمد أن ينشر منهجه، بل يسجل بها منهجه، في أهم القضايا المثارة في عصره، قضية الإيمان والإسلام، ومرتكب الكبيرة، والقدر، وأفعال الإنسان، وترتيب الصحابة، والخلافة، والفِرَق، ويمثل –فيما يبدو– المرحلة الأخيرة من مراحل حياة الإمام، فهو يضع لنا فيه منهجه القائم على الكتاب والسنة وفي رأيه: من زاغ عنه فهو مخالف ومبدع، ولذلك نراه يقول في مقدمة هذا الكتاب الخطِرة، وهذه الوسيلة المهمة:

(مذاهب أهل العلم وأصحاب الأثر وأهل السنة المتمسكين بعروتها والمعروفين بها المقتدى بهم فيها، من لدن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا – أي عصره– وأدْرَكتُ مَن أدركتُ مِن علماء الحجاز والشام وغيرهما عليها فمن خالف شيئاً من هذه المذاهب أو طعن فيها أو عاب قائلها فهو مخالف مبتدع وخارج عن الجماعة وزائل عن منهج السنة وسبيل الحق)[2].

ويبدو لي –والله أعلم– بأن هذا الكتاب قد شرحه ابنه عبدالله لأن له كتاب باسم هذا العنوان رجعت إليه فوجدته يتكون من جزئين، والمذكور في كتاب السنة لابنه مذكور في كتابه، لكنه توسع فيه وأزاد، ويوجد أيضاً كتاب السنة لأبي بكر الخلّال نقلاً عن الإمام أحمد في ثلاثة أجزاء.

وشرح كتاب السنة أحد تلاميذِ تلامِيذِ الإمام وهو الحسن بن على بن خلف أبو محمد البره نهاري صحب جماعة من أصحاب الإمام أحمد منهم المروزي، وصنَّف مصنفات منها (شرح كتاب السنة للإمام)[3].

والحق بأن أهم هذه الكتب وهذه الوسائل على الإطلاق في نظري

---

[1]) الكتاب والسنة
[2]) كتاب السنة ص١
[3]) المنهج الأحمد جـ ٢ ص ٢١ :٣٢

١- كتاب طاعة الرسول لأنه استطاع به أن يقف أمام تيار عنيف وهو عدم الأخذ بالسنة النبوية الشريفة، وأبان لنا عن منهجه في تفسير القرآن وخطأ الذين وقعوا في هذا.

٢- كتاب الرد على الزنادقة والجهمية يبيِّن في القسم الأول منه وهو الرد على الزنادقة حجة من اعترض على القرآن وأثبت بأنه تعارض فإذا بالإمام يزيل هذه الشبهة ويبيِّن لهم خطأهم، وفي القسم الثاني فيه يبين لنا رأي القرآن في قضيتي الصفات وخلق القرآن.

٣- كتاب السنة وفيه وضع الإمام رأيه في قضايا عصره.

٤- كتاب الزهد وضع فيه الإمام رأيه في قضية الورع والزهد والتصوّف الصحيح.

٥- أما المسند وكتاب التفسير وهما القاعدة التي تنطلق منهما الأدلة التي اعتمد عليها في كتبه طاعة الرسول، والرد على الزنادقة والجهمية، والزهد ولتكون بمثابة المادة الخام التي يأخذ منها الداعية لإمداد جميع ما يريده من وضع منهج وتفسير إلى غير ذلك.

المبحث الثالث

الرسائل

من وسائل التدوين التي استخدمها الإمام أحمد لينشر بها منهجه الكتب التي ذكرناها آنفا، ومنها أيضاً الرسائل.

وإذا نظرنا إلى الرسائل كوسيلة من وسائل الإمام لتدوينه ينشر بها منهجه نرى بأن هذه الرسائل قد أتت ثمارها المرجوة منها، وخاصة في أدق قضايا عصره.

وإذا نظرنا لهذه الرسائل لوجدناها تنقسم إلى قسمين:

١) رسائل يرسلها الإمام أحمد. ٢) رسائل تأتي إليه لأخذ رأيه في قضايا عصره.

١-الرسائل التي يرسلها الإمام:

كان الإمام يرسل الرسائل إلى من يتوسم فيه قبول الموعظة والاستماع إلى النصيحة فلقد كتب رسالة إلى سعيد بن يعقوب يقول له فيها: (أما بعد فإن الداء داءٌ

والسلطان داءٌ والعالِمُ طبيبٌ، فإذا رأيت الطبيب يجر الداء إلى نفسه فأحذره والسلام عليك) [١].

ولم نتوسع في ذكر رسائله التي أرسلها، وإنما نريد أن نتوسع في ذكر الرسائل إلى أتت إليه لأنها بحق تدُلُّ دلالة واضحة على حسن صلة الداعية بمجتمعه، وتدُلُّ على طول باعه وإمامته في كل ما يثار، وتدُلُّ على أن علمه انتشر وذاع في الآفاق، وتدُلُّ في المقام الأول على مقدار تطور الحالة الفكرية في عصره وثقافة مجتمعه والقضايا التي تثار في عصره ورجوع الناس إليه وبيانه الحق فيها، ويرد عليها ومنتهزاً مجيئها إليه لينشر بها منهجه على أوسع بقعة ممكنة وعلى عقلية ذلك نوعية معينة ومن هنا لآية لنا الانتقال إلى:

٢-الرسائل التي تأتي إليه:-

وفدت رسائل إلى الإمام مِن مجتمعه يسألونه عن أدق المسائل الفقهية والعقائد.

يخبرنا المروذي عن ذلك فيقول: (قلت لأبي عبدالله جاءنا كتاب من طرطوس فيه أن قوماً خرجوا في نتف الأسل[٢] فطُحِنَ لهم على رحى فتبينوا بعد أن الرحى فيه شيء يكرهونه، غضب فتصدق بعضهم بنصيبه وأبى بعضهم وقال لست آمراً فيه ولا أنهى عنه لا أرش به آكله ولا أتصدق به فعجب أبو عبد الله وقال: إذا تصدق به فإيش بقي وكان مذهب أبي عبدالله أن يتصدق به إذا كان شيء يأمر هو به)[٣]. أي أن الإمام أمره أنه يكتب رسالة يرد بها عليهم في تساؤلهم.

وكتب إليه رجل يسأله عن مناظرة أهل علم الكلام على طريقتهم الفلسفية المعهودة والجلوس معهم، فيقول صالح: فأملى عليّ أبي جواب كتابه، أحسن الله عاقبتك الذي

---

[١] ترجمة الإمام أحمد بن حنبل من تاريخ الإسلام ص ٢٤ للذهبي.
[٢] الأسل نبات له أغصان كثيرة دقاق بلا ورق، لسان العرب، (جـ١٣/ ١٤).
[٣] الورع ص ٦٣

كنا نسمع وأدركنا عليه من أدركنا أنهم كانوا يكرهون الكلام والجلوس مع أهل الزيغ وإنما الأمر والتسليم والإنهاء إلى ما في كتاب الله لا نعْدُ ذلك ولم يزل الناس يكرهون كل محدِّث من وضع كتاب وجلوس مع مبتدع ليورد عليه بعض ما يلبس عليه في دينه)[1].

في كلمات قصار استطاع الإمام أحمد أن يرسم لهذا السائل المنهج الذي يستطيع أن يسير عليه وهو المنهج الذي ارتضاه أحمد لنفسه والعمل على نشره فانتهز الداعية هذه الرسالة وجندها في خدمة نشر منهجه –دعوته– وهكذا ينتهز الداعية أي فرصة لينشر بها منهجه.

ومن أخطر الرسائل التي جاءت إليه يسأل فيها مرسلوها –من وجهة نظري– رسالتين مُهِمَّتَين خطيرتين لأن الإمام استطاع عن طريقيهما أن ينشر منهجه وأن يضع فيهما ما يريد، وأن يصل هذا المنهج لمن يهمّه أمر دينه في عصره.

الرسالة الأولى أرسلت إليه من الخليفة المتوكل عن طريق نائبه في بغداد فسأله فيها عن الرأي القاطع الفاصل في مسألة القرآن فيقول عبدالله ابنه: كتب عبيد الله ابن يحيي إلى أبي يخبره أن أمير المؤمنين أمرني أن أكتب إليك عن أمر القرآن لا مسألة اختار، ولكن مسألة معرفة وتبصره فأملى علي أبي رحمه الله إلى عبيد الله بن يحيي– وحدي ما معي أحد: (بسم الله الرحمن الرحيم أحسن الله عاقبتك أبا الحسن في الأمور كلها ودفع عنك مكاره الدنيا والآخرة برحمته، قد كتبت إليك بالذي سأل عنه أمير المؤمنين فقد كان الناس في خوض من الباطل واختلاف شديد ينغمسون فيه حتى أفضت الخلافة إلى أمير المؤمنين فنفى الله بأمير المؤمنين كل بدعة وانجلى عن الناس ما كانوا فيه من الذل وضيق المجالس...

فقد ذكر عن عبدالله بن عباس أنه قال: لا تضربوا كتاب الله بعضه ببعض فإن ذلك يوقع الشك في قلوبكم وذكر عن عبدالله بن عمرو أن نفراً كانوا جلوساً بباب النبي صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم ألم يقل الله كذا؟ وقال بعضهم ألم يقل الله كذا؟ فسمع رسول اله صلى الله فخرج كأنما فقئ في وجهه حب الرمان فقال: بهذا أمرتم

[1]) ترجمة الإمام أحمد من تاريخ الإسلام ص ٣٦ للحافظ الذهبي.

أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض؟ إنما ضلت الأمة قبلكم في مثل هذا أنكم لستم ما ها هنا في شيء انظروا الذي أمرتم به فاعملوا به، وانظرا إلى الذي نهيتم فيه فانهوا عنه.... ثم يحدد منهجه الذي يريد أن ينشره فيقول: ولا أرى الكلام في شيء من هذا إلا ما كان في كتاب الله أو في حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أو عن أصحابه أو عن التابعين فأما غير ذلك فإن الكلام فيه غير محمود)[1]، كان من الممكن أن ينافق الإمام المتوكل وأن يرد عليه بكلام يعجبه ولكنه انتهزها فرصة ليستطيع عن طريقها نشر منهجه في وثيقة مهمة مكتوبة باليد وبخط ابنه يبين له فيها رأيه في القرآن الأدلة قاطعة، والرسالات كلها تدور حول هذه المعنى

أما الرسالة الثانية فيطلقون عليها عقيدة أهل السنة لأن الإمام استطاع عن طريقها نشر منهجه في كل قضية يريد بيانها فحينما أشكل على مُسَدِّد بنِ مُسَرْهَد بن مُسَرْبَل أمر الفتنة وما وقع الناس فيه مع الاختلاف في القدر والرفض والاعتزال وخلق القرآن والإرجاء، كتب إلى الإمام أحمد بن حنبل أن يكتب إليه بسنة رسول الله في هذه القضايا، فانتهز الإمام هذه الرسالة المهمة لينشر عن طريق الإجابة عن قضاياها منهجه الذي التزم به ويخبرنا صاحب المنهج الأحمد بأنه لما أشكل على مُسَدِّد بنِ مُسَرْهَد بن مُسَرْبَل البصري أمر الفتنة وما وقع الناس فيه من الاختلاف في القدر والرفض والاعتزال وخلق القرآن والإرجاء عتب إلى أحمد بن حنبل أكتب إليَّ بسنة النبي صلى الله عليه وسلم.

فلما ورد الكتاب على أحمد بكى وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون يزعم هذا البصري أنه أنفق في العلم مالاً عظيماً هو لا يهتدي إلى سنة النبي صلى الله عليه وسلم فكتب إليه (بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي جعل في كل زمان بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى وينهون عن الردى يحيون بكتاب الله الموتى وبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجهالة والردى، فكم من قتيل عن دين الله قد أحيوه وكم من ضالٍّ تائه قد هدوه فما أحسن آثارهم على الناس ينفون عن دينه الله تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الضالين الذين عقدوا أولوية البدع وأطلقوا

[1]) الرسالة بطولها ٢ ترجمة الإمام أحمد بن حنبل تاريخ الإسلام ص ٧١: ٧٥ للذهبي.

أعنّة الفتنه مختلفين في الكتاب فيقولون على الله وفي الله –تعالى عما يقول الظالمين علواً كبيراً– وفي كتابه بغير علم فنعوذ بالله من كل فتنة مضلة وصلى الله على سيدنا النبي وآله وسلم تسليماً أما بعد...

وفَّقنا الله وإيّاكم لما فيه رضاه وجنَّبَنا وإياكم ما فيه سَخْطه واستعمَلَنا وإياكم عمل الخاشعين له العارفين به فإنه المسئول ذلك، وأوصيكم ونفسي بتقوى الله العظيم ولزوم السنة والجماعة فقد علمتم ما حلَّ بمن خالفها، وما جاء فيمن تبعها، فإنه بلغنا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إن الله ليدخل العبد الجنة بالسنة يتمسك بها)، وآمركم أن لا تؤثروا على القرآن شيئاً فإنه كلام الله وما تكلم الله به فليس بمخلوق، ومن قال مخلوق فهو كافر به، ومن لم يكفرهم فهو كافر، وبعد كتاب الله سنة نبيه صلى الله عليه وسلم والحديث عنه وعن المهديين من صحابة النبي والتابعين من بعدهم والتصديق بما جاءت به الرسل واتباع سنة النجاة وهي التي نقلها أهل العلم كابرٌ عن كابرٍ وأخذوا رأي جهم فإن فإنه صاحب رأي وخصومات وأما الجهمية فقد أجمع من أدركنا من أهل العلم أنهم قالوا: افترقت الجهمية على ثلاث فرق: فقال بعضهم: القرآن كلام الله وهو مخلوق، وبعضهم قال القرآن كلام الله وسكت، وهم الواقفة وقال بعضهم ألفاظنا بالقرآن مخلوقة وهؤلاء كلهم جهمية، واجمعوا على أن من كان هذا قوله فحكمه إنْ لم يَتُب لا تحل ذبيحته ولا تَجوز قضاياه.

والإيمان قول وعمل يزيد وينقص زيادته إذا أَحْسَنْت ونقصانه إذا أسأت ويخرج الرجل من الإيمان إلى الإسلام، فإن تاب رجع إلى الإيمان، ولا يخرجه من الإسلام إلا الشرك بالله العظيم أو بردِّ فريضة من فرائض الله عز وجل جاحد لها، فإن تركها تهاونا بها كسلا كان في مشية الله تعالى إن شاء عذّبه وإن شاء عفا عنه.

وأما المعتزلة فلقد أجمع من أدركنا من أهل العلم أنهم يكفرون بالذنب فمن كان منهم كذلك فلقد زعم أن آدم عليه السلام كافر وأن إخوة يوسف حين كذبوا أباهم كفاء، وأجمعت المعتزلة أن من سرق حبَّة فهو كافر تبين منه امرأته ويستأنف الحج إن كان

قد صَحَّ، فهؤلاء الذين يقولون هذه المقالة كفار وحكمهم أنهم لا يناكحون ولا تقبل شهادتهم. لا تؤكل ذبائهم حتى يتوبوا.

وأما الرافضة فقد أجمع من أدركنا من أهل العلم أنهم قالوا: إن علياً أفضل من أبي بكر، وإن إسلام علي أقدم من إسلام أبي بكر، فمن زعم أنه علياً أفضل من أبي بكر فقد ردَّ الكتاب والسنة لقول الله عز وجل (محمد رسول الله والذين معه) فقدّم أبا بكر بعد النبي ولم يقدم علياً وقال صلى الله عليه وسلم: (لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن الله قد اتخذ صاحبكم خليلاً يعني نفسه ولا نبي بعده)، ومن رغم أن إسلام علي كان أقدم من إسلام أبي بكر فقد أخطأ لأنه أسلم –أي أبو بكر– وهو يومئذ ابن خمس وثلاثين سنة، وعلي يومئذ ابن سبع سنين لم تُجْرَ عليه الأحكام والحدود والفرائض.

ويؤمن بالقضاء والقدر خيره وشره حلو ومره من الله تعالى، فإن الله خلق الجنة قبل خلق الناس وخلق لها أهلاً ونعيماً دائم فمن زعم أن (...) من الجنة شيء فهو كافر، وخلق النار وخلق لها أهلاً وعذابها دائم وأن الله يخرج قوماً من النار بشفاعة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وأن أهل الجنة يرون ربهم بأبصارهم لا محالة، وأن الله كلَّم موسى تكليماً، واتخذ إبراهيم خليلاً، والميزان حق، والصراط حق، والأنبياء حق، وعيسى ابن مريم عبد الله ورسوله، والإيمان بالحوض والشفاعة، والإيمان بالعرش والكرسي، والإيمان بملك الموت أنه يقبض الأرواح ثم ترد الأرواح إلى الأجساد، ويسألون عن الإيمان والتوحيد والرسل والإيمان بالنفخ في الصور والصور قرن ينفخ فيه إسرافيل، وان القبر الذي بالمدينة قبر النبي صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر وعمر وقلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن والدجال خارج في هذه الأمة لا محالة، وينزل عيسى بن مريم إلى الأرض فيقبله بباب لدٍّ، وما أنكرته العلماء من أهل السنة فهو منكر.

واحذروا البدع كلها ولا عين تطرف بعد النبي صلى الله عليه وسلم أفضل من أبي بكر، ولا بعد أبي بكر عين تطرف أفضل من عمر، ولا بعد عمر عين تطرف أفضل من عثمان، ولا بعد عثمان عين تطرف أفضل من علي بن أبي طالب فهم والله

الخلفاء الراشدون المهديون، وأن تشهد للعشرة أنهم في الجنة (أبو بكر، وعمر وعثمان وعلي فطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف ، وأبو عبيدة بن الجراح) رضي الله عنهم، فمن شهد له النبي صلى الله ليه وسلم بالجنة شهدنا له بالجنة، ورفع اليدين فالصلاة زيادة في الحسنات، والجهر بآمين عند قول الإمام (ولا الضالين)، والدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح ولا يخرج عليهم بالسيف ولا يقاتل في الفتنة والخروج مع كل إمام في غزوة وحجة ولا يتألى على أحد من المسلمين أن يقول: فلان في الجنة أو فلان في النار إلا العشرة الذين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة، وصِفُوا اللهَ بما وصَفَ به نفسه، وانفوا عن الله ما نفاه عن نفسه.

واحذروا الجدال مع أصحاب الأهواء والكف عن مساوئ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتحدث بفضائلهم والإمساك عما شجر بينهم، ولا تشاور أهل البدع في دينك ولا ترافقه في سفرك، ولا نكاح إلا بولي وخاطب وشاهدي عدل، والمتعة حرام إلى يوم القيامة، ومن طلق ثلاثاً في لفظ فقد جهل وحرمت عليه زوجته ولا تحل له أبداً حتى تنكح زوجاً غيره، والصلاة خلف كل بر وفاجر، وصلاة الجمعة والصلاة العيدين، والصلاة على من مات من أهل القبلة وحسابهم على الله، والتكبير على الجنائز أربع فإن كبر خمساً فكبر معه لفعل علي ابن أبي طالب رضي الله عنه قال عبدالله بن مسعود كبِّر ما كبّر أمامك.

قال أحمد خالفني الشافعي فقال: إن زاد على أربع تكبيرات أعاد الصلاة واحتج بأن النبي صلى الله عليه وسلم صلى على النجاشي فكبر عليه أربع تكبيرات، والمسح على الخفين للمسافر ثلاثة أيام ولياليهن وللمقيم يوماً ولياليهن وللمقيم يوماً وليلة، وإذا دخلت المسجد فلا تجلس حتى تركع ركعتين تحية للمسجد، والوتر ركعة، والإقامة فرداً أحبُّ إلى أهل السنة، أماتنا الله وإياكم على الإسلام والسنة ورزقنا وإياكم اتباع العلم ووفقنا وإياكم لما يحبه ويرضاه"[1]

[1]) المنهج الأحمد جـ١ ص ٨٤ وهناك رسائل أخرى على نفس هذا الخط ونفس المعنى، انظر المنهج الأحمد جـ١ ص ٢٣٠ ، ٢٣٨،٣٢٣.

والأهمية بهذه الرسالة في نشر المنهج الذي التزمه الإمام أحمد طبعت منفردة وأطلق عليها كتاب (عقيدة أهل السنة) للإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه.

وإذا نظرنا إلى رد الإمام على هذه الرسالة نجده لم يكتف فقط بالرد على القضايا التي سئل عنها ولكنه أراد أن يسجل منهجه في رسالة مهمة وخطيرة كتب فيها كل ما يهمه من قضايا ليستطيع أن ينشر عن طريقها منهجه الذي يدعو إليه ويلتزم به.

إذا نظرنا إلى هذا الرد لوجدناه يحتوي على رأي الإمام على حسب منهج الكتاب والسنة– فيما يبدو لي في:

١- حجج المبطلين ووظيفة الدعاة.

٢- القضاء والقدر.

٣- الرفض.

٤- الاعتزال.

٥- خلق القرآن.

٦- الإرجاء.

٧- الشفاعة .

٨- الصفات.

٩- محاربة البدع.

١٠- الصحابة وأفضليتهم وترتيبهم.

١١- بعض العبادات وما يجب فيها.

١٢- الغيبيات.

١٣- رأيه في الخلافة.

وإذا لاحظنا الرد وجدنا الإمام قد قام بعمل مقدمة ثم عرض للموضوع وأبان له عن رأيه ثم خاتمه للرد.

نموذج تخطيطي لرسائل الإمام:-

إذا كان الإمام في تصنيفه لكتبه قد التزم فيها منهج الكتاب والسنة فكذلك نراه في مكاتباته والرد على المكاتبات التي تَرِدُ إليه، فإذا نظرنا إلى الردود السابقة والخطابات التي أرسلها لظهر لنا بوضوح أنه متبع فيها أيضاً، وليس مبتدعاً فنذكر نموذجاً تخطيطياً لخطاباته أو للرد، **فنراه:**

١- يكتب البسملة إذا كان الخطاب لأحد المسلمين ولا يكتبها إذا كان مُرسلاً لغير المسلمين.

٢- يكتب مرة اسم المُرسَل إليه ويستخدم التعبير الصحيح لغوياً (إلى فلان) وليس (لفلان)، ونراه مرة أخرى يكتب اسم المُرسِل ثم يعقبه باسم المُرسَل إليه فمرة يقول: (إلى فلان من فلان)، وأخرى يقول: (من فلان إلى فلان) لأن الرسول صلى الله عليه وسلم استخدمها في مراسلاته حينما كان يدعو غير المسلمين إلى الإسلام ويستخدم إلى فلان حينما كان يراسل أحد المسلمين ويكتب الرسول البسملة حينما كان يراسل أحد المسلمين ولا يكتبها حينما يدعو غير المسلمين إلى الإسلام أيضاً.

٣- يذكر أما بعد.

٤- يذكر الموضوع الذي من أجله أرسل الخطاب.

٥- يذكر في نهاية الخطاب (السلام عليكم).

أي أن نموذج الخطاب يتكون من :-

١-المقدمة وتتكون من:

- البسملة أو عدمها.
- اسم المُرسَل إليه.
- اسم المرسِل أو بالعكس.

٢-الموضوع:

- أما بعد.

- ذكر لب الموضوع مع أدلته.

٣-الخاتمة.

- السلام عليكم.

يقول المروذي: (وكان أبو عبد الله يكتب عنوان الكتاب إلى أبي فلان وهو أصوب من أن يكتب لأبي فلان) [١]، ويقول عبدالله: (رأيت أبي إذا كتب يكتب إلى أبي فلان بن فلان من أحمد بن محمد بن حنبل)[٢] ويقول حنبل: (كانت كتب أبي عبدالله أحمد بن حنبل التي يكتب بها "من فلان إلى فلان" فسألته عن ذلك؟ فقال: رسول الله كتب إلى كسرى وقيصر وكتب كلما كتب على ذلك وأصحاب النبي وعمر كتب إلى عتبه بن فرقاء فهذه السنة، وهذا الذي يكتب اليوم لفلان مُحدَث لا أعرفه)[٣].

وعلى ذلك تكون الرواية الأولى كان يستعملها تواضعاً منه، أو أن الرسول -فيما يبدو- قد استعملها في خطابات مع المسلمين، أما الثانية فكانت مع غيرهم غالباً.

ومرة يذكر البسملة وفي الختام يذكر السلام، يقول سعيد بن يعقوب: (كتب إليّ أحمد بن حنبل فقال: من أحمد بن محمد إلى سعيد بن يعقوب أما بعد،، فإن الدنيا داء والسلطان داء والعالم طبيب فإذا رأيت الطبيب يَجُرّ الداء إلى نفسه فاحذره والسلام عليك) [٤].

---

[١] الآداب الشرعية جـ ١ ص ٤٨٦.
[٢] الكفاية ص ٤٨٤
[٣] المرجع السابق نفسه ص ٤٨٤.
[٤] تاريخ الإسلام ص ٢٤، للذهبي، الآداب الشرعية، جـ١ ص ٤٨٦.

الفصل الثالث

ويبحث في وسائل التبليغ الأسوة

ويشتمل على مدخل ومبحثين:

المبحث الأول: صفات الإمام أحمد

- **الصفات الخَلْقِيَّة**
- **الصفات الخُلُقِيّة**

المبحث الثاني:

سلوك الإمام التطبيقي

مدخل:

إن الأسوة[1] الحسنة والسيرة العطرة للداعية هي أبلغ خطبه يستطيع بها أن يدعو الناس إلى الدعوة وخلقه الكريم الطيب هو السحر الذي يجذب إليه الأفئدة ويجمع عليه القلوب.

ومن ثَمّ فإن الداعية الناجح الموفّق الفَطِن هو الذي يهدي إلى الحق بسيرته وصفاته سواء كانت خَلْقية أو خُلُقية، وإن لم ينطق بكلمة لأنه مَثَّل حيٌّ للمنهج الذي يعتنقه.

والداعية الذي يدعو إلى منهجه لابد أن تظهر ثمار منهجه عليه أولاً؛ لأن فاقد الشيء لا يعطيه– في جميع أحواله في العقيدة والمعاملات والأخلاق في كل حركاته وسكناته وفي تعامله مع مجتمعه، وإذا كان الداعية الناجح كذلك فالإمام أحمد بن حنبل داعية من الطراز الأول استطاع بتوفيق الله له أن يكوِّن به صورة حية نابضة

[1] الأُسوة والإِسوة كالقُدوة والقِدوة: وهي الحالة التي يكون الإنسان عليها في اتباع غيره إن حسناً وقبيحاً ، وإن سارا وان ضارا؛ ولهذا قال الله تعالى: (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) فوصفها بالحسنى، انظر معجم المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، ص١٤.

للمنهج الذي اعتنقه ووقف حياته من أجله، فظهرت ثماره عليه فأصبح في حركاته وسكناته في أقواله وأفعاله في طلبه للعلم ورحلاته وفي جلوسه للتدريس، وفي زواجه وفي سجنه وفي محنته الدينية والدنيوية، بل وفي وفاته صورة حية نابضة لمنهجه فكان بحق –بسلوكه– داعية لنشر منهجه ومن هنا لعب سلوكه درساً مهمّاً خطيراً في نشر منهجه، إنه لم يصل إلى منهجه إلا بسلوكه، ولم ينشر منهجه إلا بسلوكه لاتّباعه فيه لسلوك سيدنا رسول الله فأصبحت أقوال الرسول وأفعاله له غاية وأمست حركاته وسكناته له بغية فعمل على تحقيقها – فوفقه الله إليها– ومن ورائها استطاع أن ينشر منهجه وهي تنقسم إلى مبحثين:

المبحث الأول صفات الإمام

(أ)الصفات الخَلْقِيَّة:

لا شك أن صفات الداعية الخَلْقِية وعنايته بمظهره الخارجي ولباسه ونظافته تلعب دوراً خطيراً في جذب الناس إليه والتفافهم حوله وتأثيره فيهم ونشر دعوته ومنهجه ومن هنا نرى الإمام أحمد استعمل هذا الرافد في نشر منهجه فكان رحمه الله:

١- حسن الوجه طويل القامة أسمراً، بصفة صاحب الوفيات (وكان حسن الوجه طويل القامة)[١].

٢- كان رحمه الله يعتني بمظهره الخارجي وبثوبه وجسده إيماناً منه بأن هذا يلعب دوراً مهماً في نشر منهجه. يقول الميموني: (ما أعلم أني رأيت أحداً أنظف ثوباً ولا أشد تعاهداً لنفسه في شاربه وشعر رأسه وشعر بدنه، ولا أنقي ثوباً وشدة بياض من أحمد بن حنبل) [٢].

٣- السكينة والوقار إذا اتصف بهما الداعية أحدثت سحراً في مستمعيه وانجذاباً نحوه ليستطيع نشر ما يريده، ومن هنا كان الإمام تظهر عليه السكينة ويبدو

---

[١]) ص ١٧٧.
[٢]) تاريخ الإسلام ص ٢٥

عليه الوقار، ولذلك يروى صاحب الشذرات (كان شيخاً أسمراً مديد القامة مخضوباً عليه سكينة ووقار)[١].

(ب) صفاته الخُلُقِيّة:

لقد اتصف الإمام أحمد وتحلي بصفات خُلُقِيّة قد جعلت منه قدوة حسنة طيبة ويُقتدَى به وكانت ذا أثر فعّال في نشر منهجه فسرت في عروق مجتمع كمجرى الماء في العود من هذه الصفات التي غيرت كيميائية مجتمعه واستطاع عن طريقها واتصافه بها أن ينشر منهجه في مجتمعه فكان يتصف بـ:

١-الخوف من الله:

يقول المروذي كان الإمام أحمد إذا ذكر الموت خَنَقَتْه العِبْرة[٢].

وكان يقول رحمه الله (الخوف يمنعني أكل الطعام والشراب)[٣] ولقد أورثه الخوف من الله مراقبته ليل نهار يقول أبو بكر المروذي: (دخلت على أحد يوماً فقلت: كيف أصبحت؟ فقال: كيف أصبح من ربّه يطالبه بأداء الفرض، ونبيه يطالبه بأداء السنة، والملكان يطالبان بتصحيح العمل، ونفسه تطالبه بهواها، وإبليس يطالبه بالفحشاء، وملك الموت يطالبه بقبض روحه، وعياله يطالبونه بالنفقة)[٤].

وأورثه خوفه من ربه عدم الشهرة فكان يقول: (أريد أن أكون في بعض تلك الشعاب بمكة حتى لا أعرف، قد بليت بالشهرة، وإني لآتيني الموت صباحاً ومساء) [٥].

وكان لا يتكلم إلا قليلاً يقول أبو داود السجستاني: (لم يكن أحمد بن حنبل يخوض في شيء مما يخوض فيه الناس من أمر الدنيا فإذا ذكر العلم تكلم)[٦].

---

[١] شذرات الذهب جـ٢ ص ٩٦، ومعنى مخضوبا أي مطبوعاً .
[٢] تاريخ الإسلام ص ٢٥
[٣] المرجع السابق نفسه ص ٢٥
[٤] المناقب ص ٢٨٤ ومن أراد الاستزادة فعليه بالمناقب ص ٢٧٣: ٢٨٢
[٥] تاريخ الإسلام ص ٢٥
[٦] المناقب ص ٢٠٨

ولاشك أن الخوف من الله يجعل الداعية يحسن صلته بالله و هذا هو العنصر الأول لتكوين الداعية ويجعله متصلاً به ليل نهار يعبده كأنه يراه ويجعل سلوكه سلوكاً طيباً، ومن هنا كان سلوك الإمام رغبة إلى نشر منهجه.

٢-الشجاعة والثبات على الحق وجرأته فيه:

لاشك أن صلة الداعية بالله تورث فيه الشجاعة والثبات على منهجه، وتجعله لا يخاف في الله لومة لائم وهذا بنفسه دعوة إلى نشر المنهج بدون كلمة لأن المجتمع إذا رأى داعيته شجاعاً جريئاً ثابتاً على الحق بداهة يلتفون حوله ويتجمعون عليه وبذلك يستطيع بشجاعته وثباته على مبدئه أن ينشر منهجه ولقد كان الإمام أحمد كذلك، يقول صالح في محنة أبيه حين المناظرة: (فما لَحِن في كلمة قط وما ظننت أن أحداً يكون في شجاعته وشدة قلبه)[١].

ومن هنا كان الإمام لا يغضب إلا لله ومن أجل الله، فكان هذا داعية إلى نشر منهجه وإن لم يتفوه بكلمة يقول أبو معمر القطيعي: (لما حضرنا في دار السلطان أيام المحنة وكان أبو عبدالله أحمد بن حنبل قد أُحْضِر فلما رأى الناس يجيئون انتفخت أوداجه واحمرت عيناه وذهب ذلك اللين الذي فيه، قلت أنه قد غضب لله)[٢].

٣-التواضع:-

كان رحمه الله متواضعاً من غير مَذِلّة أبياً من غير تكبر لا يفتخر على أحد بنسبه إيماناً منه بأن لين الجانب والتواضع للناس من أعظم الوسائل التي ينشر بها منهجه، يقول يحيى بن معين: (ما رأيت خيراً من أحمد قط ما افتخر علينا بالعربية ولا ذكرها)[٣].

---

[١]) تاريخ الإسلام ص ٥٠ للذهبي
[٢]) الحلية جـ٩ ص ١٩٣
[٣]) تاريخ بغداد جـ٤ ص ٤١٢

وكان رحمه الله إذا أراد القيام يقول لجلسائه (إذا شئتم) [١] ويسند الفضل في تربيته ونشأته للإسلام، فلقد قيل له ذات يوم: (جزاك الله عن الإسلام خيراً، قال: لا، بل جزى الله الإسلام عني خيراً ثم قال: ومن أنا، ومن أنا) [٢].

وعلى الرغم من شدة تواضعه لا أنه كان مهاباً يقول محمد بن مسلم: (كنا نهاب أن نرد أحمد بن حنبل في الشيء أو نحاجه في شيء من الأشياء يعني لجلالته ولهيبة الإسلام الذي رزقه)[٣].

ومن شدة هيبته لم يقرعوا عليه باب حجرة السجن الذي كان فيه، بل قرعوا باب حجرة عمه يقول المروذي: ولقد طرق الكلبي خبر السجن ليلاً فمن هيبته لم يقرعوا عليه بابه ودقوا باب عمه، قال أبو عبدالله فسمعت الدقة فخرجت إليهم)[٤]. ومما لا مراء فيه أن التواضع يجعل الداعية محبوباً من مجتمعه ووسيلة فعالة للالتفاف حوله ورافداً مُهمّاً في نشر منهجه.

٤-مشاركته لمجتمعه(صلته بمجتمعه):

لاشك أن علاقة الداعية بمجتمعه تلعب دوراً حساساً في الإنصات إليه والاستماع منه ومحبتهم له والانجذاب نحوه يطبقون ما يقول، وينظرون إلى سلوكه فيفعلون، فالداعية الفطن هو الذي يشارك مجتمعه آماله وآلامه في أحزانه وأفراحه يسأل عنهم ويذهب إليهم ويقضي على مشكلاتهم يكون أباً للصغير وابناً للكبير وأخاً لمن يساويه، يحترم كبيرهم ويرحم صغيرهم بذلك يستطيع أن يستولي على قلوبهم وأن يستحوذ على أفئدتهم وأن يسيطر على عقولهم فيصبحون في يديه عجينة يشكلها كما يريد وكما يشاء وينشر منهجه فيهم فيتقبَّلون بصدر رحب وقلب متفتح وعقل متفهم وهكذا كان الإمام أحمد -رضي الله عنه- يشارك مجتمعه كل أمانيه ويحمل عنهم كل ما يثقلهم فكان بحسن صلته بمجتمعه داعية إلى نشر منهجه ووسيلة من الوسائل المؤثرة في نشر من منهجه فكان رحمه الله:-

---

[١] تاريخ الإسلام ص ٢٥.
[٢] المناقب ص ٢٧٥ ومن أراد الاستزادة فليطلع ص ٢٧٣: ٢٧٧
[٣] المناقب ص ٢١١
[٤] المرجع السابق نفسه ص ٢١٢.

- يقبل الهدية ويرد بأحسن منها يقول صالح بن أحمد: (أن رجلاً أهدى إلى أبيه فاكهة فبعث إليه ثوباً) [١].

- كان يجيب دعوة الختان والعُرس –إذا لم يكن هناك منكر– يقول إبراهيم الحربي: (كان أحمد بن حنبل يأتي العُرس والإملاك والختان يجيب ويأكل)[٢].

- كان يعط الخَتّان نقوداً فرحاً واستبشاراً بالمختون، يقول المروذي: (رأيت أبا عبدالله قد ألقى لختان درهمين في الطس)[٣].

- كان كريماً يقابل صاحب المعروف بأحسن منه يقول عمر بن صالح الطرطوسي: (وقع مع يد أبي عبدالله أحمد بن حنبل مقراض في البئر فجاء ساكن له فأخرجه فلما أن أخرجه ناوله أبو عبد الله مقدار نصف درهم أو أكثر فقال: المقراض يساوي قيراطاً لا آخذ شيئاً، فلما أن كان بعد أيام قال له كم عليك من كرى الحانوت؟ قال كري ثلاثة أشهر وكراؤه في كل شهر ثلاثة دراهم، وضرب على حسابه وقال: أنت في حل) [٤].

- كان رحمه الله يشارك في تشييع الجنازة ويعود المريض، يقول عبد الله ابنه : (لم يَرَ أحدٌ أبي إلا في مسجد أو حضور جنازة أو عيادة مريض وكان يكره المشي في الأسواق) [٥]، وكان يذهب إلى أهل المتوفى يعزيهم في مصابهم، يروى صاحب المنهج بأنه ذهب إلى أبي طالب يعزيه، فوقف بباب المسجد فقال: أعظم الله أجركم وأحسن عزاءكم ثم جلس ولم يقصد أحداً منهم) [٦].

---

[١] المناقب ص ٢٤٢
[٢] المرجع السابق نفسه ص ٢٧٨
[٣] تاريخ الإسلام ص ٢٥
[٤] المناقب ص ٢٢٠
[٥] المرجع السابق نفسه ص ٢٨٠
[٦] جـ١ ص ٢٦٥

- كان يحب الفقراء ويعزهم ويمد إليهم يد المعونة والمساعدة المادية والمنوية. يقول أبو بكر المروذي: (كان أبو عبدالله يحب الفقراء ولم أر الفقير في مجلس أحد أعز منه في مجلسه) [١].

ويأمر أبو عبدالله المروذي بأن يذهب إلى فقير مريض فيقول له: (اذهب إليه وقل له أي شيء تشتهي حتى نعمل لك ودفع إلى طبيباً وقال له طببه)[٢].

لا شك بأن الداعية إذا اتصف بالصفات التأثيرية السابقة وتحلى بها سيكون لها أثر السحر في مجتمعه، ونشر منهجه وهذه أزمة الداعية المعاصر.

٥- ورعه- زهده- تعففه عما في أيدي الناس:

إن الداعية المستقيم في سلوكه المتمكن من مادته المصيب في تفكيره لا يتكالب على الحياة ولا ينظر عما في أيد الناس ولا يطمع في شيء عندهم ولا يتثاقل على مجتمعه -يُحَمِّلْه مالا يطيق- ومن هنا لابد له من الورع و الزهد والتعفف عما في أيدي الناس هذه الصفات البسيطة الصغيرة الكبيرة لها تأثيرها الفعّال على الداعية ذاته وعلى مجتمعه، فإذا تحققت فيه هذه الصفات وتحلى بتلك المعاني السامية كانت بنفسها دعوة حية لنشر منهجه، وإذاعة دعوته وذيوع مبادئه، والتفاف المجتمع حوله واستماعهم لنصائحه، ومن أجل ذلك كان الإمام أحمد ورعاً زاهداً متعففاً عما في أيدي الناس لفطنته وحسن كياسته، ولعلمه بأن التحلي بهذه الصفات هي بنفسها دعوة لنشر منهجه تفتح قلوباً وآذاناً صماً وأبصاراً عُمياً، فكان رحمه الله شديد الورع في حياته حتى في محنته الدنيوية فلقد (صبر على مقدار ربع سويق خمسة عشر يوماً بمعسكر المتوكل يعتصم بذلك حتى أتت النفقة من بغداد ولا يذوق من مائدة المتوكل) [٣].

ولقد كان عفيف النفس لم يمد يده لطلب شيء من إنسان إلا لضرورة ورفض أن يأخذ دراهم من شيخه الإمام عبد الرزاق يعيش عليها إلا أن يعود ويردها ونراه يرفض

---

[١] المناقب ص ٢٧٢
[٢] المرجع السابق نفسه ص ٢٧٢
[٣] المناقب ص ٢٥٨

ويقول له: (أنا بخير ولم يقبل مني) [1] أي من إمامه عبد الرازق، ويبين لنا الغرض من ذلك فيقول (دعنا نكن أعزاء) [2].

هل بعد ذلك درس للدعاة؟

٦-عفوه وحلمه:

من الأمور المسلَّم بها -بداهة- أن الداعية في مجتمعه هو طبيب أمراضهم المعنوية والنفسية يحدد علاتهم ويصف لها العلاج الناجح، هو المورد الذي يرد عليه المجتمع يشكون إليه همهم، ويفرجون عنده كربهم، ويجدون فيه الأب الحنون يتحمل أذاهم ويعفو عن مسيئهم، قلبه يسعهم وصدره ينشرح للقائهم ومهجته تفرح بالوقوف والجلوس معهم لا يكن فظاً ولا غليظ القلب ولا ضيق الصدر، بل يجب عليه أن يعفو عمن ظلمه ويعطي من حرمه، ويكون حليماً مع مجتمعه.

فإذا اتصف الداعية بهذه الصفات فماذا ستكون حاله وحال دعوته ومجتمعه؟ لا شك أنه سيكون مصباحاً مضيئاً يبدد ظلمات الليل ومرشداً يهتدي بهديه المجتمع ويسيرون على سلوكه ويطبقون أقواله، بل ويكونون هم أيضاً وسيلة فعّالة لخدمة دعوته ولنشر منهجه.

ومن هنا كانت فطنة الإمام أحمد حين اتصف بصفات الداعية الناجح ليستطيع أن يُكوِّن نفسَه وأن تظهر ثمار منهجه عليه وينشر بهذه الصفات منهجه، فلقد كان رحمه الله يعفو عمن ظلمه فلقد ورد أنه قال: (أحللت المعتصم من ضربي)[3].

وجاء رجل ذات يوم فقال: يا أبا عبدالله قد اغتبتك فاجعلني في حِلٍّ قال: أنت في حِلٍّ إن لم تَعُد، فقال له أحد الجالسين: تجعله في حِلٍّ وقد اغتابك؟ قال ألم ترني اشترطت عليه) [4].

---

[1] المرجع السابق نفسه ص ٢٢٦
[2] المرجع السابق نفسه ص ٢٣٣
[3] المناقب ص ٢٦١
[4] المرجع السابق نفسه ص ٢٢٢

ولذلك يصفه إبراهيم الحربي فيقول: (كان أحمد بن حنبل كأنه رجل قد وفِّق للأدب وسدِّد بالحلم وملئ بالعلم)[1].

المبحث الثاني: سلوك الإمام التطبيقي

(موافقة قوله عمله – وعمله قوله)

لاشك أن أي داعية ميسّر له أن يتكلم ويتحدث ويخطب ويكتب ويدوّن ومع هذا المجهود الضخم –على ما يبدو لي– لآيات بالثمرة المراد منها.

ترى الدعاة يتكلمون كثيراً وبمقدار كلامهم يبتعد الناس عنهم ويتحدثون طويلاً وعلى مقدار تحدثهم ينفر الناس منهم ويكتبون كثيراً وعلى كمية كتاباتهم يقل تأثيرهم في مجتمعاتهم، وأصبح الداعي إلي الله على حسب هذا أسير كلامه وحديثه وتدوينه غريباً في مجتمعه، لا يرى أثر ثمرته ويتعجب وينظر ويتساءل ما السبب إذن ؟

هل السبب كامن في عدم الكلام؟

هل العلة موجودة في قلة التحديث؟

هل النفور نابع من عدم التدوين؟

إذاً بلسان الحال والمقال يردَّان عليه يقولان له العلة كامنة في مخالفة القول العمل.

تقول قولاً وتعمل عكسه

وتتحدث حديثاً وتفعل ضده

وتكتب كتاباً ولا تلتزم بما جاء به

ومن هنا تأتي علة الدعاة في العصر الحديث وابتعاد الناس عنهم ونفورهم منهم، ونتساءل إذن ما المخرج من هذا؟

المخرج شيء يسير بسيط على من يسّره الله له هذا الشيء هو الالتزام بكل كلمة تنطقها وهو السلوك العملي المطابق لقولك ولحديثك وتدوينك.

---

[1]) المرجع السابق نفسه ص ٢٢٣

ومن هنا نرى كثيراً من الدعاة والحمد لله– محبوبين من مجتمعاتهم مشهورين بين أناسيهم يلتف حولهم الناس، وإذا سألت الناس عن السبب؟ إذا بهم يقولون: سلوكه طيب وعمله حسن وعمله مطابق لقوله، والتزم بمنهجه وتمسك بدعوته ليكون هو بنفسه وسيلة فعّالة لنشر دعوته ومنهجه.

هذا ما التزم به الإمام الداعية أحمد بن حنبل فلقد كان قوله وحديثه وتدوينه هو سلوكه فالتفت الناس حوله وأحبوه ووقفوا بجواره في محنته وأعلنوا الثورة على المعتصم كل هذا بسلوكه العملي التطبيقي واستطاع به أن يمُدَّ ظلال منهجه إلى البلاد المجاورة فكان –رحمه الله– حافظاً للقرآن ومفسّرا له وثقة في الحديث عاملاً بكل ما جاء فيه يقول أبو صالح العجلي: (أحمد بن حنبل ثقة ثبت في الحديث نزّه النَّفس قَصِيّه في الحديث متَّبع للآثار صاحب سنة وخبر)[1]. ومن اتباعه للآثار تحول كله إلى سلوك تطبيقي لمنهجه واستطاع به أن ينشر منهجه.

- فلم يجلس –رحمه الله– للتدريس إلا بعد بلوغه سن الأربعين تيمناً واتباعاً لسن الرسالة. وكان في جلسته يجلس جلسة القرفصاء اتباعاً لسلوك الرسول صلى الله عليه وسلم يقول إبراهيم البوسطجي: (ما رأيت أحمد بن حنبل جالساً إلا القرفصاء، إلا أن يكون في الصلاة وهذه الجلسة التي يحكيها قبله في حديثها أني رأيت رسول الله جالساً جلسة المتخشع القرفصاء وكمان أحمد يتم في جلوسه هذه الجلسة[2].
- وكان –رحمه الله– إذا كتب حديثاً لابد أن يطبقه ويحوله إلى سلوك وواقع فيقول: (ما كتبت حديثاً عن النبي –صلى الله عليه وسلم– إلا وقد عملت به حتى مرّ بي في الحديث أن النبي احتجم وأعطى ديناراً، فأعطيت الحجام ديناراً حين احتجمت)[3].

ومن أجل هذا نراه:

---

[1]) تاريخ بغداد جـ ٤ ص ٤١٣ وما بعدها
[2]) المناقب ص ٢١٠
[3]) الآداب الشرعية جـ ١ ص ١٣

- قد تسَرَّى طلباً للإتباع فلقد (استأذن زوجته أن يتسرى طلباً للإتباع فأذنت له فاشترى جارية بثمن يسير وسماها ريحانة استئانا برسول الله صلى الله عليه وسلم)[١].
- وأصبح سلوكه علامة بارزة له في حياته وبه استطاع أن ينشر منهجه وأن يحوله إلى واقع عملي ملموس بين الناس يرونه بأعينهم فيتأثرون به ويقتدون بمنهجه يرونه يلتزم بمنهجه في السراء والضراء لا يحيد ولا يبتعد عنه ولا يتشاغل بشيء سواه فيزدادون قرباً منه وحباً له وتطبيقاً لمنهجه ولذا كان رحمه الله يصلي بالناس وهو في السجن فيقول: (كنت أصلي بأهل السجن وأنا مقيد)[٢].

وكان صائماً يوم ضرب وعرضوا عليه أن يفطر فلم يفطر وصلى والدم يسيل منه فنراه يقول: وآتوني بسويق فقالوا لي: اشرب وتفيأ فقلت لست أفطر ثم جيء بي إلى دار إسحق بن إبراهيم فحضرت صلاة الظهر فتقدم ابن سماعة فصلى، فلما انفتل من الصلاة قال لي: صليت الظهر والدم يسيل في ثوبك فقلت قد صلى عمر وجرحه يثغب دماً) [٣].

ما أعظم هذا الداعية ؟ وما أندر هذا الداعي ؟ وما أقوم هذا السلوك؟

يا سبحان الله من توفيقه له في شدته ورخائه، ما موقف المجتمع أمام هذا السلوك النادر؟ وما ضخامة تأثير هذا السلوك عليهم حينما يرونه متمسكاً بمنهجه ومطبقاً له في أشد وأحلك الظروف؟

إنه بلاشك تأثير له شفافيته يسري كالضياء بين المجتمع وكالروح في أجسادهم، فإذا بفطرتهم وبقلوبهم وبأرواحهم تنجذب نحوه ينشرون منهجه بسلوكه، ومن أجل هذا نرى بأن هذا الرافد هو عصب الداعية لتأثيره على مجتمعه لأن فاقد الشيء لا

---

[١]) المناقب ص ١٧٧
[٢]) المناقب ص ٣١٧
[٣]) المرجع السابق نفسه ص ٣٢٨، والفيء ما كان شمسا فنسخه الظل، لسان العرب جـ ١ ص ١٩ انفتل أي انصرف، لسان العرب جـ ٤ ص ٢٨

يعطيه، ومن هنا نرى الإمام أحمد هو ومنهجه شيء واحد لا يكاد يفترقان علم وعمل، فكر وسلوك، كلام وتطبيق، في السراء والضراء، في المحنة والمنحة.

من أجل ذلك نراه قد التزم منهجه عندما أمره الواثق في عهده بعدم التحدث فنراه حتى في اختفائه قد التزم منهجه، يقول إبراهيم بن هاني: (اختفى عندي أحمد ابن حنبل ثلاثة أيام ثم قال لي اطلب لي موضوعاً حتى اتحول فإذا فعل أدتك وطلبت له يوضعا، فلما خرج قال لي: اختفى رسول الله في الغار ثلاثة أيام ثم تحول وليس ينبغي أن يُتَّبَع رسولُ اللهِ في الرَّخاء ويُتْرَك في الشدة)[١].

- وإذا نظرنا إلى منهجه اليومي وسلوكه العملي لوجدناه مطابقاً لمنهجه وهذا أدعى إلى التأثير في النفوس يقول عبدالله ابنه: (كان أبي يصلي في كل يوم ثلثمائة ركعة فلما مرض من تلك الأسواط أضعفته فكان يصلي في كل يوم وليلة مائة وخمسين ركعة، وقد كان قرب من الثمانين وكان يقرأ في كل يوم سبعاً يختم في كل سبعة أيام وكانت له ختمه في كل سبع ليال سوى صلاة النهار وكان يصلى عشاء الآخرة ينام نومة خفيفة ثم يقوم إلى الصباح يصلي ويدعو)[٢].

وربما يتبادر إلى الذهن ما دام يصلي هذه الركعات الكثيرة أنه كان لا يحسنها فإذا بالميموني يردّ ويقول: (ما رأيت مصلياً قط أحسن صلاة من أحمد بن حنبل ولا أشد اتباعاً للسنن)[٣].

وكان رحمه الله ملتزماً بمنهجه حتى وهو على فراش الموت فكان يصلي وهو قاعد ومضطجع لا يكاد يفتر، يقول المروذي: (وكان يصلي قاعداً ويصلي وهو مضطجع لا يكاد يفتر ويرفع يديه في إيماء الركوع)[٤]، وكان رحمه الله أثناء مرضه لا يرضى من أحد أن ينفق عليه حتى من أولاده فيروى بأنه (كان له في خريقة قطب فإذا أراد المشي أعطينا من يشتري له)[٥] وكان من شدة تمسكه بمنهجه بأن أمر أبناءه أن

---

[١]) المناقب ص ٣٤٩
[٢]) الحلية جـ ٩ ص ١٨١
[٣]) تهذيب الأسماء واللغات جـ ١ ص ١١٠
[٤]) تاريخ الإسلام للحافظ الذهبي ص٧٧
[٥]) المرجع السابق نفسه ص ٧٦

يخرجوا كفارة يمين عنه وقد قال لابنه صالح: (أنظر في خريقتي شيء؟ فنظرت فإذا فيها درهم، فقال: وجه اقتضى بعض السكان فوجهت فأعطيت شيئاً فقال وجه فاشتر تمراً وكفّر عني كفارة يمين وبقي ثلاثة دراهم)[١].

واشتد عليه المرض يوم الثلاثاء التاسع من ربيع وأُتِيَ له بطبيب فأدخل الطست تحته فرأى بوله دماً عبيطاً ليس فيه بول فقال: (هذا الرجل قد فتت الحزن والغم جوفه) [٢] فوصف له قرعة تشوى ويسقى ماءها فأحضرها عبدالله عندئذ يأتي ورع الإمام فيقول لابنه صالح: يا صالح قلت: لبيك، قال: لا تُشْوَى في منزلك ولا في منزل أخيك)[٣]، وفي هذه الأثناء أتي إليه بعض المتكلمين ليسلموا عليه كالفتح بن سهل وابن على بن الجعد وبعض القضاة فدخل ابنه عبدالله عليه وأخبره بخبرهم وهنا تأتي شدة التمسك بالمنهج فيقول لابنه لا تأذن لهم فحجبهم صالح: (وصار الفتح بن سهل إلى الباب ليعوده فحجبه وأتى ابن على بن الجعد فحجبه... وجاء قوم من القضاة وغرهم فلم يُؤْذَن لهم)[٤].

وأرسل إليه ابن طاهر حاجبه ليقرأه السلام وليخبره بأن أرسل المتطببين إليه، هنا يأتي التمسك بالمنهج أيضاً فقال: (هذا مما أكره وأمير المؤمنين قد أعفاني مما أكره)[٥] وكان الإمام أحمد في أثناء هذه الظروف يصلى قائماً ويمسكه ابنه ويركع به ويسجد ويرفعه ليتمم به صلاته يقول صالح: (لم يزل أبي يصلي في مرضه قائماً أمسكه فيركع ويسجد وأرفعه في ركوعه وسجوده) ودخل عليه مجاهد بن موسى فقال: (يا أبا عبدالله هذا الخلق يشهدون لك ما تبالي لو وردت على الله عز وجل يُقبّل يدَه ويَبْكِي وجعل يقول أوصني يا أبا عبدالله فأشار إلى لسانه)[٦].

واشتد عليه المرض في يوم الخميس فقال لابنه: (لا تبرح قد تغيّرت، فقلت: لا أبرح، وكنت أنام إلى جنبه فإذا أراد حاجة حركني، فأناوله وجعل يحرّك لسانه، ولم يئن إلا

---

[١] المرجع السابق نفسه ص ٧٦
[٢] المناقب ص ٤٠٦
[٣] الذهبي ص ٧٦
[٤] نفس المرجع السابلق ص ٧٦ ، ٧٧
[٥] مناقب الإمام أحمد ص ٤٠٥
[٦] نفس المرجع السابق ص ٤٠٧

في الليلة التي توفِّيَ فيها، فقال له ابنه: إنّه قرأ بأن طاووساً يكره الأنين[1]، فيقول لابنه: جئني بالكتاب الذي فيه حديث بن إدريس عن ليث عن طاووس أنه كان يكره الأنين فقرأ عليه فلم يئن)[2].

إنها لنعمة كبرى من الله على من يلتزم بمنهجه وهو أن الله يجعله في وعيه إلى آخر لحظة من حياته، وهكذا كان الإمام أحمد وهو في النزع الأخير يروي الحديث ويعقل كل ما يقول، فيروَى أنّه طلب من أبنائه أن يوضؤوه فلم يخللوا بين أصابعه فأشار إليهم أن يُخَلِّلوا بينهم يقول ابنه: واشتدت به العلة يوم الخميس ووضأته فقال خلل الأصابع) [3]، ولم يزل عقل الإمام ثابتاً واعياً لكل ما يقال وكان في خلال ذلك يقول: كم اليوم في الشهر؟ سئل عبد الله بن الإمام أحمد عقل أبوك عند المعاينة؟ فقال نعم كنا نوضؤه فكان يشير بيده، فقال صالح: إيش يقول؟ فقلت هو يقول: خلِّلُوا أصابعي فخللنا أصابعه ثم ترك الإشارة فمات بعد ساعة.

وهكذا كان سلوك الإمام أحمد مطابقاً لأقواله وأفعاله مطابقة لصفاته فأمسى شعلة مضيئة تسير على الأرض يستضيء الناس بها وتسير على نورها، واستطاع بسلوكه أن يجذب الأنظار إليه وأن تفهوا القلوب إليه، وان تنصت الآذان لصنائحه ، وأن يلتزم الإنسان بسلوكه فانتشر منهجه وأتى الناس إليه من كل فج عميق، وقال فيه أحدهم: (ما رأت عيني أفضل من أحمد بن حنبل وما رأيت أحد من المحدثين أشد تعظيماً لحرمات الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم إذا صحت عنده ولا أشد اتباعاً منه) [4].

ومن شدة حبهم له وانجذابهم نحوه حينما لمسوا التزامه بمنهجه شبهوه تيمناً برسول الله في سلوكه فقالوا: (لم يكن من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أشبه هدياً ولا سمتاً ودلا من عبد الله بن مسعود، وكان أشبه الناس بعبد الله بن مسعود علقمة وكان أشبه الناس بعلقمة إبراهيم النخعي وكان أشبه الناس بإبراهيم النخعي منصور

---

[1]) الذهبي ص ٧٦
[2]) مناقب الإمام أحمد ص ٤٠٧
المناقب ص ٤٠٦ ، (١)
[3]) البداية والنهاية جـ١٠ ص ٣٤١
[4]) المناقب ص ١٧٧

بن المعتمر وكان أشبه الناس بمنصور بن المعتمر سفيان الثوري وكان أشبه الناس بسفيان الثوري وكيع بن الجراح قال محمد بن يونس وكان أشبه الناس بوكيع بن الجراح أحمد بن حنبل)[1]

يجمع لنا الخلّال كل الوسائل السابقة ويصف لنا الإمام واستخدامه لها وعلاقته بمجتمعه ونشر منهجه فيهم وحبهم له فيقول: (كان أبو عبدالله لا يَجْهُل وإن جُهِل عليه احتمل وحلم، ويقول: (يكفي الله)، ولم يكن بالحقود ولا العجول، ولقد وقع بين عمه وجيرانه منازعة فكانوا يجيئون إلى أبي عبدالله فلا يُظْهِر لهم ميله مع عمه ولا يغضب لعمه ويتلقاهم بما يُعرَفُون من الكرامة وكان كثير التواضع يحب الفقراء، لم أر فقيراً في مجلس أعزَّ منه في مجلسه مائلاً إليهم مُقْصِراً عن أهل الدنيا، تعلوه السكينة والوقار، إذا جلس في مجلسه بعد العصر للفتيا لا يتكلم حتى يُسْأَلَ، وإذا خرج إلى مسجده لم يتصدر يقعد حتى انتهى به المجلس، وكان لا يمد قدمه في المجلس، ويكرم جليسه، وكان حسن الخلق دائم البشر لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ، وكان يحب في الله ويبغض في الله، وكان إذا أحب رجلاً أحب له ما يحب لنفسه وكره له ما يكره لنفسه ولم يمنعه حبه إياه أن يأخذ على يديه ويكفُّه عن ظلم أو إثم أو مكروه إن كان منه، وكان إذا بلغه عن شخص صلاح أو زهد أو قيام بحديث أو اتباع للأمر سأل عنه وأحبه أن يُجْرَى بينه وبينه معرفة، وأحب أن يعرف أحواله، وكان رجلاً فطناً إذا كان شيء لا يرضاه اضطرب لذلك يغضب لله لا يغضب لنفسه، ولا ينتصر لها فإذا كان في أمر من الدين اشتد له غضبه حتى كان ليس هو لا تأخذه في الله لومة لائم، وكان حَسَنَ الجوار يؤدي فيصبر ويحتمل الأذن من الجار[2]، وهكذا استخدم الداعية ما تيسر له من الوسائل وجنّدها في نشر دعوته وخاصة سلوكه التطبيقي.. وكأن الغرض منها واضحاً على لسان أحدهم حين يقول: (كنت أنظر إلى هديه وأخلاقه وآدابه)[3].

---

[1]) المناقب ص ٢١١

[2]) المناقب ص ٢١٨

[3]) المرجع السابق بنفسه ص ٢١٠.

والحق أقول بأن الإمام أحمد استخدم الوسائل استخداماً حسناً وجنّدها في خدمة منهجه بل لا أغالي إذا قلت: إنه جعلها كلها شيئاً واحداً هو سلوك الداعية في أقواله، في صفاته، في كفايته، في حركته وسكناته وتمسكه بمنهجه، وجعلها لا تنفصل عنه، بل (هو الوسائل والوسائل هو)، ومن هنا كان سلوكه هو الأثر الفعّال في نشر منهجه عن طريق اقتدائه بالسنة وبصاحبها صلى الله عليه وسلم.

ومن هنا تُرى وحدة المنهج والوسائل والسلوك، أتى له المنهج وأتت له الوسائل وأتى له نشر منهجه والغاية منه ظاهرة واضحة في الداعية الإمام.

الباب الرابع

ويبحث في مميزات منهج الإمام أحمد

ويشتمل على مدخل وثلاث فصول:

الفصل الأول: التمسك بالأصول الإسلامية الصحيحة.

١- تقديم الاستدلال بالنص على الاستدلال بالعقل.

٢- الاستدلال بالنصوص الشرعية الصحيحة.

٣- رفض التأويل العقلي – الكلامي.

الفصل الثاني: الإحاطة والأخذ بالحيطة والحذر.

المبحث الأول: الإحاطة.

١- الشمول والعموم

٢- التوازن

المبحث الثاني: الأخذ بالحيطة والحذر.

١- عدم الأخذ بالحيلة.

٢- عدم الأخذ بالرخصة.

٣- عدم الأخذ بالتقية.

الفصل الثالث: محاربة الواقع المخالف للدين.

١- عدم خضوع الدعوة الإسلامية لغير الله.

٢- محاربة البدع المخالفة للدين.

الفصل الأول

التمسك بالأصول الإسلامية الصحيحة

مدخل:

١- تقديم الاستدلال بالنص على الاستدلال بالعقل.

٢- الاستدلال بالنصوص الشرعية الصحيحة.

٣- رفض التأويل العقلي – الكلامي.

مدخل:

بعد هذه الجولة المثمرة –بإذن الله وتوفيقه– في المنهج الذي التزم به الإمام أحمد واستطاع عن طريقه أن يبين لنا أصول منهجه وخطواته التي عمل من أجل نشرها ونشرها بوسائله المتاحة بين مجتمعه تستطيع أن نلخص مما سبق كله المميزات (•) التي امتاز بها منهج الإمام عن غيره من المناهج وهي كالآتي:

الفصل الأول: التمسك بالأصول الإسلامية:

من أعظم مميزات منهج الإمام أحمد التمسك بالأصول الإسلامية الصحيحة، لأنه متبع لا مبتدع، وهذا يتمثل في:

•) يقول صاحب معجم مقاييس اللغة " الميم و الياء والزاي أصل صحيح يدل على تنزيل الشيء من الشيء وتزييله وامتازوا أي تميز بعضهم عن بعض ويكاد يتميز أي يتقطع وأماز الشيء أي انفصل عن غيره، (ج٥/ ص٨٨)، أي أن معنى كلمة (ميز) انفصل عن الشيء أو فصل بعض على بعض وهذا ما نجده في معظم كثرة اللغة يقول صاحب المحيط: (واستماز الشيء فضل بعضه على بعض.(جـ٢ ص ٢٩٩)

(١) تقديم الاستدلال بالنص على الاستدلال بالعقل:

لو تتبعنا ما سبق كله لوجدنا بأن الإمام يسير مع النص القرآني والسنة النبوية المطهّرة وأقوال الصحابة والتابعين، وأساليب اللغة العربية الصحيحة، والإمام بهذا يضع العقل في نصابه ومكانه الصحيح، ويحدد وظيفته التي خلق من أجلها في هذا المجال –وهي فهم النص وتفهُّمِه والعمل في دائرته– فيقول: (طاعة النبي في كتاب الله تعالى في ثلاثة وثلاثين موضعاً ثم قال: قال الله تعالى (وليحذر الذين يخالفون عن أمره) [١].

ونراه في ليلة وفاته يوصي كل من يدخل عليه ليودّعه يقول لهم: (عليكم بالسنة عليكم بالأثر عليكم بالحديث لا تكتبوا رأيَ فلانٍ ورأيَ فلانٍ) [٢].

ومن أجل هذا الغرض أفنى شبابه في جمع المسند ليقضي على القضية المصطنعة –الدخيلة علينا– قضية التعارض بين النقل والعقل الصحيح، ولذلك يقول أحد تلاميذه عنه: (سئل ستين ألف مسألة فأجاب فيها بأن قال حدثنا وأخبرنا)[٣].

إن وظيفة العقل ليست السيطرة على النص، وثنيه والتحكم فيه، لكي يطوعه على حسب ما يريد ولكن وظيفته أن يستوحي النصوص الإسلامية ويخضع لها ويعمل على تفهمها واستنباط الأحكام منها واستخراج حلول المشاكل فيها، من هنا حافظ الإمام أحمد على الشخصية الذاتية للفكر الإسلامي، وعدم تبعيته لغيره ومن المناهج الفكرية المعروفة للقضاء عليه، وليس معنى تقديم النص على العقل أن الإسلام يحجر على العقل كما ينهج أصحاب مدرسة الفكر الحر –لا– إنما الإسلام أعطي له الحرية الكاملة في مجاله الذي حدده له والذي خلق من أجله وهو الماديات والمحسوسات والقرآن الكريم ملئ بالآيات التي تحث على ذلك.

أما الدعوى القائلة بأن تقديم النص إلغاء للعقل فهي دعوى ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب حتى أن ظاهرها عذاب مكشوف ومعروف الغاية من وراء ذلك.

---

١) المنهج الأحمد جـ ١ ص ١٥٢ سورة النور جزء آية رقم ٦٣
٢) المنهج الأحمد جـ ١ ص ٢٧٨

[٣]) المناقب ص ١٤٢

إن الإسلام ونصوصه حرر العقل من عبودية التقليد وأمره بالنظر في ملكوت السموات والأرض وحثَّ على التفكر ليل نهار وأجَلَّه أيما إجلال لم يظهر في دين – إن صح هذا التعبير– من الأديان قبله.

ولكن إذا كان لكل حاسة من الحواس مجالها الذي تعمل فيه فالعقل من ضمنها وحاسة من الحواس –أليس كذلك– فله مجاله، ومجاله الذي يبدع فيه –بلاشك– هو مجال الحياة التطبيقية. وأما رجال الوحي والغيبيات فالعقل هنا قاصر فلابد أن يعمل في مجال النص ويأخذ ممن خلقه وأنزل النص.

إذن اتضح لنا خبث هذه الدعوى وماذا يُرَادُ من ورائها، ولنا أن نقول: لابد أن نحدّد مجال حرية الفكر إذا كان المراد به هو البحث في الماديات والمحسوسات فأهلاً وسهلاً والتقينا معاً سوياً ولا فضل لهم في هذا، وطبقها المسلمون الأوائل من قبلكم وحضارتهم شاهدة، وأنتم تشهدون بذلك، أما إذا أُرِيدَ به البحث في الغيبيات فقد بان غرضكم وظهر عجز العقل.

ومن هنا يظهر أثر الشَّعوبية والفكر المنحرف لتفجير الإسلام من داخله بأيدي أبنائه ووقوع التحريف فيه كما أوقعوا هم التحريف في كتبهم.

إن قضية **(حرية العقل)** على إطلاقه جد خطيرة يروج لها أناس معروفة اتجاهاتهم وميولهم إما جهلاً وأستغفر الله عن ذلك وأستبعده، أو عمداً وهذا هو المقصود والمراد.

ثم لنا أن نسأل هؤلاء وهؤلاء؟

هل اكتشف العقل جميع الماديات المحسوسة؟

إذا بالعقل نفسه يجيب عليهم ويكشف خبثهم ويقول: إن هناك مجالات كثيرة في المحسوسات لم يكتشفها العقل، هل استطاع العقل بعد إلى الآن –وإلى أن تقوم الساعة– أن يكتشف نفسه؟

بالتأكيد: لا

فكيف إذن يبحث في شيء أعظم منه؟

كيف يستطيع المحدود بالزمان والمكان والطاقة والسعة أن يفكر في اللامحدود؟ إنه والله من العبث الخبيث، كيف يستطيع العقل المخلوق المصنوع أن يتحكم في خالقه وأن يثني نصوصه على حسب ما يريد؟

إذن انقلبت الآية.

لذا نرى بُعْد وعُمْق نظر الإمام أحمد حينما قدم نصوص ربه وتفهّمَها بعقله ولم يقحم عقله في البحث عن الكونية، وتصدّى بعنف لهذا التيار وأبان عن غرضه حينما قال: (هم يختلفون في الكتاب مخالفون للكتاب مصرون على مفارقة الكتاب، يقولون على الله وفي الله وفي كتاب الله بغير علم، يتكلمون بالمتشابه من الكلام ويحدِّثون جهّال الناس يشبهون عليهم فنعوذ بالله من فتن المضلين)[1].

(٢) الاستدلال بالنصوص الشرعية:

ما دام قد حددنا فيما سبق تجديد مجال العقل، وما دام لم يقع تعارض بين النقل والعقل السليم، وأنها قضية مفتعلة فلابد إذن من الاستدلال بالنصوص الشرعية أولاً دون الاعتماد على العقل المجرد كلية، فالقرآن والسنة فيهما من الأدلة ما يغنيان عن أدلة الفلاسفة والمتكلمين، **أدلة النصوص** سهلة بسيطة تخاطب العقل والوجدان نابضة بالحركة والإقناع يفهمها كل إنسان على حسب ما قدّره الله له من فهم، أما غيرها تخاطب عقلاً بحتاً مجرداً –جامدة تنظر إلى الإنسان نظرة جزئية –من صُنع إنسانٍ، وكثيراً ما تستخدم للغاية لا للوصول إلى الحق والحقيقة مبنية على قالب معين دخيل على الفكر الإسلامي، تتحكم في النص الإلهي وتخضعه لها. **أما أدلة القرآن** فالعقل يجد فيها الراحة ويعمل في ظلالها **وأدلة العقل** تحتمل الخطأ والصواب وغالبها يحتمل الخطأ لأنها مبنية على الظنيات **وأما أدلة النصوص** فمملوءة بكل ما يريده هؤلاء من أقيسة وقضايا حقيقية يقينية سهلة بسيطة ليست مبنية على قالبهم المعروف ولا جامدة هل لهم بعد ذلك من عذر؟ هل اتضح الغرض إذن؟

---

[1]) الرد على الزنادقة والجهمية ص ٦.

ثم إن الذي يشكك في هذه القضية، ويستدل بالعقل أولاً ويقدمه على النص الشرعي فما وافق العقل يؤخذ به وما لم يوافقه إما أن يؤوله على حسب ما يريده أو أن يتركه أو يشكك فيه.

أليس يفهم من وراء هذا القضاء على الدين كله؟

أليس يفهم من وراء ذلك التشكيك في القرآن والرسالة والرسول؟

أليس يفهم من وراء ذلك –واستغفر الله– الشك في الله نفسه؟ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً

بلى هذا ما أفهمه –وأرجو أن لا أكون على صواب– ثم إنهم يقولون إن هذا هو الجمود بعينه ونرد بأن هذا هو التقدم والأصالة بعينها.

نرد ونقول: أخبرنا بصدق ما هي مكانة الفكر الإسلامي قبل إدخال هذه الخزعبالات فيه أو محاولة إدخالها؟

إذا بلسان التاريخ يرد عليهم ويقول: أن عصر الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين المهديين والدولة الأموية وزمنا يسيراً من الدولة العباسية إلى المأمون كان الفكر الإسلامي فكراً إسلامياً خالصاً –في عصر الرسول والخلفاء الراشدين– وشابه بعض الشوائب في عصر الدولة الأموية، إلا أن المسلمين استطاعوا أن يفتحوا البلاد والعقول والقلوب لأنهم عرفوا وظيفة العقل فوضعوها في مكانها الصحيح، ثم إن الاجتهاد الصحيح والفكر السليم لا يضع أمامه رأياً معيناً يلتزم به ثم يلوى ويثني رقاب النصوص حتى يسوقها إلى ما اعتنقه واعتقده ، ولكنه يستوحي النصوص ويستنبط منها الحكم لما يريد.

إن الإسلام يا قوم أتي لتغيير حياة وسلوك وأتي لإرشاد عقل الإنسان ومن هنا تكون مهمته تغيير وإحداث سلوك جديد طبقاً لإرادة الله ونصوصه، ومن هنا تخضع الحياة له، ومنها العقل وليس يخضع هو للحياة ولا للعقل.

ومن هنا نرى عمق وثقب فكر الإمام أحمد حينما نراه قد التزم بجميع آيات القرآن وجعل السنة شارحة ومبينة له وقضى على ما يسمى التعارض بين آيات القرآن

الكريم، والتعارض بين القرآن والسنة، وأخيراً على ما يسمى مشكلة الإنسان قضية العقل والنقل الدخيلة على الإسلام.

(٣) رفض التأويل العقلي – الكلامي:

رفض الإمام التأويل الكلامي لأن المتكلمين –ومن سار على دربهم– اتخذوا العقل أصلاً في التفسير مقدّماً على النص، فإذا ظهر تعارض –ظاهري– فيقولون النص إلى ما يوافق مقتضى عقلهم، على حسب قواعدهم، والإمام عكْسَ ذلك تماماً يتخذ النصوص أصلا والعقل متفهماً، ولا يتبادر إلى الذهن من وراء ذلك بأن الإمام قد وقف ضد المنهج العقلي، ولكنه وقف ضد طريقتهم واتخاذهم العقل أصلا، إذ لا تعارض عنده بين النقل الصحيح والعقل السليم، أخذ بالأدلة والمقاييس الشرعية لأنها المقدمة أصلاً، ولأنها عقلية أيضاً وبهذا أثبت بأنه أهل نظر ودراية بجانب كونه صاحب أثر ورواية.

فالإمام قد اتخذ القرآن والحديث النبوي نقطة البداية أصولاً بغير تأويل يخرج بهما من مدلولات ألفاظهما والمحافظة على التفسير بالمأثور عن الصحابة والتابعين إيماناً منه بأن الحجة العقلية الصريحة لا تنافيها الحجة الشرعية الصحيحة، وبأن الحجة الشرعية مقدّمة على الحجة العقلية، ثم إن هذه القضية تشغل بال المفكرين قديماً، وفي العصر الحديث خاصة في هذه الأيام الأخيرة.

ألم يعلموا بأن هذه القضية –في نظري– سبب جرَّ الوبال على المسلمين وهي الحرب التي استعملها أعداؤهم ضدهم إلى الآن، وفرَّقَهُم بها شيعاً وأحزاباً؟

لقد آمن بها البعض إيماناً في نظري –أعمي– وأصبحوا ينادون الآن بالعودة إلى منهج المعتزلة الفكري يتجلى ذلك واضحاً في مقال[١] خطير كتبه الأستاذ محمد عمارة تحت عنوان المعتزلة والقرآن يقول: (منهج عقلي جرئ في فهم القرآن عمره أكثر من ألف عام)[٢].

---

[١]) الهلال عدد خاص ديسمبر سنة ١٩٧٠ عنوان العدد القرآن نظره عصرية جديدة ص١٥٨.
[٢]) نفس المرجع السابق ص ١٥٨

ثم يطالب بشدة وبإلحاح بعودة هذا المنهج والعودة إليه وتطبيقه، وبيَّن لنا عناصره فيقول: (نحن إذا شئنا الحديث عن أبرز عناصر هذا المنهج الذي قدَّمه المعتزلة القائلون بالعدل والتوحيد، بصدد القرآن وتفسيره فإننا نستطيع أن نشير إلى سبعة عناصر نراها جديرة بالتقديم والإبراز:

١- خلق القرآن. ٢- العلاقة بين حجج العقل وبين حجج النقل في التفسير. ٣- قضية المحكم والمتشابه في آيات القرآن. ٤- تفسير الآيات بالسياق. ٥- تجديد معنى المصطلحات. ٦- الاستشهاد بالواقع المحسوس. ٧- الإلزام[١].

هذا هو المنهج الذي يطالب بتطبيقه والعودة إليه ماذا فيه من قوة؟ وماذا فيه من علم؟ اللهم إلا اتخاذ العقل هو الأساس يتحكم في النص كما يريده أعداء الإسلام.

أين قيمة هذا المنهج مع قيمة المنهج الذي التزم به الإمام أحمد وكان يفسّر به القرآن الكريم؟ ولذلك نراه -للأسف- يقول: إن المعتزلة رأوا في القول بقدم القرآن الاعتراف بوجود قديم آخر غير الله وهي شبهة وثنية وتعدد يتنافي مع عقيدة التوحيد)[٢].

نقول له من الذي قال بأن القرآن قديم. إن الإمام أحمد لم يقل ذلك، ولكنه قال بأن القرآن كلام الله غير مخلوق.

وأخطر فقرة في المقال يقول فيها: (إن ذلك يجعل للعقل الإنساني مجالاً أكبر إلى هذا الكتاب بالتفسير والتأويل) [٣].

لقد أوضح الغاية إذن من مطالبته بعودة هذا المنهج وهو إعطاء العقل مجالاً أوسع في القرآن.

أليس هذا يا سيدي اتهام صريح إلى الذين كانوا موجودين قبل المعتزلة؟

أي عقل يا أستاذي وأي مجال؟ ما المراد بالتفسير والتأويل؟

إذا كان تفسيراً بالمأثور فنحن لا نعترض، أما إذا كان تفسيراً بالهوى على حسب العقل، فهذا ما لا يقبله العقل نفسه، إذا كان سليماً صحيحاً، أو تأويلاً على حسب ما

---

[١] العدد المذكور ص ١٦٠
[٢] العدد المذكور ص ١٦٠
[٣] المقال المذكور ص ١٦١

يعتقده الإنسان مُسْبَقاً ويتخذه دليلاً وليس بدليل، أو حمل اللفظ على غير ظاهره لا لدليل فهذا للأسف –في نظري– لعب بكتاب الله، وهذا ما يريده هو بالضبط؛ لأنه يقول لنا بالحرف الواحد: (حقيقة هم يقدمون العقل –على النقل– ولكنه التقديم الذي لا يلغي النقل) [1].

هل بعد تقديم العقل على النقل شيء؟

هل بعد جعل العقل هو الأصل، والنص تابع له، يتصرف فيه كما يشاء مغزى للنص؟ اعتقد– في نظري– أنه غير محق في هذا.

وكما وجدنا هذا المقال نجد أيضاً صفحة الفكر الديني في صحيفة الأهرام الموافق[2]، في أربع حلقات متواصلة على مدار شهر كامل تواصل جملتها الإعلامية –كما تقول– لخدمة الفكر الإسلامي –فيما يبدو– وفي الظاهر والله أعلم بالسرائر.

تحت عنوان جذاب:

كيف يواصل الفكر الإسلامي عطاءه بعد أن أفلست فلسفات الغرب المادية؟

بعض المفكرين كان واعياً قال: كلاماً طيباً واقترح اقتراحات جديرة بالتسجيل والاحترام كفضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوي –والإمام الأكبر الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار.

ولكن نقف طويلاً أمام الحلقة الثانية التي يطالب فيها الدكتور يوسف الخفيف بالعودة إلى منهج المعتزلة الفكري، يا سبحان الله نفس الفكرة ونفس السلاح المستعمل في كل حين يطالب بتحكم العقل في النص للقضاء على البقية الباقية من الدين سيادة أستاذنا الدكتور ألم تعرف بأن العقل له مجاله كما أن للعين مجالها.

كنا نود –وكانت فرصة سانحة– أن تطالب أنت ومن أيدوك بالعودة إلى التمسك بمنهج الكتاب والسنة لتجميع الأمة بعد شتات، وللقضاء على خلافاتها بعد ليل طال

---

[1]) المقال المذكور ص ١٦١

[2]) ١٣ من صفر سنة ١٣٨٩ هـ
٢٠ من صفر سنة ١٣٨٩ هـ
٢٧ من صفر سنة ١٣٨٩ هـ
٥ من ربيع الأول سنة ١٣٨٩ هـ

ظلامه، وكنا نريد من سيادتكم أن نكشف للمبتدئين منا ألاعيب الاستعمار، وتبين الغرض من وراء اختيار هذا المنهج وتوجِّهُ سؤالاً خطيراً لهم ولنا ولسيادتكم، لماذا يهتم الغرب والمستشرقون بالذات بالطنطنة والدعاية لهذا المنهج العقلي الحر؟

فإذا وُجِّه هذا السؤال ووجد الإجابة في كلمات قصيرة عميقة هو وضع الدين تحت منظار العقل، ليتصرف فيه، وهذه هي الغاية التي يريدونها كمعول لإدخال في الدين ما ليس منه للقضاء عليه.

أوضح الغرض إذن؟

ثم إن هناك كلمة خطيرة في السؤال الموجَّه في الحلقات.

كيف يواصل الفكر الإسلامي عطاءه بعد أن أفلست فلسفة الغرب المادية؟

وهي بعد أن أفلست فلسفة الغرب المادية يريد منهجاً للماديات لا للمعنويات، ونحن نقول: يوجد عندنا أيضاً ذلك المنهج في القرآن، وكان من الممكن أن يكتشف خبث هذا السؤال، ونرده كيداً على نحورهم حينما يقول: نريد تطبيق منهج المعتزلة الفكري في الماديات كالطب والزراعة والهندسة.. وغير ذلك.

وبذلك نُفَوِّت الفرصة عليهم.

ثم إن مشكلة الفكر الحر وإفلاس الغرب في فلسفته هي مشكلة الغرب ذاته وليست مشكلتي هي مشكلة أوربية دماً ولحماً ومنشأ لها تقاليدها وظروفها التي نبعت منها عندما وقفت الكنيسة ضد تيار العلم المادي.

وهذا رد أيضاً على الدكتور –إبراهيم مدكور– لأنه يقول في نفس الصفحة: (مطلوب مسايرة الفكر الإسلامي للعلم) من الذي قال يا أستاذي بأن الفكر الإسلامي لا يساير العلم؟ هذا اتهام صريح منك بجمود الفكر الإسلامي.

إن أول آية نزلت هي العلم، والإسلام أتى للعلم وبالعلم، ولكن للأسف –كما يبدو لي– نقلوا نظرية الغرب ويريدون أن يطبقوها علينا، والغرب بذلك يقضي على الفكر الإسلامي بأيدي أبنائه.

الحقيقة أن مفكرينا خلطوا بين منهجين يجب التمييز بينهما هما:

المنهج الفكري للغيبيات وهذا مصدره الوحي ولا دخل للعقل فيه.

والمنهج الفكري للماديات وهذا هو مجال العقل وهذا ما أرشدَنا إليه القرآن في أكثر من سبعمائة آية فيه، ثم إن قضية التعارض بين عقل ونقل هي قضية –في نظري– مستوردة لا أساس لها في الواقع الإسلامي الصحيح لأن العقل هبة الله في الإنسان والوحي من عند الله خالق العقل ولا يعقل –بداهة– أن يقع التعارض بين شيء خلقه الله من أجل أن يتلقى وحي الله لهدايته وإرشاده.

وهذا ما قاله ابن تيمية بالنص يرد على هؤلاء فيقول: (إن اتفاق الأدلة الشرعية مع الأدلة العقلية، فالحق ما ورد بكتاب الله تعالى وسنة رسوله)[1]، وقد بيّن خطأ أصحاب النظر العقلي من فلاسفة ومتكلمين عندما قدموا النظر العقلي على الدليل الشرعي.

فقال: (وكل من خالف صحيح المنقول فقد خالف أيضاً صحيح المعقول، وكان بمنزلة من قال الله فيه: (وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير) وقد بيّن الرسول –صلى الله عليه وسلم– أصول الدين وفروعه بياناً كافياً وشافياً وظهرت البدع خروجاً عما جاء به إذا اتخذت كل فرقة أصولاً للدين)[2].

ومن التمسك بالنصوص أيضاً نرى الإمام قد التزم في منهجه بالحكمة والموعظة الحسنة كما ذكرنا ذلك عند ذكر منهجه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في باب الوسائل، في المبحث الثاني من الفصل الأول منه.

---

[1]) النبوات ص ١٢٨.
[2]) المرجع السابق نفسه ص ١٢٨ سورة الملك آية ١٠

الفصل الثاني

الإحاطة والأخذ بالحيطة والحذر

وينقسم إلى مبحثين :

المبحث الأول: الإحاطة.

١- الشمول والعموم.

٢- التوازن.

المبحث الثاني: الأخذ بالحيطة والحذر

١- عدم الأخذ بالحيلة.

٢-عدم الأخذ بالرخصة.

٣-عدم الأخذ بالتقية.

المبحث الأول : الإحاطة:

ومما يتميز به منهج الإمام الإحاطة من حيث المنهج ومراعاة الفطرة الإنسانية وهذا يتمثل في:

(أ)الشمول والعموم:

لا نقصد الشمول والعموم –بالنسبة لمنهج الإمام– بمعنى (رد الوجود كله بنشأته ابتداء وحركته بعد نشأته وكل انبثاق منه وكل تحور وكل تغيير وتطور فهذا الشمول والعموم ميزة للمنهج الرباني الذي أتى من عند الله سبحانه وتعالي)[1].

ولكن إذا نظرنا إلى منهج الإمام أحمد لوجدناه متبِعاً المنهج السماوي وعلى هذا يكون منهجه بمعناه السابق، لا دخل له فيه بأي حال من الأحوال.

ولكن بلا شك جاذبية الإمام للنصوص وقربه وبُعده عنها، وكيفية الأخذ منها والاستفادة من استنتاجها، وطريقته في استنباطها، هذا بلاشك طريقته ومنهجه وإن كان ملتزِماً من هذه الزاوية ننظر إلى شمول منهجه فنجده مشتملاً وشاملاً لجوانب الإسلام المختلفة لا انفصام بينها، والجانب العقدي لا ينفصل عن جانب العبادة والمعاملات والأخلاق، فالنظر إليه من هذه الزاوية نرى منهجه بحق يتصف بالعموم والشمول فلقد نظر إلى الإسلام كوحدة متماسكة، لا ينفصل ولا ينعزل بعضها عن

---

[1]) خصائص التصور الإسلامي ص ١١٠.

بعض، وهو بهذا ينقل المجتمع إلى العصر الأول عصر الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة ويُرَدّ بهذا على الذين جَزّءُوا الإسلام وعزلوا جوانبه بعضها عن بعض فضاع الارتباط الحيوي بينها، وأصبحت هناك مدارس واتجاهات مختلفة.

لذلك نرى في عصر الإمام تولى دراسة الجانب الاعتقادي المتكلمون ودراسة الجانب العملي سواء أكان في مجالات العبادة أم العلاقات الاجتماعية والمعاملات تولاه الفقهاء. وتولى أهل التصوف والأخلاق الجانب النفسي الأخلاقي.

وكل جماعة أعطت عن الإسلام صورة الجانب الذي تولت دراسته فضاع بذلك الارتباط الحيوي والتأثير المتبادل بين هذه الجوانب، مما أدى إلى تمزق وتشتيت النفسية والعقلية المسلمة، الأمر الذي ترتب عليه الجهل بالإسلام الحقيقي وإساءة الظن به[١].

مما جعل الإمام يربط بين جميع أجزاء الدين وأقسامه والعودة به إلى ما كان عليه فدرس الجميع كمنهج واحد على أساس الكتاب والسنة، ومن هنا جاءت ميزة اتصاف منهجه بالشمول والعموم.

(٢) التوازن:

لا نريد بالتوازن هنا معناه العام وهو (إيجاد توازن بين الكون والإنسان وتوازن بين جميع مكونات الإنسان بهذا من اختصاص ومميزات المنهج الرباني الذي أتى من السماء) [٢]. إنما أريد التوازن هنا عدم طغيان أي جانب من جوانب الإسلام المذكورة آنفاً في دراسته على الآخر، بمعنى أن يعتني بدراسة جانب معين دراسة عميقة ومستفيضة، وترْك الآخرين، أو دراستهما دراسة عابرة، وقطع الصلة بينهم جميعاً لا. إنني أريد أن يكون التوازن شاملاً للجميع والشمول متوازناً مع الجميع ليحُسّ ويشعر الإنسان بحلاوة الارتباط بينهم.

ومن الشمول والعموم والتوازن للمنهج يأتي –بداهة وتلقائياً– الشمول والتوازن بالنسبة لجوانب الإنسانية المختلفة المتعددة وهذا مراعاة للنظرية الإنسانية وعدم طغيان أي

---

[١]) قواعد المنهج السلفي ص ٤٧ بتصرف.
[٢]) خصائص التصور الإسلامي ١٣٦

ملكة أو جانب منها على الجانب الآخر لمراعاة جوانبها المختلفة وتوازن ملكاتها المتعددة ووقوعها تحت منهج واحد وهو منهج ربِّها.

المبحث الثاني: الأخذ بالحيطة والحذر

ومما يمتاز به منهج الإمام أحمد الأخذ بالحيطة والحذر وهذا يتمثل في:

- عدم الأخذ بالحيلة:

والحيلة مشتقة من التحول وهي: (نوع مخصوص من التصرُّف والعمل الذي يتحول فاعله من حال إلى حال)[١]. ثم استعملها العرف في: (سلوك الطرق الخفية التي يَتَوصّل بها الرجل إلى حصول غرضه بحيث لا يتفطن إليه إلا بنوع من الذكاء والفطنة فهذا أخص من موضوعها في أصل اللغة)[٢].

والتحريم في الحيل المحرمة، أما حيل الهروب من بين الكفار والقضاء عليهم أو تخليص مال الإنسان منهم أو حيلة للقضاء على رأس منهم فليست محرمة[٣].

لذلك نرى الإمام أحمد لا يأخذ بالحيلة المحرمة ويحرمها، ولذلك نراه حين سئل عمن حلف على يمين ثم احتال لإبطالها فقال: (نحن لا نرى الحيلة)[٤]. وقال بلفظ صريح: (من كان كتاب الحيل في بيته يفتي به فهو كافر بما أنزل على محمد – صلى الله عليه وسلم)[٥].

٢- عدم الأخذ بالرخصة:

ومن الحذر والحيطة عدم الأخذ بالرخصة، ويقول بأن الذي يأخذ بها يعتبر–في نظره– فاسقاً يقول عبدالله: سمعت أبي يقول: سمعت محمد بن يحيي القطان يقول:

---

[١] أعلام الموقعين جـ٣ ص ٢٤٠.
[٢] المرجع السابق نفسه جـ٣ ص ٢٤٠
الجزء الثالث كله ١٤١ : ٤٠٢ جـ ٤ ص ١٠٤ : ٤٠٢،
[٣] المرجع السابق نفسه ج٣ ص ٢٤٠
[٤] المنهج الأحمد جـ١ ص ١٧١
[٥] المرجع السابق نفسه جـ١ ص ٣٠٨

لو أن رجلاً عمل بكل رخصة بقول أهل الكوفة في النبيذ وأهل المدينة في السماع – يغني الغناء– وأهل مكة في المتعة أو كما قال لكان فاسقاً) [1].

ويرى بأن الذي يأخذ بها –يجتمع الشر فيه، ولذلك يقول: (لو أخذت برخصة كل عالم –أو ذلة كل عالم– اجتمع فيك الشر كله)[2].

ويبدو لي –والله أعلم– بأن الإمام رأيه هذا ينطبق على الذي يأخذ بكل الرخص في كل ما يريده، تخفيفاً عليه دون الحاجة الشرعية الداعية إلى الأخذ بها.

٣–عدم الأخذ بالتقية: [3]

ومن الأخذ بالحذر والحيطة –أيضاً– عدم الأخذ بالتقية لأنه في دار الإسلام وإنه لم يكره على الدخول في الكفر من أجل أن يأخذ بها للحفاظ على نفسه أو ماله.

ولذلك نراه قال كلمة الحق، إيماناً منه بوجوب تبليغ دعوته إلى الناس والعلماء والخلفاء، يتجلى ذلك واضحاً من أول لحظة أخذ فيها لِيَردّ على مسألة خلق القرآن فأجاب صراحة، ولم يأخذ بالتقية كما فعل البعض ولم يأخذ كذلك بالتمويه والتعمية كما فعل البعض الآخر ولكنه بجرأة قال: (كلام الله غير مخلوق ليس كمثله شيء وهو السميع البصير).

تتجلى عظمته حينما قيل له: (يا أبا عبدالله، إنْ عُرِضْتَ على السيف تجيب؟ قال: لا)[4]، علام المواربة واللف والدوران والنفاق لقد وضع أمامه حينما قال هذه الكلمة بأن الأجل والرزق والنفع والضرر بيد الله وحده وليس بأي يد مخلوق.

من هنا يعطي للدعاة من بَعْدِه درساً في البطولة والتضحية وبذل النفس والروح من أجل العقيدة، ولذلك نرى الإمام وقف ضد من أراد أن يثنيه عن عزيمته ويأخذ بها حفظاً على روحه وحفاظاً على أولاده، فلقد دخل عليه أحمد بن داود الحداد الواسطي

---

[1]) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص ١٥٨ " معنى الرخصة : الرخصة بضمه وبضمتين ترخيص الله للعبد فيما يخفه عليه والتسهيل القاموس المحيط جـ٢ ص ٣١٦

[2]) المرجع السابق نفسه ص ١٥٩

[3]) وقاه وقياً ووقاية وواقية صانه – والتوقية: الحفظ واتقيت الشيء وتقيته أتقيه، وأتقيه تقي وتقيه وتقاة حَذِرتُه القاموس المحيط، (جـ٤/ ص ٤٠٣).

[4]) المناقب ص ٣٢٨

يرجوه أن يأخذ بالتقية فيقول: (دخلت على أحمد الحبس قبل الضرب فقلت له في بعض: يا أبا عبد الله عليك عيال ولك صبيان، وأنت معذور، كأني أسهل له الإجابة، فقال لي أحمد بن حنبل: إن كان هذا عقلك يا أبا سعيد فقد استرحت) [١].

يا سبحان الله إنها العزة والإباء علام الضيم إذن والنفاق والرياء والخوف؟ لابد من كلمة الحق أن تقال ولابد للحق أن ينتصر، وإن كان فيه ضياع النفس والنفيس ابتغاء مرضات الله وحده. ولذلك حينما وجدوا بأن وسيلة العاطفة لم تنفع معه باستدرار عطفه على نفسه وأولاده.

لابد إذن من مناقشته في أحاديث الأخذ بالتقية ليأخذ بها، ولذلك نرى أصدقاءه دخلوا عليه وهو محبوس بالرقة، فجعلوا يذاكرون ما يروى في التقية من الأحاديث فقال أحمد: كيف تصنعون بحديث خباب (إن من كان قبلكم كان ينشر أحدهم بالمنشار ثم لا يصده عن دينه، فقالوا فيئسنا منه، ثم قال لهم: لستُ أبالي بالحبس ما هو ومنزلي إلا واحد، ولا قتلاً بالسيف)[٢].

إنها قوة الله ترعاه وتحفظه لأنه وهب نفسه لله فحفظها الله فلما سيق إلى الضرب يدخل تلميذه عليه ويرجوه أن يأخذ بالتقية –فيعرف غرضه– فيرد الإمام عليه كيف أصل هؤلاء؟ يقول المروذي والإمام بين الهنْبَازِين –أي الجلادين–: (يا أستاذ قال الله تعالى: (ولا تقتلوا أنفسكم) فقال أحمد: يا مروذي أخرج أنظر أي شيء ترى؟ قال: فخرجت إلى رحبة دار الخليفة، فرأيت خلقاً من الناس لا يحصى عددهم إلا الله والصحف في أيديهم والأقلام والمحابر في أذرعتهم، فقال لهم المروذي: أي شيء تعملون؟ قالوا: ننظر ما يقول أحمد لنكتبه، قال المروذي مكانكم، ودخل على أحمد وهو قائم بين الهنْبَازِين فقال له: رأيت قوماً بأيديهم الصحف والأقلام ينتظرون ما تقول: فيكتبون فقال: يا مروذي أضَلَّ هؤلاء كلهم أقْتُل نفسي ولا أُضِلُّ هؤلاء كلَّهم)[٣].

---

[١] المنهج الأحمد جـ ١ ص ٧٨

[٢] المناقب ص ٣١٦ الحديث أخرجه البخاري جـ ٩ ص ٢٦ كتاب الإكراه باب من أحبار الضرب والقتل والهوان على الكفر.

[٣] المناقب ص ٣٢٩ ، سورة النساء بعض آية ٢٩.

هكذا الداعية القوي في إيمانه المؤيّد من ربه يتمسك بكلمة الحق لا يحيد عنها، ولو أدى إلى هلاك نفسه، ولقد قاطع الإمام كل من أجاب في المحنة، ولم يجالسهم حتى أعز أصدقائه وصديق عمره، لأن الصداقة معيارها التمسك بالدين، فلقد قاطع يحيى بن معين لإجابته –في المحنة– ومناقشته للإمام في آية التقية والحديث اللذين اعتمد عليهما فيشرح الإمام للمروذي دليل يحيي بن معين –ويبين له وجه الصواب دون أن يرد على يحيى بن معين – ويعترف يحيى بعلم الإمام أحمد.

يقول المروذي: (جاء يحيي بن معين فدخل على أحمد بن حنبل وهو مريض فسلم فلم يرد عليه السلام، وكان أحمد قد حلف بالعهد أن لا يُكلِّمَ أحداً ممّن أجاب حتى يلقى الله عز وجل، فما زال يحيى يعتذر ويقول حديث عمار. وقال الله– (إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان) فقلَبَ أحمدُ وجهَه إلى الجانب الآخر فقال يحيى: أف، وقال: لا يُقبل لنا عذرا، فخرجت من بعده وهو جالس على الباب فقال أي شيء قال أحمد بعدي؟ قلت: قال لي يحتج بحديث عمار، وحديث عمار: (مررت بقوم وهم يسبونك فنهيتهم فضربوني، وأنتم قيل لكم نريد أن نضربكم فسمعت يحيى يقول: مر يا أحمد غفر الله لك، فما رأيت تحت أديم سماء الله أفقه في دين الله منك) [1].

ويفسر الإمام الآية على وجهها الصحيح –بالنسبة لوجهة نظره– فيقول عمه: قال أبو عبدالله: (قال الله تعالى: (إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان)، فالكره عندي النيل بالعذاب والضرب والقيد، فإذا نِيل بالعذاب كان ذلك كُرهاً، فأما الوعيد فقد قالوا: إنه كُره ولا أراه، حتى تنال بالعذاب من ضرب أو قيد، قلت: – أي عمه له– فالحبس كره؟ قال الضرب كره والقيد كره، فأما أن يتهدد ويقال له تفعل كذا فلا، حتى يُضْرَبَ وينال ذلك قد كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عمار وبلال، ومن كان معهم ينالون بالعذاب والضرب والجوع، ويصهرون في الشمس فصبر النبي صلى الله عليه وسلم ذلك لهم أن يعطوهم ما أرادوا عندما نالوهم بالعذاب، فأما غير ذلك فلا يعجبني ولا أرى إلا ذلك)[2].

---

[1]) المناقب ص ٣٨ سورة النحل بعض آية ١٠٦.

[2]) محنة الإمام أحمد بن حنبل ٦٩ وقد ذكر الإمام أحمد جميع الأحاديث الآتية في التقية وأخبر بأنه لا يجوز الأخذ بها إلا بعد الحاق الأذى والضر.

وكلام الإمام أحمد –في نظري– هو عين الصواب والحقيقة لأنهم –بعد– لم يُضرَبوا ولم يُسجَنوا بل تُوُعِّدوا ومن هنا جعلوا الخلفاء يتجرءون على غيرهم فكان الإمام يريد منهم جميعاً أن يقفوا موقفاً موحّداً ليهابهم الخلفاء، لذلك يقول كلمة ما زالت مضيئة على جبين الزمن: (لو كان صبروا وقاموا لله لكان انقطع الأمر وخافهم الرجل، ولكن لما أجابوا وهم عين البلد اجترأ على غيرهم)[١].

إنها كلمة حق وصدق، فلو كان العلماء وقفوا وقفة واحدة وأظهروا كلمة الحق ولم يخافوا في الله لومة لائم لما حدث ما حدث، وتلك هي مصيبة العلماء في كل عصر وحين.

ومن هنا لا صحة لكلام المستشرق الأمريكي باتون حينما يقول: (كان أحمد يلتمس دائماً لهم أي لون أجاب العذر استناداً على مبدأ التقية)[٢]، والرد أيضاً واضح على باتون وكشف زيفه إذا كان الإمام نفسه لم يأخذ بمبدأ التقية فكيف يلتمس العذر لمن أخذ بها؟ ولماذا قاطعهم إذن؟

ومن هنا يتضح لنا زيف وبطلان باتون.

وما دام الإمام لم يأخذ بها فبداهة سُجن ثم ضُرب وماذا يترتب على سجنه أو ضربه أو عدم أخذٍ بالتقية؟ بداهة تدل على أن لم يُجِب بخلق القرآن وهذا شيء ظاهر وواضح، وفي الوقت نفسه ردٌّ حاسمٌ على الجاحظ والمؤرخ الشيمي اليعتوبي اللذين يدّعيان بأن الإمام أجاب بخلق القرآن.

يقول الجاحظ: (قد كان صاحبكم –أي الإمام أحمد– يقول: لا تقية إلا في دار الشرك، فلو كان ما أقرَّ به من خلق القرآن كان منه على وجه التقية، فلقد أعملها في دار الإسلام وقد أكذب نفسه)[٣].

يرد الأستاذ عبد العزيز عبد الخالق على الجاحظ فيقول: (إن رواية الجاحظ تشتمل على أمرين متناقضين فهو في أكثر من موضع يؤكد استمساك الإمام أحمد برأيه في

---

[١]) أحمد بن حنبل إمام أهل السنة ص ٤٣٧
[٢]) أحمد بن حنبل والمحنة ص ١٢٤.
[٣]) المرجع السابق ص ١٤ مقدمة الأستاذ عبد العزيز عبد الحق..

أن القرآن غير مخلوق وهو استمساك وصفه –أي الجاحظ– بالعناد وقلة الاكتراث وشدة التصميم ولكنه ناقض نفسه، فلما عرض لموضوع التقية فنسب للإمام أحمد إقراره بخلق القرآن ولم أجد لذلك تفسيراً)[1]، ثم يرد على المؤرخ اليعقوبي فيقول: لكن المصادر العربية نراها كلها مجْمِعَة على أن أحمد لم يجب في المحنة.

ونحن بدورنا نرُد عليهما –علاوة على ما سبق– أن هذا الشيء بداهة معروف وبدون تفكير.

ونقول: إذا كان الإمام قد أجاب، فلماذا إذن السجن والضرب والتعذيب. هل من إجابة. للأسف لا، إنها العصبية المذهبية. وإذا كان الإمام قد أخذ بالتقية فلماذا تضربونه وتسجنونه؟ **أليس هذا ظلما على الإمام.**

فإما أن تجيبوا بأنه ضُرِبَ أو لم يُضرَب –بداهة– لا يستطيعون أن ينكروا الضرب والسجن إذن لماذا ضُرب؟ لابد أنه لم يأخذ بالتقية ولم يجب على خلق القرآن.

ويَرِد على الخاطر سؤال يفرض نفسه: لماذا قاطع الإمام أحمد من أجاب في المحنة ومن الجائز أنهم أجابوا مكرهين؟

فالجواب على لسان صاحب المناقب يقول: (فالجواب من ثلاثة أوجه:

أحدها: أن القوم تُوُعَّدوا ولم يُضربوا فأجابوا والتواعد ليس بإكراه. **الثاني:** أنه هجرهم على وجه التأديب ليُعلَم تعظيم القول الذي أجابوا عليه فيكون ذلك حفظاً لهم من الزيغ. **الثالث:** يقال إن معظم القوم لما أجابوا قبلوا الأموال وترددوا إلى القوم أي إلى الخلفاء وتقربوا منهم ففعلوا ما لا يجوز فلهذا استحقوا الذم والهجر) [2]. والحقيقة إذا نظرنا إلى هذه الإجابة لوجدناها إجابة منطقية وتدل –من وجهة نظري– على أن الإمام يريد من هجرهم الأمور الثلاثة الماضية كلها وليس واحدا منها، وإذا نظرنا إلى الوجه الثالث وهذا ما توقعه الإمام حينما ذكرنا موقفه من خلفاء عصره من سيطرة الخلفاء بالحفاوة والمال على من يدخلون عليهم إذا نظرنا لهذا الوجه بالذات وهو تجنيد الدعوة في خدمة السلطة نتصرف فيها على حسب ما تريده من فكر معين

---

[1]) أحمد بن حنبل و المحنة ص ١٥ مقدمة الكتاب.
[2]) المناقب ص ٣٩٠.

تؤمن به، بالإغراء بالمال والمنصب والسلطة وهذا ما رفضه أحمد، ويعتبر أحد مميزات منهجه.

وبالبحث فعلاً وجدنا من أجاب، استطاع أحمد بن أبي دؤاد أن يجنده لخدمة أغراض السلطة وعلى حسب الفكر الذي تريده ليتجلى ذلك في رواية طويلة حينما يقول ابن أبي دؤاد للمعتصم (يا أمير المؤمنين هذا يزعم يعني أحمد بن حنبل أن الله تعالى يرى في الآخرة والعين لا تقع إلا على محدود ، فقال له: أي المعتصم للإمام أحمد ما عندك في هذا؟ فقال يا أمير المؤمنين عندي ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال وما قال عليه السلام: قال ثنا محمد بن جعفر غندر قال ثنا شعبة عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بت أبي حازم عن جرير بن عبد الله البجلي قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة أربعة عشر من الشهر فنظر إلى البدر فقال: أما إنكم سترون ربكم كما ترون هذا البدر، لا تُضارون في رؤيته، فقال أي المعتصم لأحمد بن أبي دؤاد ما عندكم في هذا فقال انظر في إسناد هذا الحديث وكان هذا في أول يوم ثم انصرف فوجه ابن أبي دؤاد إلى علي بن المديني وهو ببغداد مملق لا يقدر على درهم فأحضروه فما كلمه بشيء حتى وصله بعشرة آلاف درهم وقال له هذه وصلك بها أمير المؤمنين وأمر أن يدفع إليه جميع ما يستحق عن أرزاقه وكان له رزق سنتين ثم قال له: يا أبا الحسن حديث جرير بن عبد الله في الرواية ما هو؟ قال صحيح قال: فهل عندك من شيء قال: يعفيني القاضي من هذا، فقال يا أبا الحسن هو حاجة الدهر ثم أرمه بثياب وطيب ومركب بسرجه ولجامه، ولم يزل حتى قال له في الإسناد: من لا يعتمد عليه ولا على ما يرويه –وهو قيس با أبي حازم– إنما كان أعرابيا بوَّالا على عقبيه، فقام ابن أبي دؤاد إلى علي بن المديني، فاعتنقه فلما كان من الغد وحضروا قال ابن أبي دؤاد: يا أمير المؤمنين يحتج بحديث جرير وإنما رواه عنه قيس بن أبي حازم وهو أعرابي بوّالاً على عقبيه، قال : فقال أحمد بن حنبل فعلمت أنها من علي بن المديني[1].

[1]) المناقب ص ٢٩١.

يقول صاحب المناقب معقبا على كلام بن المديني إن صح هذا عن ابن المديني فهو أمر عظيم لأنه إقدام منه على ما لا يعلم خلافه، فإن قيس بن أبي حازم من كبار التابعين وليس في التابعين، وليس في التابعين يفهم من أدرك العشرة المقدمين وروى عنهم غيره كذلك يقول أكثر أهل العلم [١]

وقال عنه أبو داود سليمان بن الأشعث روى عن تسعة من العشرة، ولم يرو عن عبد الرحمن بن عوف، وروى عن خلق كثير من الصحابة ولم يعبه أحد بشيء ومن فعل مثل هذا يستحق الهجر[٢].

ولذلك حدث فعلاً أن هجره الناس –علي بن المديني– من وراء قولته هذه التي باع فيها دينه بدراهم معدودة فلقد قاطعه إبراهيم الحربي وآخرون[٣]. وللتأكيد من هذا الحادث رجعت إلى صاحب ميزان الاعتدال فوجدته يقول كلاماً طيباً عن قيس بن أبي حازم فيقول: ثقة حجة كاد أن يكون صحابياً وثقه ابن معين والناس... ثم يقول من آخر حديثه عنه: أجمعوا على الاحتجاج به ومن تكلم فيه فقد أذى نفسه، نسأل الله العافية وقد قال معاوية بن صالح عن ابن معين كان قيس أوثق من الزهري [٤]

انظر وتمعن معي كيف فعل المال فعلته؟ وكيف سحر وفتن بعض من أجاب في المحنة؟ وكيف جنَّد ابن أبي دؤاد بعض النفوس المريضة لتجنيد أفكارهم في خدمة السلطة وخضوعهم كلية لما يريدون وهذا ما كان يخشاه أحمد بن حنبل ووقف بصرامة وشدة وأعلن لا سلطان للدولة على الدين تتحكم فيه على هواها وما تريده ولكن الدولة تخضع للدين وتعمل به وتأخذ منه وبذلك جعل الدعوة لا تخضع إلا لله ولذلك نرى ابن المديني بعد ذلك إذا رأى في كتاب حدثنا عن أحمد قال: (اضرب عن هذا ليرضي به ابن أبي دؤاد) [٥]، ثم انظر إلى التناقض الموجود في كلام ابن المديني حينما أخبر أن الحديث صحيح ، ثم بعد أن فعل المال فعله نراه قد تعمد الكذب.

---

١) المرجع السابق نفسه ص٢٩٢.
٢) المناقب ص ٢٩٢.
٣) المرجع السابق نفسه ص ٢٩٢ بتصرف.
٤) (ج٣ / ص ٣٩٢).
٥) المناقب ص ٣٩٣.

ولنا أن نتساءل هل كان هناك دعاة وقفوا موقف ابن حنبل؟

نعم لقد كان هناك أبطال وقفوا موقفه وأدوا ما يجب عليهم نحو دينهم، مثل ... بن مسلم قطع رزقه وكان خمسمائة درهم كل شهر، قال: (وفي السماء رزقكم وما توعدون) [١]. ومنهم أبو نعيم بن دكين سجن ومات مسجونا سنة ثمانية وعشرين ومائتين من الهجرة، ومنهم أبو يعقوب يوسف بن يحيى البويطي سجن حتى مات في سجنه سنة اثنين وثلاثين ومائتين من الهجرة. ومنهم محمد بن نصر بن مالك بن الهيثم الخزاعي ضرب عنقه وآخرون[٢].

يا سبحان الله كان في أول الدولة كان الذي يقول بأن القرآن مخلوق كان يطاح برأسه كما أخبر بذلك هارون الرشيد نفسه[٣]. وفي سهو أبنائه وأحفاده تقلب الآية.

وإذا كان هؤلاء الدعاة أدوا واجب الدعوة فلم بالذات تمادت الدولة في إيذاء الإمام أحمد لابد إذن من سبب؟

السبب بدهي ومعروف وهو شدة الإمام أحمد وتمسكه بمنهجه ووقوفه بصلابة وعزم ضد أي انحراف في المنهج الإلهي ولغزارة علمه ولحب مجتمعه له، يقول ابن الجوزي: وإنما كان المقصود أحمد بن حنبل لجلالة قدره وعظيم موقعه) [٤].

ويخبرنا الإمام محمد بن نوح –زميل الإمام في القيد– بصراحة لماذا أحمد بالذات؟ فيقول: للإمام أحمد: يا أبا عبد الله إنك لست مثلي أنت رجل يقتدى به، وقد هيأ الخلق أعناقهم لما يكون منك فاتق الله وأثبت لأمر الله[٥].

ولذلك يقول: (إن رجعت عن مقالتك ارتددنا) [٦].

وهكذا لم يأخذ الإمام أحمد بالتقية لأنها لا تكون –كما يقول الشيخ أحمد شاكر– إلا للمستضعفين الذين يخشون أن لا يثبتوا على الحق والذين ليسوا بوضع القدوة للناس

---

[١] الذاريات الآية ٢٢ .
[٢] انظر أسمائهم بالتفصيل بالمناقب، ص٣٩٣ - ٤٠١
[٣] المرجع السابق نفسه ص ٣٠٨.
[٤] المرجع السابق نفسه ص ٤٠١.
[٥] المناقب ص٣١٥ .
[٦] المرجع السابق نفسه، ص ٣٣٩.

هؤلاء يجوز لهم أن يأخذوا بالرخص وأما أولوا العزم من الأئمة الهداة فإنهم يأخذون بالعزيمة ويحتملون الأذى ويثبتون في سبيل الله، يقول: ولو أنهم أخذوا بالتقية واستساغوا الرخصة لضل الناس من ورائهم يقتدون بهم ولا يعلمون أن هذا تقية وقد أتي المسلمون من ضعف علمائهم في مواقف الحق لا يصدعون بما يؤمرون[1].

[1]) ترجمة الإمام أحمد من تاريخ الإسلام، ٤٩ هامش.

الفصل الثالث

مجابهة الواقع المخالف للدين

١- عدم خضوع الدعوة الإسلامية لغير الله.

٢- محاربة البدع المخالفة للدين.

ومما يتميز به منهج الإمام أحمد أنه يجابه الواقع المخالف للدين وهو يتمثل في:

١- عدم خضوع الدعوة الإسلامية لغير الله.

لقد رفض الإمام عكطاء الدولة له وعدم تولي القضاء ووقف بصلابة ضد قضيتي خلق القرآن وعدم رؤية الله يوم القيامة، وكذلك رفض تمني المعتصم أن يكون معه لغاية هو يريدها وكذلك تمنى المتوكل أن يكون الإمام أحمد معلماً لابنه.

رفض كل ذلك لأنه يعرف الغرض والهدف من ورائها وهو سيطرة الخلفاء عليه بالمال ثم بعد ذلك الوصول إلى السيطرة على فكره ودعوته بل وتجنيدهل لتحقيق ما يريدون الوصول إليه من أهداف وغايات هم يميلون إليها، كما اتضح لنا ذلك مع ابن المديني في الميزة السابقة ... ...

وبين الإمام هذا الغرض الخبيث اللئيم واستطاع الخروج منه ووقوفه وقفة شامخة لعدم سيطرة الدولة على دعوته لتحكم فمنها يقول: إني رأيت الناس يبيعون أديانهم ورأيت العلماء ممن كان معي يقولون ويميلون فقلت من أنا؟ من أنا؟ وما أقول لربي غداً إذا وقفت بين يديه جل جلاله فقال لي بعت دينك كما باعه غيرك؟ ففكرت في امري ونظرت إلى السيف والسوط فاختبرتهما وقلت إن أنا مت صرت إلى ربي عز وجل فأقول له: دعيت إلى أن أقول في صفة من صفاتك مخلوقة فلم أقل فالأمر إليه فإن شاء عذب وإن شاء رحم ثم قال: ما كنت أبالي لو تلفت[١].

ولذلك نرى الإمام مقتنعاً بما قام به اقتناعاً تاماً.

إذ أدى وظيفة على خير وجه تاركاً الأمر لله وحده ولذلك يقول: (ظننت أني قد أعطيت من نفسي المجهود والله أعلم) [٢]. ومن مجابهة الواقع للدين.

٢- مخالفة البدع المخالفة للدين:

١- تعريف البدعة:

---

[١]) المنهج الأحمد، (ج١/ ص ١٣٧).
[٢]) محنة أحمد بن حنبل، ٦٩، إسحاق حنبل.

يقول الراغب الأصفهاني في تعريفها لغة: (بدع الإبداع إنشاء صنعة بلا احتذاء واقتداء وإذا استعمل –في الله– فهو إيجاد الشيء بغير آلة ولا مادة ولا زمان ولا مكان، وليس ذلك إلا لله، والبدعة في المذهب: إيراد قول لم يستنّ قائلها وفاعلها فيه بصاحب الشريعة)[١].

ويقول صاحب المصباح: (بدعة اسم من الابتداع كالرفعة من الارتفاع ثم غالب استعمالها فيها هو نقص في الدين أو زيادة) [٢].

أي أنها بالنسبة لله عز وجل الخلق على غير مثال سابق، وتكون بالنسبة للناس زيادة في الدين أو نقص فيه أو فعل شيء يلتزم فيه الإنسان بصاحب الشريعة.

٢– تعريفها في الاصطلاح.

لها عدة تعريفات منها:.

١– طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها المبالغة في النسبة لله [٣]، هذا رأي من لا يدخل العادات في معنى البدعة.

٢– طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يُقْصَد بالسلوك عليها ما يُقْصَد بالطريقة الشرعية [٤].

٣– إحداث أمر في الدين يشبه أن يكون منه وليس منه[٥]

٤– اعتقاد ما ليس منه[٦]

ولا نريد أن ندخل في تفصيلات معقدة حول اختلاف العلماء في أقسام البدعة، والبدعة الحقيقية والإضافية، وهل هناك بدعة حسنة أم لا، والخلاف الواسع بين العلماء في هذا فمن أراد المزيد من ذلك فليرجع إلى[٧] ولكن ما يعنينا هو تهعريف

---

[١] ص٣٦.
[٢] ص ٥٠.
[٣] الاعتصام، ٣٦٠ – ٣٧٠ للشاطبي.
[٤] المرجع السابق نفسه، ص٣٦٠ – ٣٧٠.
[٥] مقدمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ص٤٦، لأبي بكر الخلال تحقيق الأستاذ عبد القادر أحمد عطا.
[٦] المرجع السابق نفسه، ص ٤٦.
[٧] الاعتصام ص ٣٦٠ – ٣٧٠ ، ومقدمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص٤٦، والسير والمبتدعات ، والإبداع في مضار الابتداع.

الإمام أحمد لها فيقول: في تعريف البدعة: (إحداث شيء لم يكن موجوداً في عصر الصحابة والتابعين) [1].

أي أن الإمام يرى كل ما يخالف الكتاب والسنة وما كان عليه الصحابة والتابعون في أمور الدين فهو بدعة، إذن البدعة محصورة في في الأمور الدينية، وبناء على هذا كل ما استحدث في الماديات واخترع في المحسوسات من أجهزة علمية تسهّل سُبل الحياة للناس فهذا ليس ببدعة، هذا هو المجال الذي حث الإسلام العقل على الدخول فيه بكل ثقله، واستكشاف نعم الله تبارك وتعالى في الكون تجنيدها لدينه ولخير الناس، وحينما انتشرت البدعة وعم البلاء قام بعض الغيوريون على دينهم من أنصار الدعوة الأحادية في القضاء على البدعة ومضارها.

وبداهة حينما آلت الإمامة للإمام أحمد هب مسرعاً وأصبح حرباً على البدعة وأصحابها ولذلك يقولون عنه: (أتت له الدنيا فأباها والبدع فنفاها)[2].

وإذا تتبعنا الإمام أحمد في نفيه للبدعة لوجدناه نفاها نفياً شمولياً، فلقد حارب وبين البدعة وخطرها في كل شيء فنفاها عن القرآن ونفاها عن السنة والأخلاق والتصوف أي احتفظ بالأصل والأساس هو الكتاب والسنة وما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعون وهذا مقياس دقيق وصحيح استطاع به أن ينفي البدعة عن كل ما علق واستحدث في الدين وليس منه، ومن هذا المنطلق ومن هذه الرؤية البعيدة للإمام سأبين رأيه في بعض البدع المستحدثة في عهده والتي لها صلة وثقة بعهدنا وما زالت موجودة إلى الآن في عصرنا الحديث.

الغناء

إن الإسلام دين الجد والعمل وفي الوقت نفسه دين الوجدان والعاطفة يعطي لكل مقوم من مقومات الإنسان ما يروي ظمأه ويشفي غليله، يقوّم الغريزة ولا يقاومها لذلك نرى المسلم يعيش في ظله سعيداً مطمئناً مستريح النفس والجسد.

---

[1]) المجددون في الإسلام ص ١٣١.
[2]) المناقب، ص ١٣٢.

وإذا نظرنا إلى راحة المسلم وسعادته وفرحه وحزنه لا نجده منفعلاً من نفسه بل ينفعل على حسب أوامر دينه لا يفرح إلا إذا أمره دينه ولا يحزن إلا إذا ارتكبت حرمات دينه ومن هنا لا تؤثر عليه أية مثيرات خارجية خارجة عن دينه وعن نفسه، ولذلك نرى المؤمن يعيش متوازنا في الحياة سعادته منبعثة ونابعة من داخل نفسه بشفافيتها وبقربها أو بعدها عن منهج ربها.

من هنا نرى الإسلام قد حرم المؤثرات الخارجية التي تؤثر على مقومات المسلم أو إحدى مقوماته كتحريم الخمر مثلاً أو الزنا ومن الأشياء التي حرمها الإسلام الغناء وما يتعلق به من طبل وضرب على دفوف ونفخ في مزمار لأنها في الحقيقة تثير الغريزة ولا تشفى عليها تؤجج نارها ولا تطفئ ظمأها لأن الذي يغني ليس في الحقيقة إلا مريضا لا كما يدعي البعض بأن الإنسان يجد فيه الراحة والسعادة لأنه الإنسان إذا شعر بالسعادة تنبع من داخل نفسه لا تحتاج إلى من يغني له وينفخ في مزمار من أجل أن يسليه ثم هو إماتة وقت وإضاعة عمر وقتل نفوس –وإن كانت حية– وفناء مال ثم ما الفائدة؟ لا نجد.

من أجل ذلك نرى الإمام أحمد حينما سأله ابنه عبد الله عن الغناء فقال: (الغناء ينبت النفاق في القلب لا يعجبني) [1].

والإمام يرى أن من يفعله هو من الفساق فلقد قال لابنه عبد الله: حدثني إسحاق ابن عيسى الطباع قال سألت مالك بن أنس عما يترخص فيه أهل المدينة من الغناء فقال: إنما يفعله عندنا الفساق) [2].

الطنبور (•)

يرى الإمام أبن يُكسر فلقد قام بنفسه بذلك يقول عمر بن صالح: (رأيت أحمد بن حنبل مر به عود مكشوف فقام فكسره) [3].

---

[1]) الأمر بالمعروف زوالنهي عن المنكر، ص ١٠٨.
[2]) المرجع السابق نفسه ، ص١٥٨.
•) آلة من آلات الملاهي وهي على وزن فنعول بضم الفاء فارسي معرب ، المصباح، ص٤٣٥.
٣) الأمر بالمعروف زوالنهي عن المنكر، ص ١٤٢.

الطبل

كان الإمام يكرهها ويرى تكسيرها ، يقول حنبل سمعت أبا عبد الله : (قال أكره الطبل وهو الكوبة نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم) [١].

يقول لتلميذه أبي بكر المروذي: (إن قدرت على كسرها فاكسره) [٢].

المزمار

يرى الإمام كراهته أي تحريمه لأن كلمة **(كره)** عنده تعني تحريمه ومثلها –لا يعجبني– سأله رجل عن الذي ينفخ في المزمار فقال: أكرهه[٣].

الدفوف

يرى الإمام أحمد كراهة بيعها (حرمة بيعها) وكذلك يرى كسرها قال ذلك حيتنما سأله إسحاق بن منصور في بيع الدفوف فيقول: فكرهه ثم قال الإمام أحمد: اذهب إلى حديث إيبراهيم كان أصحاب عبد الله يستقبلوهن الجواري في الطريق معهن الدفوف فيحرقونها وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (فصل ما بين الحلال والحرام ضرب الدف[٤].

وإذا كان ضرب الدف من أجل عرس أو بناء أو إملاء فيجوز بشرط الالتزام وعدم الاختلاط فلقد سئل : ما ترى في الناس يحركون اتلدف في إملاك أو بناء بلا غناء فلك يكره ذلك[٥]..

---

[١] المرجع السابق نفسه، ص ١٤٤.
[٢] المرجع السابق نفسه، ص ١٤٤.
[٣] المرجع السابق نفسه، ص ١٦١.
[٤] المرجع السابق نفسه ص ١٤٧. (الحديث أخرجه النسائي (ج٦/ ص١٠٤) إعلامن النكاح بالضرب والدف – الدف أخرجه الإمام أحمد في مسنده (ج٣/ ص٤١٣)، وأخرجه البخاري بمعناه (ج٧/ ص٢٥) باب ضرب الدف في النكاح.
[٥] المرجع السابق نفسه ص ١٣٩.
(الحديث)

وكذلك جوز الإمام الغناء في العرس والعيدين فقط وما عداهما فهو حرام سأله جعفر بن محمد عن حديث الزهري عن عروة عن عائشة، وهشام عن أبيه عن عائشة أن دوارٍ يغنين غناء الركب – آتيناكم آتيناكم.. [١].

إذن تحجوز الرخصة في الغناء في العرس والعيد، وبشرط أن يكون الغناء غناء الركبان – (أتيناكم أتيناكم...) وتليس غناء التطريب، ومخاطبة الغرائز وإثارة الشهوة وبشرط أن تكون المغنيات من الجواري ومع عدم الاختلاط، ومما يدل على ذلك ما أخرجه النسائي عن عامكر بن سعد قال دخلت على قرظة بن كعب وأبي مسعود الأنصاري في عرس وإذا جوار يغنين فقلت: أي صاحبي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بدر يفعل هذا عندكم؟ فقالا: اجلس إن شئت فاسمع معنا وإن شئت فاذهب فإنه قد رخص لنا في اللهو عند العرس[٢].

ومما أخبر به جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة: (أهديتم الجارية إلى بيتها قالت: نعم قال : فهلا بعثتم معهم من يغنيهم يقول: أتيناكم أتيناكم فحيونا نحياكم.. فإن الأنصار فيهم غزل) [٣].

وإن كان بغير الصفة والشروط المذكورة آنفاً فهو حرام وينكره الإسلام إنكاراًً شديداً فلقد روي عن أبي أمامة أن رسول الله صلى الله هعليه وسلم قال: (لا تشتروا القينات ولا تبيعوها ولا خير في تجاراتهن وثمنهن حرام) [٤]. وعلى ذلك فلا حجة لمن يجوز الغناء استناداً إلى سكوته صلى الله عليه وسلم عن غناء الجاريتين عند أم المؤمنين رضي الله عنها وسكوته عند الجواري اللاتي غنين له من بني النجار، لأن هذا الغناء هو غناء الركبان، وإن في العرس والعيد فقط بشروطه المذكورة آنفاً.

الهجاء

---

[١]) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ص ١٦٤.
[٢]) سنن النسائي (ج٦/ ص١٠٩) باب اللهو والغناء عند العرس.
[٣]) أخرجه اللإمام أحمد في مسنده (ج٣/ ص ٣٩١)، مسند سيدنا جابر بن عبد الله والشاهد نحياكم والصحيح (نحييكم).
[٤]) الحديث أخرجه الترمذي (ج٤/ ص٥٠٢ – ٥٠٣)، وابن ماجة (ج٢/ ص ٧٣٣).

يرى الإمام إذا كان الهجاء لمجاهدة المشركين ولإعزاز الدين فهو مطلوب فقد أخرج في مسنده (أهجو بالشعر ، فإن المؤمن يجاهد بنفسه وماله) [١].

وأما إذا كان الهدجاء لأغراض شخصية فهذا ما لا يرضاه الإمام أحمد فقد سأله صالح عما يروى: من روى هجاء فهو أحد الهَاجين، فقال: لا يعجبني أن يروى الهجاء) [٢].

القراءة بالألحان

يخبرنا الإمام أحمد سابقاً بأن المسلمين أجمعوا على مصحف سيدنا عثمان بن عفان، وأجمعوا كذلك على قراءة قريش فيقول: (أجمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على هذا المصحف) [٣].

ومن جلالة عظمة الرقآن وقوة بيانه من نفسه لابد من ترتيله ترتيلاً حسناً أي لابد من مراعاة وقاعد التجويد الأساسية فيه فلا يخرج القارئ عنها ولا يتغنى بالقرآن، لأن القرآن أعظم من هذا ولأنه منهج الله إلى خلقه فلابد لقارئه أن يلتزم الوقار والسكينة في ترتيله. أما الخروج بحروف القرآن عن قواعد التجويد والتغني بألفاظه كما هو موجود الآن أيضا فالإمام يراها بدعة، فلقد سءئل عن القراءة المعتعمّدة بالألحان فقال: (بدعة لا تسمع) [٤].

وبين لنا سبب حكمه هذا حينما سأله تلميذه أبو الفضل عن ذلك فقال: (يا أبا الفضل اتخذوه أغانيا اتخذوه أغانياً) [٥].

ويبين لنا سببا آخر حينما سأله سائل ما تقول في القراءة بالألحان ؟ فقال لسائله: ما اسمك قال محمد. قال: فيَسُرُّك أن يقال لك يا موحاماد مودود) [٦].

---

[١]) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ص ١٨٤. والحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده (ج٣/ ص ٤٦٠) مسند جابر بن مالك.

[٢]) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ص ١٨٤. ويبدو لي والله أعلم أن صالحاً سأله عمن يروي هجاء أحد الهجائيين.

[٣]) المنهج الأحمد (ج١/ ص٢١٢).

[٤]) المرجع السابق نفسه ، (ج١/ ص ١٧٢).

[٥]) المرجع الستابق نفسه (ج١/ ص ٣٠٧).

[٦]) المرجع السابق نفسه (ج١/ ص٣٠٣).

هذا إذا كان القارئ متعمداً أما إذا كان طبعاً له كأن يكون هناكط عيب في لسانه أو صوته جهل بطبعه فلا بأس فلذلك نراه يقول عن القراءة بالألحان بقوله محدث: (إلا يكون من طباع الرجل) [١].

ولذلك نراه يوجه نصائح غالية للقراء يلتزمون بها في قراءاتهم فيطلب منهم أن يقرءوا القرآن من غير تكلف ولا تصنع فيقول: (يحسنه بصوته من غير تكلف) [٢]. ثم يبين لهم ما المراد من تزيين القرآن بالصوت حينما سأله ابنه صالح عن (زينوا القرآن بأصواتكم) ما معناه؟ قال: التزيين أن يحسنه) [٣].

أي أن تزيين القرآن بالصوت هو تلاوته وترتيله على حسب قواعد التجويد المعروفة ولا يتكلف فيها، ولا يتغنى به.

يبين للقراء معنى (من لم يتغن بالقرآن فليس منا) فيقول: يرفع صوته فهذا معناه إذا رفع صوته فقد تغنى به[٤]. أي يجب رفع الصوت في المواطن التي تدعو إلى القوة والتأثير بالقراءة فعند الآيات التي فيها بشرى يتأثر بها وكذلك التي للعذاب والعقاب يتأثر بها ويظهر الحزن على صوته، ويرى الإمام أحمد إذا خالف القارئ قواعد التجويد وتغنى بالقرآن عن عمد وتعمد بدعة ووقف بصلاته فعندها نراه يقف بشدة ضد من يقرأ بقراءة الإدغام أو الإمالة، ولذلك حينما شئل عن الإدغام نراه قد كرهه[٥].

وسئل عن الإمالة في (والضحى، والشمس وضحاها، فقال: أكره الخفض الشديد والإدغام) [٦].

أي الإدغام الشديد في غير موضوعه وكذلك الإمالة الشددية في غير موضعها ومن نراه يكره القراءة بقراءة حمزة لإدغامه في غير المدغم، ولإظهار المدغم مثل إظهار

---

[١]) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ص١٦٩.
[٢]) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص ١٧٠.
[٣]) المرجع الاسبق نفسه، ص١٧٠.
[٤]) المرجع السابق نفسه، ص ١٧٥.
[٥]) المنهج الأحمد (ج١/ ص٢٢٨).
[٦]) المرجع السابق نفسه، (ج١/ ص٢٢٨).

الألف واللام في الرحمن الرحيم، ولذلك حينما نراه سئل عن قراءة (حمزة) فقال: لا يعجبني وكرهه كراهة شديدة) [١].

ويبينم لنا سبب كراهته لها فلقد سأله سائل: أتكره قراءة حمرة فقال: نعم أكرهها أشد الكراهية قيل: وما تكرهه فيها، قال: هي قراءة محدثة ما قرأ بها أحد، إنما هي إيه وآه) [٢].

و'إذا دقننا النظر فعلاً في هذه القراءة لوجدنا الإمام أحمد محق في حكمه عليها حيث إنها وضع لا في غير موضعها، وهي من القراءات الشاذة

لذلك نرى صاحب تأويل مشكل القرآن يقول: ..... ثم خالف قوم بعد قوم من اهل الأمصار وأبناء العجم ليس لهم طبع اللغة ولا علم التكلف فهفوا في كثير من الحروف وزلوا وقرءوا بالشاذ وأخلوا منهم رجل – حمزة بن حبيب الزيات (٨٠ – ١٢٧ هـ) ستر الله عليه عند العوام بالصلاح وقربه من القلوب بالدين لم أر فيمن تتبعت وجوه قراءته أكثر تخليطاً ولا شد اضطراباً منه، لأنه يستعمل في الحرف ما يدعوه في نظره ثم يزواصل أصلاً ويخالف إلى غيره لغير ما علة ويختار في كثير من الحروف ما لا مخرج له إلا طكلب الحيلة الضعيفة[٣]..

أما في غير هذه الوجوه التي ذكرها الإمام أحمد وأيده فيهتا ابن قتيبة فقراءته سلبيمة لا غبار عليها لذلك نرى الإمام الذهبي يذكر الجانبين فيقول: قد وثقه ابن معين وغيره، وقال النسائي: ليس به بأس .. تقال الأزدي والساجحي يتكلمون في قراءاته إلى حالة مذمومة وهو صدوق في الحديث ليس بمتقن[٤].

وهذا ما عناه أيضا الإمام أحمد حينما أتى إليه قارئ وقرأ أمامه (بسم الله الرحمن الرحيم – ولم يظهر الألف واللام وقال الإمام إذا كان هكذا فلا بأس) [٥].

اللعب بالشطرنج

---

[١] المرجع السابق نفسه ، (ج١/ ص ٢٢٨).
[٢] المرجع السابق نفسه ، (ج١/ ص ٢٨٩).
[٣] ص ٥٩ – ٦٠.
[٤] ميزان الاعتدال (ج١/ ص ٦٠٥).
[٥] المنهج الأحمد (ج١/ ص٢٩٩).

يرى الإمام عدم مجاملتهم بل ولا يسلم عليهم لأنهم ليسوا أهلاً له، قال له إسحاق بن منصور : (نمر على القوم وهم يلعبون بالنرد أو الشطرنج، نسلم عليهم؟ فقال ما هؤلاء بأهل أن يسلم عليهم [١].

وسئل ذات مرة : هل تعرف في الشطرنج شيئاً؟

قال: لا أعلم إلا قول (علي)، مرَّ علي بقوم يلعبون بالشطرنج فقال: (ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون؟!) [٢].

القبور والقراءة عليها

يرى الإمام أحمد بأن القبر لا يجصص ولا يبنى عليه ولابد من تسوية بالأرض ويكون شقاً يوضع فيه الميت، فلقد سئل عن ذلك فقال عن جابر بن عبد الله قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تجصص القبور أو يبنى عليها [٣].

ويرى بأن القراءة على القبور بدعة،

فلقد كان في جنازة ومعه محمد بن قدامة فلما دفن الميت جلس رجل ضرير يقرأ عند القبر فقرأ عند القبر فقال: محمد بن قدامة نعم، فقال له أحمد: (يا هذا إن القراءة عند القبر بدعة) [٤]. عندئذ يقول محمد بن قدامة يا أبا عبد الله ما تقول في مبشر الحلبي؟ قال –أي الإمام– ثقة ثم قال: أي الإمام كتبت عنه شيئاً؟ فقال محمد بن قدامة نعم فقال: الإمام له أخبرني.

قال محمد بن قدامة: أخبرني مبشر بن عبد الرحمن بن العلاء بن اللجلاج عن أبيه أنه أوصى إذا دفن أن يقرأ عند رأسه بفاتحة البقرة وخاتمتها، وقال: سمعت ابن عمر يوصي بذلك فقال أحمد: ارجع فقل للرجل يقرأ [٥].

فنحن هنا أمام رأيين للإمام أحمد

---

[١] الأمر بالمرعوم والنهي عن المنكر.، ص١٥٣.
[٢] المرجع السابق ص ١٥٣.
[٣] الورع ص١٠٦، والحديث أخرجه الإمام أحمد في مسند سيدنا جابر بن عبد الله، (ج٣/ ص٣٩٩)، ورواه مسلم (ج٣/ ص٦٢). طبعة الشعب ، باب النهي عن تجصيص القبر والبناء عليه.
[٤] الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ص ١٨٨.
[٥] المرجع السابق نفسه، ص ١٨٩.

الرأي الأول: بأن القراءة على القبور بدعة.

الرأي الثاني: بأنه جوز القراءة عليها.

فهل يا ترى رجع عن رأيه الأول ؟ وما هو الرأي الذي اختاره هو؟

الحقيقة أن الإمام لم يرجع عن رأيه الأول في أن القراءة على القبور بدعة وإذا كان كذلك فلماذا جوز إذن ؟ الحقيقة هو لم يجوز بل قال في الرواية الثانية: (ارجع فقل للرجل يقرأ) وهذا قمة للتصرف في موقف مثل هذا لأن في هذه الرواية :

- يجد بأن الرجل أوصى بأن يقرأ على قبره وما دام قد أوصى فلابد أن تنفذ وصيته وهو المحتمل ما يترتب عليها أما الله سبحانه وتعالى يوم القيامة.
- ولكن ربما يستشكل بأن القراءة تجوز بما جاء بالرواية.
- بأن سمع ابن عمر يوصي بذلك.

فهل يا ترى هذا صحيح؟ أي أوصى ابن عمر بذلك.

الحقيقة إذا نظرنا إلى الحديث الذي رواه ابن عمر وبين الرواية الموجودة معنا: نجد بينهما اختلافاً واضطراباً.

يقول يحيى بن عبد الله الضحاك البابلي ثنا أبو أيوب بن نهيك الحلبي الزهري مولى آل سعد بن أبي وقاص سمعت عطاء بن أبي رباح المكي قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (إذا مات أحدكم فلا تجلسوا وأسرعوا به إلى قبره وليقرأ عند رأسه بفاتحة البقرة وعند رجليه بخاتمتها في قبره) [1]..

وإذا نظرنا إلى الحديث الذي رواه مبشر الحلبي فنراه يقول: حدثنا عبد الرحمن ابن العلاء بن اللجلاج عن أبيه قال: قال أبي : إذا أنا متُّ فضعني في اللحد وق: بسم الله وعلى سنة رسول الله وسِنّ علي التراب سنّاً، واقرأ عند رأسي بفاتحة الكتاب وأول البقرة وخاتمتها فإني سمعت عبد الله بن عمر يقول هذا[2].

---

[1]) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد، (ج٣/ ص٤٤) نقلاً عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص ١٨٨. وفيه (فلا تجنبوه) وليقرأ عند رأسه بفاتحة الكتاب وعند رجليه بخاتمة البقرة.

[2]) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد، (ج٣/ ص٤٤) نقلاً عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص ١٨٧. وليس فيه فاتحة الكتاب، وسن التراب أي ضعه سهلاً.

إذا نظرنا إلى هذه الروايات الثلاثة نجد

- الرواية الأولى التي كان مع الإمام أحمد محمد بن قدامة فاتحة البقرة وخاتمتها وأسندها إلى عبد الله بن عمر فقط
- الرواية الثانية نجد فيها الفاتحة البقرة وخاتمتها، وفيها زيادة فلا تحبسوه وهي مرفوعة للرسول صلى الله عليه وسلم.
- الرواية الثالثة التي يرويها مبشر نفسه نجد فاتحة الكتاب وأول البقرة وخاتمتها ومسنده فقط إلى سيدنا عبد الله بن عمر أي رواية موقوفة.

فهناك زيادات ونقصان في الروايات الثلاث وهذا يدل على اضطراب في الرواية ، وبذلك تكون القراءة بدعة ولا أساس لها ثم إن في الرواية الأولى والثالثة نرى الوراية موقوفة عند سيدنا عبد الله بن عمر، أما الرواية الثانية فمرفوعة إلى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لقول عبد الله بن عمر سمعت.. فهل يا ترى الرسول قال هذا؟

إن القول التطبيقي أولاً للرسول يثبت عكس ذلك تماماً فلقد حضر جنازات كثيرة ومنها أبناؤه وبناته فهل قرأ الرسول صلى الله عليه وسلم على قبورهم القرآن أو ثبت عنه ولو مرة –فيما يبدو لي– بأن ذلك لم يقع منه صلوات ربي وسلامه علي، وبالتالي تكون الروايتان الأولى والثالثة واهيتين.

وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم تثبت عدم القراءة فلقد قال صاحب النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال: استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت فإنه الآن يسأل[1].

ثم إن الرواية الأولى التي ألمَّ فيها يحيى بن عبد الله البابلي وهو ضعيف الحديث فلقد ضعَّفه رجال الحديث فقالوا عنه: أثر الضعف على حديثه بيّن[2].

وعلى ذلك تكون قراءة القرآن على القبور بدعة لا أساس لها في الدين فيما يبدو لي والله أعلم.

---

[1]) رواه أبو داود، ونقلاً عن رياض الصالحين ص ٣٤٧.
[2]) ميزان الاعتدال ، (ج ٤/ ص٣٩٠).

ذهاب المرأة إلى الحالق (•)

إن الإمام أحمد حين وجد بأن هذه البدعة قدفشت في مجتمعه وانتشرت قام فحاربها وتصدى لها وأبان حكم الدين فيها فحينما سئل عن (الخادم الخصي ينظر إلى شعر مولاته قال: لا) [١]. وإذا كان الإمام يحرم نظر الخادم الخصي إلى شعر مولاته فمن باب أولى يحرم نظر الرجل الأجنبي إلى شعرها، فما بالك بمن يمسك شعرها ويمسه ويصففه بيده؟

إن الإمام يرى ذلك بدعة محرمة حتى ولو قامت به امرأة مثلها فلقد جاءت امرأة من هؤلاء إلى عبد الله فقالت إني أصل رأس المرأة بقرامل وأمشطها فترى لي أن أحج من اكتسبت؟ قال: لا وكره كسبها لنهي النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك. وقال: يكون من مال أطيب منه[٢].

بل وحرم الإمام أن تصل المرأة شعر نفسها –صغيرة كانت أو كبيرة– أو عروساً فلقد سئل عن المرأة تصل رأسها بقرامل (فكرهه) وقال: عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم زجر أن تصل المرأة رأسها شيئاً [٣].

وسئل عن المرأة الكبيرة تصل رأسها بقرامل فلم يرخّص لها [٤]. وأما عن العروس فيقول: أنبأنا هشام قال: حدثتني فاطمة ابنة المنذر أن امرأة من الأنصار قالت للرسول صلى الله عليه وسلم إن لي بنية عريس وإنه تتمزق شعرها فهل علي جناح إن وصلته رأسها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لعن الله الواصلة والواشمة والمتوشمة [٥].

ذهاب المرأة إلى طبيب يعالجها

• مصففوا الشعر بالتعبير العرفي الدارج (الكوافير).
١) الورع ص ٧٠.
٢) المرجع السابق نفسه ص ١٠٥.
٣) المرجع السابق نفسه ص ١٠٥.
٤) اللمرجع السابق نفسه ص ١٠٥.
٥) المرجع السابق نفسه ص ١٠٥، والحديث أخرجه البخاري (ج٧/ ص٢١٢) كتاب اللباس باب الوصل في الشعر.

يرى الإمام أحمد لابدمن أن يعالج المرأة إمرأة مسلمة مثلها، أما إذا حدثت ضرورة بأن لا يكون طبيبات متخصصات في مرضها أو المريضة موجودة في منطقة نائية لا يوجد بها سوى الأطباء أو حدوث كسر مع وجود طبيب في الحال فيجوز ذلك، فلقد سئل: المرأة يكون بها الكسر فيضع المجبِّر يده عليها، قال: (هذه ضرورة فلم ير بها بأساً) [1].

ولا يجوز للطبيب المسلم ألا يكشف إلا على الجزء المصاب فقط ، ولا يتعداه إلى غيره ولا يلمس سواه وأن يكون في وجود محرم.

فحينما سئل عن المرأة يكون بها الجراح قال: (تُقَوّر ما حول الثوب) [2].

ويستنتج بداهة مما سبق بعدم ذهاب المرأأة المسلمة إلى طبيب غير مسلم أو طبيبة غير مسلمة كما أنه بداهة يجوز أن يكشف عليها محرم من محارمها إذا كان طبيباً.

الخاتمة

وبعد..

فهذه دراسة أقدمها عن منهج الإمام أحمد بن حنبل في الدعوة الإسلامية تناولت فيها المؤثرات الرئيسية التي أدت إلى تكوينه وتكوين منهجه ثم بينت منهجه إجمالياً والأصول التي اعتمد عليها في منهجه ثم وضحت الوسائل التي نشر بها منهجه وفي نهاية المطاف أجليت عن مميزات منهجه وقد قدمت ذلك ببيان الدوافع إلى اختيار موضوع البحث ونوهت بمدى أهميته والحاجة إليه حيث إنه موضوع لم يعد عنصر الجادة مما يجعله –بإذن الله وتوفيقه– يشغل فراغاً في المكتبة الإسلامية ثم أعقبت ذلك بذكر منهج البحث والدراسة.

---

[1]) الورع ص ٧٠.
[2]) المرجع السابق نفسه ص ٧١.

وإذا كان لابد من تحديد النتائجد التي اشتمل عليها البحث فلقد..

- ذكرت آخر كل مبحث وفصل وفي نهاية كل باب النتائج التي استخلصتها أولاً بأولٍ ليتسنى للدعاة الانتفاع بها في موضوعها وهذا أجدى في نظري للاستفادة منها استفادة كلية وفق ذلك.
- كان المجتمع الإسلامي في عصر الدولة العباسية يتكون من عناصر العرب والفرس والأتراك والمغاربة قد صهرهم الإسلام في بوتقة الإيمان وأصبحوا أخوة متحابين مترابطين واضعين أمامهم قوله تعالى: [إن أكرمكم عند الله أتقاكم] .
- ولكن كان للفرس دخل في قيام الدولة العباسية مما جعل بعض الخلفاء يعتمدون عليهم ويسندون إليهم المناصب القيادية وسلموا إليهم زمام الحكم مما جعل بعض الفرس الذين التحفوا الإسلام ظاهراً ولم يؤمنوا باطناً يتحكمون في بقية الطوائف المسلمة الأخرى، وبخاصة النيل من العرب المسلمين فكان هذا محوراً مهماً أثر في نواحي العصر كله.
- أثر في الناحية السياسية فاحتكروا المناصب القيادية لذويهم وصبغوا الدولة بالصبغة الفارسية فأدى هذا إلى ازدياد الشعوبية، الجفوة بين العرب والعباسيين وظهر نظام الإقطاع وضعفت قيمة العهود وقيام حركات مناوئة ضد العباسيين في الداخل ، ومع ذلك فلقد كانت الدولاة في أول عهدها مهابة من أعدائها مهمتة بشئونها الداخلية.
- أما من حيث الناحية الاجتماعية فاختفت الحياة العربية الإسلامية الأصيلة أو كادت وتغيرت أصول العادات والأخلاق فانتشرت المجون وشاعت الزندقة وإدخال الفرس عادات وتقاليد لم تكن موجودة ومخالفة للدين وانتشر الرق والبزخ وظهرت أعياد الفرس من جديد فكان لهذا كله رد فعل بأن ظهر اتجاه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكذا اتجاه الزهد للوقوف أمام هذا التيار المنحرف الجارف

- وأما من الناحية الثقافية فإنه كانت توجد ثقافات متنوعة كالثقافة الفارسية والهندية واليونانية واليهخودية والنصرانية إلا أن الإسلام أدب هذه الثقافات بثقافته الأصيلة وجمع الجميع على منهجده إلا أن الشعوبية الثقافية من أهل الفرس حاولت صبغ هذه الثقافة بالصبغة الفارسية أيضا وفي ذلك العصر شجع الخلفاء الثقافة وزادت حركة الترجمة ونشطت عملية التدوين ونُظِّمت العلوم وتميزت إلى نقلية وعقلية فيعتبر بحق العصر الذهبي للحركة الفكرية الثقافية، إلا أنه على الرغم من ذلك فقد انتشرت الفرق المختلفة وفرض الفكر الاعتزالي قصراً على العلماء وبخاصة بعد أن اعتنق المأمون هذا الفكر، فكان من أثر ذلك ظهور مدرسة الرأي كرد فعل لمدرسة الحديث الموجودة.

هذا هو حال العصر الذي عايشه وعاصره الإمام أحمد بن حنبل بما له وما عليه تأثر به فكان أحد المؤثرات في تكوينه وتكوين منهجه.

- وإذا كان الإمام قد تأثر بعصره فلابد –بداهة– وبعد إرادة الله وحده أن يتأثر ببئته الخاصة التي نشأ في كنفها فالإمام أحمد عربي النسب أباً وأماً ذهلي بصري وعائلته أحد البطون الرئيسية لتي تفرعت منها العرب، ولها تاريخها الناصع في الجاهلية والإسلام، ومات والده وهو صغير فتولت أمه رعايته ورعته أشد رعاية واعتنت به أيما رعاية فنقلت له جلائل الأعمال التي اختص بها فرعه من العلم مقرونة بالسيرة العطرة سيرة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وكذلك وضعت أمامه بطولات فرعه الآخر الحربية.

ولم تكتف بذلك بل حفظته القرآن الكريم على يد أئمته في عصره وتعلم اللغة العربية وأحاط بالقراءات ولم تنس أن توجهه إلى علم الإدارة من صغره.

فكان من أثر ما مضى كله:

- أن ظهرت عليه علامات النجابة من صغره واتصف بصفات أثرت في تكوينه وتكوين منهجه فيما بعد كالأمانة وحفظ السر والورع وحسن اتلأدب والصبر والجد وقيام الليالي وهو ما يزال طفلاً فتجلت فيه بوضوح صفات الداعية الناجح علمياً وسلوكياً.

- بدا عليه وهو ما يزال طفلاً ميوله إلى تحديد منهجه العلمي المتمثل في آثار سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيرته والخلفاء الراشدين.
- بدأت عليه بجلاء إتقانه للعلوم التي يدب على الداعية أن يتقنها من صغره فألَمَّ بعلوم الوسائل وعلوم المقاصد، واعتمد على الله وحده وعلى نفسه في كسب قوته فكان يخرج نقاطاً ويعمل بنسخ الكتب والحمل فوق الظهر ليعيش أبياً كريماً.
- وإذا كان الإمام قد تأثر بعصره وببيئته الأسرية فلا مندوحة أن يتأثر بالبيئة العلمية التي وجهه نحوها ربُّه ومالت إليها فطرته وساعدته عليها صفة تاقت نفسه إلى التزود والاستزادة في طلب العلم فطلبه وارتحل من أجله إلى بلاد إقليم العراق مثل بغداد والكوفة والبصرة وواسط وكذا طلبه في الحجاز وصنعاء واليمن وطرطوس والرقة والرّي والتقى بشيوخه وتأثر بهم كهشيم والشافعي ويزيد بن هارون والإمام عبد الرزاق الصنعاني فكان من آثار هذه الرحلات أن تعمق في الحديث وعلوم الفقه والورع والزهد، وغرست فيه هذه الرحلات الجد والمشقة في طلب العلم والاعتماد على النفس بعد الله وألم وأحاط بفقه العراق والحجاز واطلع على الآراء الفقهية المختلفة.
- واشتهر كذلك من سن السادسة عشر إلى سن الأربعين إلى قرابة من أربع وعشرين سنة يطلب فيها الدعوة وعلومها وتحمل الكثير والمشقة في رحلاته لتحصيل العلم والمعرفة فكان مثالاً حياً للداعية النشيط المجد في طلب العلم ابتغاء مرضاة الله فأحبه شيوخه وأثنوا عليه ثناء حسناً لتواضعه وحسن أدبه وسمته وشهدوا له بالأمانة قبل أن تصل إليه في الحديث والفقه والورع والزهد والصبر ذلكم هي علوم الدعوة الإسلامية.
- تأثر الإمام بكل ما مضى
- تأثر بأحوال عصره السياسية والاجتماعية والفكرية وتأثر بأسرته ورعاية أمه له كما تأثر بحياته العلمية الخاصة به.

- وإذا كان قد تأثر بما سبق فلابد أن يؤثر فأدى هذا إلى تكوينه وتكوين منهجه ومن هنا جاء تأثيره في مجتمعه بأن نادى بالعودة إلى منهج الكتاب والسنة.
- وإذا كانت المؤثرات لعبت دوراً في تكوين الإمام أحمد بن حنبل وأدت إلى ظهور منهجه فيا ترى ما هذا المنهج.
- إذا نظرنا إلى الإمام لوجدناه من صغره ميّالاً بفطرته إلى منهج الكتاب والسنة وأصبح قدوة تطبيقية له نظراً لما رآه في مجتمعه من بعدعن المنهج الإلهي مما أدى إلى تشتت فكري وتعدد منهجي وظهور بدع ومنكرات إذا كان الأمر كذلك فلابد من جمع الأمة وتوحيد كلمتها وتضميد جراحها وتوحيد منهج تفكيرها، ولا يكون ذلك إلا بالعودة إلى الكتاب والسنة فاتخذهما الإمام منهجاً له ونادى به وعمل من أجله.
- وإذا كان الإمام قد اتخذهما منهجاً له فلابد لهذا المنهج من أصول:
- الأصل الأول من أصول منهج الإمام أحمد القرآن الكريم استطاع عن طريق هذا الأصل أن يقف بصلابة وبحزم أمام المؤولين والمشبهين وأن يبين منشأ الخطأ الذي وقعوا فيه لتضليل المسلمين عمداً وكشف منهجهم وهو حملهم المحكم على المتشابه ويؤولون المتشابه على حسب ما يريدون فتعددت الآراء وكثرت الخلافات فما كان من الإمام إلا أن شد هذا الباب أمامهم وكشف زيفهم بأن حمل المتشابه على المحكم وبذلك أغلق شر أبواب الفتن ووقى المجتمع من شر هؤلاء.
- وإذا لم يكن في القرآن ما يفسِّر القرآن فلابد إذن من الأصل الثاني وهو السنة.
- والسنة عند الإمام أحمد ثابتة حجديتها بالكتاب والسنة زوالإجماع والعقل.

ولقد رد الإمام أحمد على من احتج بعدم حجية السنة وأثبت حجيتها ودحض شبههم وقضى عليها، ومنزلة السنة عند عند الإمام أحمد تفسر القرآن تفسيراً صحيحاً ولا يمكن أن يقع تعارض بينها وبين القرآن، وبينها وبين بعضها لأن الرسول صلى الله

عليه وسلم هو الدال على ما أراده الله من ظاهر القرآن وباطنه وخاصه وعامه وناسخه ومنسوخه وهو المعبر عن كتاب الله الدال على معانيه شاهده في ذلك أصحابه الذين ارتضاهم الله لنبيه.

وكان من نتيجة اعتبار منزلة السنة عنده:

- إن ظاهر القرآن لا يقدَّم على النص.
- إن الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذي يفسر القرآن وليس لأحد أن يتأول فيه أو يفسّره لأن السنة وحدها هي بيانه فلا يطلب بيانه من غير طريقها.
- ومراتب الاستدلال بالسنة عند الإمام أحمد هي أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته أي حديثه المتواتر ثم الآحاد ثم يعد بعد ذلك أقوال الصحابة ثم الحديث المرسل الذي هو الضعيف عند غيره والحسن عنده ثم أقوال التابعين.
- فإذا لم يكن نص من كتاب أو حديث متواتر وآحاد انتقل إلى أقوال الصحابة وأقوال الصحابة عند الإمام وفتاويهم حجة تلي حجدية أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم المتواتر والآحاد، لأنه لا يسأل أحداً عند عدالتهم، بشرط أن تكون هذه الأقوال منقولة عن النبي صلى الله عليه وسلم مضافة إليه وفي زمانه أماأقوالهم التي لنم تضف إلى النبي صلى الله عليه وسلم فلا تكن حجة إلا إذا أخذت على أنها من باب الاجتهاد وعُلِم أنها منهم وأخذ بها الأئمة عندئذ يحكم بها.
- وتلي مرتبة الصحابة مرتبة الحديث المرسل والضعيف لأنه يؤثرها على القياس والرأي ولكن بشرط أن لا يكون من يرويها صاحب هوى وألا يكون كذاباً ولا كثير الغلط فإن كان كذلك فلا يؤخذ به.

ويلي مرتبة ذلك الاحتجاج بقول التابعي روايتان عن الإمام أحمد والأرجح أن يؤخذ بقوله بشرط أن يرويه عن الصحابة وبسنده عن زمنهم وكان من أمور الدين أما غير ذلك فلا يحتج به.

- الأصل الثالث من أصول منهج الإمام أحمد الأخذ بالإجماع والاحتجاج به ولكن يحتج به بشروط:

أن تتفق جميع الأمصار على الحكم وأن يكون هذا الحكم معلوماً من الدين بالضرورة وأنيكون الشيء المجمع عليه واقعاً وأن يستند الإجماع إلى الكتاب والسنة وأن يتوفر لصاحبه العلم بالرأي المخالف.

فإذا لم تتوفر في الإجماع الشروط السابقة فلا يؤخذ به وإذا دققنا النظر في هذه الشروط نجد بأن الإمام أحمد قدرد الإجماع تلقائياً إلى الكتاب والسنة.

- والأصل الرابع من أصول منهج الإمام أجحمد الأخذ بالقيا سولا يأخذ الإمام به إلا إذا اعتمد على دليل من السنة وإجماع الصحابة أو على أصل من القرآن يقاس عليه فإذا لم تتحقق الشروط الماضية لا يأخذ به.

وإذا دققنا النظر أيضا –في هذه الشروط– نجد بأن الإمام قد رد القياس إلى الكتاب والسنة.

إذن يستنتج من كل ما سبق أن أصول منهج الإمام أحمد القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وأن الإجماع والقياس راجع إليهما وكانت من نتيجة منهجه وأصوله أن تحددت خطوات منهجه، وهي :.

- تفسير القرآن بالقرآن.
- تفسير القرآن بسنة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.
- تفسير القرآن بأقوال الصحابة.
- تفسير القرآن بأقوال التابعين.
- رد المتشابه من القرآن إلى المحكم منه.
- النظر إلى القرآن الكريم في جملته كوحدة متماسكة.
- الاعتماد على أصول اللغة العربية الأصيلة.
- عدم الأخذ بظاهر اللفظ.

وكان من آثار خطوات هذا المنهج :

- عدم وجود تناقض بين آيات القرآن الكريم بعضها مع بعض.
- لا تناقض بين السنة الصحيحة والقرآن الكريم.
- لا تناقض بين السنة مع نفسها.
- عدم الوقوع في التشبيه والتجسيم والتعطيل والتأويل.
- توحيد منهج الفكر الإسلامي فكان هذا منهجاً في العقيدة والشريعة والأخلاق والفقه والتفسير والفكر.
- بيان خطأ المناهج الأخرى لأنها:
  - ترد السنة بالمتشابه من القرآن أو من السنة.
  - جعلهم المحكم متشابهاً لتعطيل دلالته.
  - الاعتماد على ظواهر النصوص.

فكان من نتيجة ذلك:

- إنكارالسنة.
- وقوع تعرض بين آيات القرآن الكريم.
- الوقوع في التشبيه والتعطيل والتأويل.

فلا غرو إذن أن يكون هذا المنهج الذي استخلصه الإمام أحمد وسار عليه منهجاً إسلامياً خالصاً لأنه نابع من الكتاب والسنة وخادم للكتاب والسنة.

- وإذا كان ا"لإمام أحمد قد اتخذ الكتاب والسنة منهجاً فما له من ووسائل ومنهج ينشر به هذا المنهج؟

وهنا نراه قد:

- استخدم وسائل التبليغ بالقول كالمسجد والمنزل واستخدم منهجاً علمياً في استخدام هذه الوسائل:.

- كان لا يتحدث إلا من كتاب.
- كان لا يتحدث إلا حسب متطلبات الواقعة
- لابد من إسناد العلم إلى أهله.
- الخط لابد أن يكون واضحاً.
- الجلسة ذاتها فيها زوقار وسكينة، ولا يذكر فيها إلا كل ما هو علم.
- من وسائل القثول التي استخدمها الإمام أيضا الوعظ والإرشاد.

ولقد استخدمه الإمام استخداماً حسناً وطوعه لخدمة الدين ونشره فوعظ وأرشد في مجالات الوعظ المختلفة واستخدم منهج القرآن في الوعظ وسار على منهج علمي إسلامي فيهويرى بأنه لابد لمن يتعرض لهذا لابد أن يتوفر فيه:.

- الالتزام بمنهج الكتاب والسنة (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين).
- لابد أن تتحقق فيه صفات الداعية الناجح فلابد أن يكون فقيهاً – عالماً – زاهداص – ورعاً – عفيفاً – بصيراً.
- فإذا تحقق فيه ما مضى فهو أهل للوعظ والتحديث وتيجب عليه:
- أن يأمر وينهى من يريد أن يأمره وينهاه بينه وبين نفسه إلا إذا كان مجاهراً بالمعصية فيأمره وينهاه علانية.
- أن يأمر وينهى برفق ولين.
- ألا يغضب الداعية لنفسه وأن يصبر على تحمل الأذى والمشقة.
- ومن وسائل التبليغ بالقول التي استخدمها الإمام المتناقشة والمناظرة ولقد استعملها الإمام استعمالاً حسناً واستغلهما استغلالاً طيباً في نشر منهجه على منهج القرآن (وجادلهم بالتي هي أحسن).

- وإذا كان الإمام أحمد قد استغل وسائل التبليغ بالقول لنشر منهجه ورأى ثمرتها وشاهد نتائجها إلا أنها محدودة الزمان والمكان فأراد أن ينشر منهجه على أوسع نطاق مستمر باق ما بقي الزمن إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها فنراه من أجل هذا قد استخدم وسائل التبليغ بالتدوين فدون الكتب الكثيرة لينشر فيها وبها منهج الكتاب أو ليرد على شبه في الدين أو لبيان أو تثبيت العقيدة في نفوس المؤمنين فنراه قد استغل وسائل التندوين أحسن استغلال في نشر منهج الكتاب والسنة وغطى جميع روافده من عقيدة وشريعة وأخلاق وردّ سهام المبطلين إلى نحورهم في دعوى إنكار السنة ووقوع التعارض بين آيات القرآن الكريم وقضيتي الصفات وخلق القرآن ووجوب طاعة الرسول وجمع الزاد للدعاة في صورة المسند وكذا في الزهد والورع.

ونراه في تدوينه قد التزم –أيضا– منهج الكتاب والسنة.

- وإذا كان الإمام قد استغل وسائل التدوين في نشر منهجه فنرى أيضا منها إرسال الرسائل والرد على الرسائل التي تفيد إليه يشرح فيها منهج الكتاب والسنة في مسائل مهمة مختلفة في جميع روافد الدين.

ونراه أيضا في رسائله ملتزماً منهج الكتاب والسنة.

- وإذا كان الإمام قد اتخذ القول والتدوين وسيلتين لينشر بهما منهجه فإن هناك وسيلة مهمة خطيرة لا يأتي الوسيلتان السابقتان ثمرتها إلا بها ودخل الإمام بها إليهما بل إلى تحقيق منهجه، تلك الوسيلة هي وسيلة الأسوة التطبيقية والسلوك العملي للمنهج وأن يكون عمله قوله، وقوله عمله شيئاً واحداً

ومن هنا نرى الإمام أحمد قد استخدم الأسوة وسيلة فعّالة مؤثرة في نشر منهجه فاعتنى بمظهره الخارجي وبدت عليه السكينة والوقار واتصف بصفات كانت سفيراً له لنشر منهجه بين مجتمعه حال حياته وبعد وفاته.

ففاتصف بالخوف من الله والشجاعة والثبات على الحق والتواضع ووطد صلته بمجتمعه واتصف كذلك بالورع والزهد والعفو والحلم.

بل وحول منهج الكتاب والسنة سلوكاً وتطبيقاً استطاع أن ينشر به بجدارة منهجه.

فكان إذا كتب حديثاً عمل به وتسرى طلباً للاتباع واقتفى أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم في السراء والضراء ونشر منهجه وهو على فراش الموت بسلوكه الطيب الحسن.

وإذا كان الإمام قد نشر منهج الكتاب والسنة بوسائل أتيحت له فلابد لهذا المنهج الذي التزمه وأفنى حياته من أجله لابد له من مميزات هذه المميزات هي:

- التمسك بالأصول الإسلامية الصحيحة.
- الإحاطة والأخذ بالحيطة والحذر.
- مجابهة الواقع المخالف للدين.

لقد بانت وظهرت الغاية –إذن– من منهج الإمام بعد هذه الجولة الطويلة المثمرة عبر أجواء الرسالة وهي:

- الحفاظ على سنة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الضياع ومن الإقليمية وتخلصاً من العصبية.
- الوقوف بشدة ضد تيار الفكر الدخيل الذي كاد يقضي على منهج الفكر الإسلامي الخالص.
- تجميع الأمة على منهج الكتاب والسنة والقضاء هعلى خلافاتها ونبذ المشاحنات بين اتجاهاتها.
- فتح ابب الاجتهاد على أوسع أبوابه لمن تحققت فيه شروطه.
- القضاء على البدع والخرافات المنتشرة في عهده.
- نقل المجتمع من حالاته التي كان عليها إلى عصر النبوة.
- بيان وتثبيت ودفع عن الدعوة الإسلامية.
- دراسة الإسلام كوحدة شاملة كما كان في العصر الأول دون تجزئة وبذلك يعيد إليه بهاءه وسهولته ويسره.

- التخلق بأخلاق النبوة في عصر الترف والبذخ.
- تطهير الفكر الإسلامي مما علق به سواء من أعدائه أو من بعض الفرق التي أدخلت فيه وتنتمي إليه اسماً.
- إقامة المجتمع على قانون الله وسنة رسوله وتقثبيت مبادئ الشريعة منهجاً وسلوكاً.

وبعـــــد

فإن النتائج التي توصل إليها البحث يمكن إجمالها في:

- مؤثرات أدت إلى تكوين الداعيةوتكوين منهج.
- هذا المنهج هو كتاب الله وسنة رسول الله أي منهج الكتاب والسنة
- هذا الداعية هو الإمام أحمد بن حنبل ولقد اتخذ هذا المنهج منهجاً له وأفنى حياته من أجله وطبقه سلوكاً وقولاً.
- لهذا المنهج أصول هي:
- الكتاب – السنة – الإجماع – القياس ، والإجماع والقياس راجع إلى الكتاب والسنة.
- يثير الداعية هذا المنهج بوسائل هي: القول والتدوين والأسوة.

ولقد استخدم مناهج متعددة لنشر منهجه بهذه الوسائل كمنهجه في التحديث ومنهجه في الوعظ ومنهجه في التدوين.

- لهذا المنهج مميزات.
- لهذا المنهج غاية.

هذا وبالله التوفيق.

التوصيات

وإذا كنت قد ذكرت النتائج التي أسفر عنها البحث فلابد إذن من ذكر بعض التوصيات أبين فيها الفقائدة والنفع إن شاء الله تعالى.

- لابد من اتقاء الدعاة إلى الله تعالى بأن تتحقق فيهم شروط معينة يضعها أصحاب هذا الفن للنهوض بالدعوة إلى الله تعالى، واضعين أمامهم الوسط الذي نشأ فيه الداعية والعوامل التي أثرت أو تؤثر فيه، ومع الوضع في الاعتبار الميول الذاتي والرغبة من الداعي إلى الله في الدعوة إليه لأن الدعوة إلى الله ميول ورغبة وتوفيق من الله قبل أن تكون وظيفة .
- تدريس مادة الدعوة ومناهج الدعوة وتاريخ الدعوة والدعاة في جميع كليات الأزهر وفي جميع أقسامها من السنة الأولى إلى السنة الرابعة والمطالبة بتدريسها في جميع الجامعات كمنهج من مناهج فهم الجماهير وفن التعامل معهم والاطلاع على الدعوة إلى الله ومنهجيتها ليتسنى فهم دينهم، والاطلاع على منهج خالقهم ومعرفة حضارة دينهم ليتحصنوا ضد أي فكر أو منهج منحرف.

مع تدريس مواد الدعوة بصورة تتلاءم مع كل كلية وفي الوقت نفسه لابد من تدريس مواد الدعوة في الإعدادي والثانوي الأزهري دراسة تتلاءم مع ما يدرسونه بصورة مبسطة.

- التوصية في إنشاء كليات للدعوة تكون مهمتها ميدانية أكثر منها أكاديمية للمعايشة مع الجماهير والتعامل معهم ومعرفة كيفية التفاعل مع مشاكلهم ليتسنى للداعية كيفية الوصول إلى قلوبهم وأن يستولي على أفئدتهم وأن ينشر

بينهم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم من أكثر من طريق وبأقل مجهود وزمن يسير.

- تشجيع الدعاة مادياً وأدبياً ليتسنى لهم مد المعونة والمساعدة إلى الفقراء زوالمساكين وليفتجحوا منازلهم لحل مشكلات مجتمعاتهم وبإعطائهم المراجع بالمجان أو بأجر زهيد، فإن تيسر ذلك فيقسط أثمانها على أقساط شهرية مريحة وبدون أرباح كل ذلك من أحل أن يحتل الداعية مركزه المرموق الذي يتفق مع جلالة قدر منهجه الذي يلتزمه.
- لابد من الداعية أن يكون موسوعة علمية متجددة ويكون إماماً في الحديث، الفقه، اللغة، القرآن، الفقر، الزهد، الورع، السنة.

كما قال الإمام الشافعي في حق الإمام أحمد: (أحمد بن حنبل إمام في ثمانية خصال: إمام في الحديث، إمام في الفقه، إمام في اللغة، إمام في القرآن، إمام في الفقر، إمام في الزهد، إمام في لورع، إمام في السنة) [1].

- وعلى الداعية أن يكون ملماً بلغة أجنبية ولو بمبادئها الأولية ليتسنى له على الأقل أن يفهم بعض ما يدور حوله.
- لابد من الداعية أن يعتني عناية فائقة بالناحية المنهجية وأن يسير على مناهج مقننة وقواعد ثابتة كلية ونابعة من منهج الكتاب والسنة فلابد له من:
  - منهج علمي يسير عليه في تحديثه.
  - منهج علمي يناقش عليه غيره.
  - منهج علمي في وعظه وإرشاده.
  - منهج علمي في تدوينه – إن وفقه الله للكتابة في أي مجلة أو يدون كتاباً.
  - منهج علمي سلوكي.

---

[1]) المنهج الأحمد (ج١/ ص٩).

بمعنى أن يكون سلوكه هو عنوان صادق لمنهجه ودعوة مضيئة إليه قبل أن يدعو بلسانه.

- لا ينسى الداعية جانب الإدراة في حياته فمشكلة الأزهريين وخاصة الأئمة – الآن– الإدارة لأنه يدير مؤسسة كبرى وهي مسجده والتفاعل مع مجتمعه.
- على الداعية أن تتحقق فيه صفات الداعية الناجح من:
  - صلة قوية بالله.
  - صلة قوية مع مجتمعه.
  - صراحته مع نفسه.

بمعنى أن يطبق منهج القرآن الكريم والسنة قولاً وسلوكاً واضعاً أمامه القدوة الحسنة والأسوة الطيبة الداعية الأول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وختاماً

بعد أن أتم الله علينا نعمته وأكمل علينا كرمه وأجاطنا برعايته وشملنا بكرمه وتوفيقه بإتمام هذا البحث بعد أن وفقنا الله إلى اختياره فنعترف بالفضل لله بأن زوجهنما لهذا الموضوع النافع المفيد ، ولقد استفدت منه أنا شخصياً استفادات جمة مفيدة نافعة وتهعلمت أشياء كثيرة لم تخطر على فكري وعقلي وقلبي من قبل وفتح الله به على جميع روافد الفكر الإسلامي:

من تجويد للقرآن الكريم وتفسير بالمأثور وحديث وعلوم حديث والسيرة والتاريخ واللغة وفقه وأصوله والسيرة الحسنة والمنهجية في الحياة الموضوعية فيها وكيفية المناقشة والتحديث كما عشت صفحات بيضاء ونقية طاهرة مع سيرة الإمام أحمد بن حنبل وسولكه الطيب المبارك الذي تعلمت عن طريقه الصبر والمصابرة وقوة التحمل والدعوة إلى الله لأنه نقلني مباشرة إلى السيرة العطرة الطيبة إلى القدوة والأسوة الحسنة إلى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أي تطبيق الإسلام قولاً وعملاً منهجاً وسلوكاً فشكراً لله سبحانه وتعالى على هذه المنة وهذا الكرم. وجزى الله من وجهني وأرشدني إلى هذا الموضوع خير الجزاء وأثابه عليه ثواباً جزيلاً وأحاطه برعايته وبارك له في إيمانه.

إنه نعم المولى ونعم النصير.

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب، ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وهذا وبالله التوفيق.

بسم الله الرحمن الرحيم

المصادر والمراجع التوصيات

اعتاد الباحثون في حصر المراجع والمصادر أن يسلكوا طريقة ما يتقيّدون بموجبها بذكر المصادر والمراجع إما:

بذكر المؤلفين بحسب الحروف الهجائية والبعض منهم يصنفها بحسب العلوم مما يقتضي اقتران القديم بالجديد واختلاط الطريف بالتليد وبخاصة المراجع القديمة لأنها لا تنتهي إلى علم معين في الغالب لتعلق محتواها بعلوم متعددة.

والبعض الآخر يصنفها على حسب وفيات المؤلفين منذ البداية إلى النهاية ولقد وجدت في ذلك بعض الصعوبة حيث لم يتيسر في –الغالب– معرفة وفيات معظم المؤلفين.

من اجل ذلك قد رأيت أن أسلك طريقة سهلة ميسرة وهي حصر المصادر والمراجع على حسب أسمائها مرتباً لها على حسب الحروف الهجائية –مع عدم اعتبار (أل) في الباب.

القرآن الكريم كلام رب العالمين.

(أ)

١– أئمة المذهب الأربعة (أبو حنيفة ومالك والشافعي ابن حنبل) تأليف الأستاذ محمد إسماعيل إبراهيم، ملتزم الطبع والنشر دار الفكر العربي ١٩٧٨ م

٢– ابن حنبل حياته وعصره – آراؤه الفقهية تأليف الشيخ محمد أبو زهرة – دار الحمامي للطباعة – توزيع الفكر العربي – بدون تاريخ.

٣- ابن قتيبة العالم الناقد الأديب تأليف د/ عبد الحميد سند الجندي – سلسلة أعلام عدد (٢٢).

٤- الأحكام السلطانية – تأليف . أبي يعلى محمد بن الحسن الفراء الحنبلي ت ٤٥٨ هـ تعليق محمد حامد الفقي ط (٢) – ١٣٨٦ هـ ١٩٦٧، طبع مصطفى البابي الحلبي.

٥- الإحكام في أصول الأحكام، تأليف الشيخ العلامة سيف الدين أبي الحسن علي بن علي بن محمد الآمدي ت ٦٣١ هـ مؤسسة الحلبي وشركاؤه للنشر والتوزيع سنة ١٣٨٧ هـ ١٩٦٧ م.

٦- أحمد بن حنبل إمام أهل السنة، تأليف عبد الحليم الجندي ١٣٩٠ هـ ١٩٧٠ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

٧- أحمد بن حنبل بين محنة الدين ومحنة الدنيا تأليف أحمد عبد الجواد الدومي ١٣٩٢ هـ ١٩٧٢ م منشورات المكتبة العصرية –صيدا– بيروت.

٨- أحند بن حنبل والمحنة – تأليف ولتر –م– باتون ترجمه عبد العزيز عبد الحق مراجعة محمود محمود دار الهلال بدون تاريخ.

٩- اختصار طبقات الحنابلة تأليف شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبد القادر بن عثمان النابلسي ت ٧٩٧ هـ تصحيح وتعليق أحمد عبيد – مطبعة الاعتدال بدمشق ١٣٥٠ هـ.

١٠- الآداب الشرعية والمنح المرعية. تأليف الإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن مفلح المقدسي الحنبلي دار العلم للجميع بيروت صيدا ١٩٧٢ م

١١- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، تأليف محمد بن علي بن محمد الشوكاني ت ١٢٥٥ هـ ، ط ١٣٥٦ هـ ١٩٣٧ م طبع مصطفى البابي الحلبي.

١٢- الإسلام عقيدة وشريعة، تأليف الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت، ط (٧) ١٣٩٤ هـ ١٩٧٤ م دار لشروق بيروت القاهرة جدة.

١٣- الاعتصام، تأليف الإمام أبي إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي الغرناطي ت ٧٩٠ هـ المكتبة التجارية الكبرى طبعة ١٣٣٢ هـ

١٤- أعلام المحدثين، تأليف د/ محمد بن محمد أبو شهبة ، مطبعة دار الكتاب العربي ١٣٨١ هـ ١٩٦٢ م

١٥ إعلام الموقعين عن رب العالمين، تاليف شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن القيم الجوزية ت ٧٥١ هـ مراجعة طه عبد الرءوف سعد، مكتبة ومطبعة الحاج عبد السلام بن محمد شقوى ١٣٨٨ هـ ١٩٦٨ م.

١٦- اقتضاء الصراط المستقيم ومخالفة أصحاب الجحيم، تأليف العالم الرباني أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني المشهور بابن تيمية، ٦٦١ – ٧٢٨ هـ تحقيق محمد حامد الفقي، ط (٢) ١٣٦٩ هـ ١٩٥٠ م مطبعة السنة المحمدية.

١٧- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تأليف أبوبكربن أحمدبن محمدبن هارون الخلال ت٣١١هـ تحقيق عبد القادرأحمدعطا ط (١) ١٣٩٥ هـ١٩٧٥ دار الاعتصام.

(ب)

١٨ – الباعث الحثيثي شرح اختصار علوم الحديث، تأليف أبي افداء عماد الدين بن أبي حفص شهاب الدين بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير بن زرع القرشي، ٧٠١ – ٧٧٤هـ تعليق وشرح أحمدمحمدشاكر ط (٣) مكتبة ومطبعةمحمد علي صبيح وأولاده.

١٩ – البداية والنهاية ، تأليف أبي لفداء الحافظ بن كثير الدمشقي، ٧٠١ – ٧٧٤ هـ مكتبة النصر الريان ط (١) ١٩٦٩ م

(ت)

٢٠ – التايج المكلل من جواهر مآثر الطراز الأول، تأليف السيد أبي الطيب صديق بن حسن بن لطيف الله الحسيني البخاري ١٢٤٨ هـ تصحيح وتعليق عبد الحليم شرف الدين، ط (٢) ١٣٨٢ هـ ١٩٦٣ م طبعة شرف الدين الكتبي وأولاده المطبعة الهندية العربية.

٢١- تاريخ بغداد، أو مدينة السلام، تأليف أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، ت ٤٦٣ هـ تصحيح محمد حافظ الفقي، دار الكتاب العربي بيروت لبنان بدون تاريخ.

٢٢- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، تأليف د/ حسن إبراهيم حسن ط (٨)، ١٩٧٦ مكتبة النهضة العربية.

٢٣- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، تأليف جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ٨٤٩ – ٩١١ هـ حققه وراجع أصوله عبد الوهاب عبد اللطيف، ط (٢) ١٣٨٥ هـ ١٩٦٦ م دار الكتب الحديثة عابدين.

٢٤- ترجمة الإمام أحمد من تاريخ الإسلام للحافظ الذهبي ٦٧٣ – ٧٤٨ هـ تحقيق أحمد محمد شاكر، ١٣٦٥ هـ ١٩٤٦ م دار المعارف للطباعة والنشر منشورة بمفردها في اثنتين وثمانين صحيفة.

٢٥- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، تأليف الإمام الحافظ زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري ت ٦٥٦ هـ ضبط أحاديثه وعلق عليه مصطفى محمد عمارة ط (٣) ١٣٨٨ هـ ١٩٦٨ م مكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده بمصر.

٢٦- التقييد والإيضاح على مقدمة ابن الصلاح، تأليف زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي ٧٢٥ . ٨٠٦ هـ تحقيق عبجد الرحمن محمد عثمان ط (١) ١٣٨٩ هـ ١٩٦٩ م الناشر محمد عبد المحسن الكتبي صاحب المكتبة السلفية بالمدينة المنورة.

٢٧- تهذيب الأسماء واللغات، تأليف الحافظ أبي زكريا محي الدين بن شرف النووي ت ٦٧٦ هـ عني بتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية دار الكتب العلمية بيروت لبنان بدون تاريخ.

(جـ)

٢٨- الجامع لأحكام القرآن، تأليف أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ط (٣) عن طبعة دار الكتب العلمية، ودار الكتاب العربي للطباعة والنشر ١٣٨٧ هـ ١٩٦٧ م

(حـ)

٢٩- الحدود في الإسلام ومقارنتها بالقوانين الغربية، تأليف محمد بن محمد أبو شهبة، سلسلة البحوث الإسلامية عدد ٧٢ سنة ١٣٩٤ – ١٩٧٤ م الهيئة اللعامة للمطابع الأميرية.

٣٠- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، تأليف الحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، ت ٤٣٠ هـ تحقيق محمد أمين الخانجي ط (٢) ١٣٨٧ – ١٩٦٧ م مطبعة الخانجي الناشر دار الكتاب العربي بيروت لبنان.

(خ)

٣١- خصائص التصور الإسلامي، تأليف سيد قطب، دار الشروق بيروت لبنان بدون تاريخ.

٣٢ – خلاصة تهذيب تَهذيب الكمال في أسماء الرجال، تأليف الحافظ صفي الدين أحمد بن عبد الله الخزرجي مولود ٩٠٠ هـ تحقيق الشيخ محمود عبد الوهاب فايد، مطبعة الفجالة ، نشر مكتبة القاهرة علي يوسف سليمان بدون تاريخ.

(د)

٣٣- دائرة المعارف الإسلامية، النسخة العربية، إعداد وتحرير إبراهيم زكي خورشيد وآخرين ، كتاب الشعب ط (٢) بدون تاريخ.

٣٤- الدعوة الإسلامية في عهدها المكي مناهجها وغاياتها، تأليف د/ متولي شلبي، المشهور برءوف شلبي، ط مجمع البحوث الإسلامية، ١٣٩٤ هـ ١٩٧٤ م المطابع الأميرية القاهرة.

٣٥- الدعوة الإسلامية ووسائلها في عصر النبوة، تأليف د/ أحمد أحمد غلوش، ط (١) ١٩٧١ م دار الجيل للطباعة الفجالة.

٣٦- الدعوة إلى الله خصائصها مقوماتها ومناهجها، تأليف د/ أبو المجد السيد نوفل ط (١) ١٩٧٦ م مطبعة الحضارة العربية الفجالة.

(ذ)

٣٧- ذكر محنة الإمام أحمد بن حنبل، جمع أبي عبد الله حنبل بن إسحاق بن حنبل، ت ٢٧٣ هـ تحقيق د/ محمد نفش، ط (١) ١٣٩٧ هـ ١٩٧٧ دار الثقافة.

(ر)

٣٨- الرد على الزنادقة والجهمية، تأليف الإمام أحمد بن حنبل ١٦٤ – ٢٤١ هـ المطبعة السلفية ومكتبتها ١٣٩٣ هـ

٣٩- رسالة الصلاة، تأليف الإمام أحمد بن حنبل ١٦٤ – ٢٤١ هـ ط (٣) ١٣٩٦ هـ نشر قصي الدين الخطيب.

٤٠- الرسالة، تأليف محمد بن إدريس الشافعي، ١٥٠ – ٢٠٤ هـ مذكور في الجزء الأول من كتاب الأم من ص ١ – ٨٢ طبعة مصورة عن طبعة بولاق ١٣٢١ هـ الدار المصرية للتأليف والنشر والترجمة.

(ز)

٤١- الزهد، تأليف الإمام أحمد بن حنبل، تصحيح عبد الرجحمن بن قاسم، مطبعة أم القرى بدون تاريخ.

(س)

٤٢- السنة، تأليف الإمام أحمد بن حنبل، ضمن مجموعة شذرات اليلانين ج١/ من ص ٤١: ص٥٢ أو مطبوع منفرد بدون تاريخ.

٤٣- السنة الإسلامية بين إثبات الفاهمين ورفض الجاهلين، تأليف د/ رءوف شلبي ط (١) ١٣٩٨ هـ ١٩٧٨ م مطبعة سمر.

٤٤- سنة الرسول صلى الله عليه وسلم، تاليف محمد الحافظ التيجاني، سلسلة البحوث الإسلامية ط (٧) سنة ١٣٨٩ هـ ١٩٦٩ م

(ش)

٤٥- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تأليف أبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي ت ١٠٨٩ هـ المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان بدون تاريخ.

(ص)

٤٦- صحيح مسلم، شرح الإمام يحيى بن شرف بن مري حسن بن حسين بن حزام النووي الشافعي، تحقيق عبد الله بن زينة ١٣٩٣ هـ ١٩٧٣ م دار الشعب.

(ض)

٤٧- ضحى الإسلام، تأليف أحمد أمين ط (٨) مكتبة النهضة المصرية بدون تاريخ.

(ط)

٤٨- طبقات الحنابلة، تأليف القاضي أبي الحسين محمد بن أبي يعلى، ومحمد بن محمد ابن خلف بن أحمد الفراء الحنبلي، ٤٥١ – ٥٢٦ هـ تعليق وتحقيق محمد حامد الفقي، بدون تاريخ أنصار السنة المحمدية.

٤٩- طبقات المفسرين، تأليف الحافظ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداودي ت ٩٤٥ هـ تحقيق علي عمر عُمر، ط (١) ١٣٩٢ هـ ١٩٧٢ مطبعة الاستقلال الكبرى الناشر مكتبة وهبة.

(ع)

٥٠- العصر العباسي الأول، تأليف د/ شوقي ضيف، ط (٦) دار المعارف بمصر، ١٩٧٦ م

٥١-عقائد السلف (أحمد بن حنبل، البخاري، ابن قتيبة، عثمان الدرامي) تعليق وتحقيق علي سامي النشار، عمار جمعة الطالبي، ١٩٧١ م طبع شركة الإسكندرية للطباعة والنشر نشر منشأة المعارف الإسكندرية.

(غ)

٥٢- غاية النهاية في طبقات القراء، تأليف شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد الجزري، ت ٨٣٣ هـ طبع لأول مرة بنفقة الناشر ومكتبة الخانجي بمصر ١٣٥١ هـ ١٩٣٢ م عني بنشره ح – برجستر اسر.

(ف)

٥٣- الفتح المبين في طبقات الأصوليين، تأليف الشيخ عبد الله مصطفى المراغي، ط (٢) ١٣٩٤ – ١٩٧٤ م الناشر محمد أمين دمج وشركاه بيروت لبنان.

٥٤- الفقيه والمتفقه، تأليف الحافظ والمؤرخ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي ٣٩٢ – ٤٦٣ هـ الناشر زكريا على يوسف مطبعة الامتياز بدون تاريخ.

٥٥- الفهرست، تأليف أبي الفرج محمد بن إسحاق النديم، ٢٩٧ – ٣٨٥ هـ المطبعة الرحمانية بمصر نشر المكتبة التجارية الكبرى بدون تاريخ.

(ق)

٥٦- القاموس المحيط، تأليف مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ط (٢) ١٣٧١ هـ ١٩٥٢ م مصطفى البابي الحلبي.

٥٧- قواعد المنهج السلفي والنسق الإسلامي في مسائل الألوهية والعالم والإنسان، تأليف د/ مصطفى حلمي، ط (١) ١٣٩٦ هـ ١٩٧٦ م مطبعة دار نشر الثقافة توزيع دار الأنصار.

(ك)

٥٨- الكفاية في علم الرواية، تصنيف الإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادي، ت ٤٦٣ هـ تقديم المحدث محمد الحافظ التيجاني مراجعة عبد الحليم عبد الرحمن حسن محمود، ط (١) دار الكتب الحديثة عابدين القاهرة بدون تاريخ.

(ل)

٥٩- لسان العرب، تأليف ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري، ٦٣٠ – ٧١١ هـ ط (١) مصورة عن طبعة بولاق. المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر الدار المصرية للتأليف والترجمة.

(م)

٦٠- المجددون في الإسلام من القرن الأول إلى القرن الرابع عشر (١٠٠: ١٣٧٠ هـ) تاليف عبد المتعال الصعيدي، ط (٢) ١٣٨٢ هـ ١٩٦٢ م نشر متبة الآداب ومطبعتها.

٦١- محاضرات في علوقم الحديث، تأليف د/ مصطفى أمين إبراهيم التازي، ط (٢) ١٣٩١ هـ ١٩٧١ م مطبعة دار التأليف.

٦٢- مختار الصحاح، تأليف الإمام محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي، ترتيب محمود خاطر بك ، ط (٣) ١٩١٦ م المطبعة الأميرية ببولاق.

٦٣- المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل، تأليف عبد القادر بن أحمد بن مصطفى المعروف بابن بدران ت ١٣٤٦ هـ إدارة المطبعة المنيرية بدون تاريخ.

٦٤- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، تأليف الإمام أبي عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي اليمني المكي ت ٧٦٨ هـ ط (٢) ١٣٩٠ هـ ١٩٧٠ م منشورات مؤسسة الأعلى للمطبوعات بيروت لبنان.

٦٥- المسند، للإمام أحمد بن حنبل الشيباني، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، د/ محمد أحمد عاشور، ١٣٩٤ هـ ١٩٧٤ م دار الاعتصام.

٦٦- مسند الإمام أحمد بن حنبل، المكتب الإسلامي دار صادر بيروت بدون تاريخ.

٦٧- معجم ألفاظ القرآن الكريم، إعداد مجمع اللغة العربية، الهيئة المصرية العامة للكتاب بدون تاريخ.

٦٨- معجم مفردات ألفاظ القرآن (مفردات غريب القرآن) لأبي القاسم الحسين بن محمد بن المفضل المشهور بالراغب الأصفهاني، تحقيق نديم مرعشلي، دار الفكر بيروت لبنان بدون تاريخ.

٦٩- معجم مقاييس اللغة تاليف أبي الحسين بن فارس بن زكريا، ت ٣٩٥ هـ تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، ط (١) ١٣٧١ هـ عيسى البابي الحلبي وشركاه.

٧٠- مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة، تأليف الحافظ جلال الدين السيوطي، ت ٩١١ ط (٢) ١٣٩٧ هـ المطبعة السلفية القاهرة.

٧١- مناقب الإمام أحمد بن حنبل، تأليف أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، ط (١) ١٣٩٣ هـ ١٩٧٣ م دار الآفاق الجديدة بيروت.

٧٢- المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد، تأليف أبي اليمن مجد الدين عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العليمي ت ٨٦٠ – ٩٢٨ هـ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط (١) ١٣٨٣ هـ ١٩٦٣ م مطبعة المدني المؤسسة السعودية بمصر

٧٣- الموافقات في أصول الشريعة، تأليف أبي إسحاق وهو إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي ت ٧٩٠ هـ تحقيق عبد الله دراز، المكتبة التجارية مصر، بدون تاريخ.

٧٤- موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، تأليف د/ أحمد شلبي ط (٥) ١٩٧٤ مكتبة النهضة المصرية.

٧٥- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تأليف أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ت ٧٤٨ هـ تحقيق علي محمد البجاري ، ط (١) ١٣٨٢ هـ ١٩٦٣ م دار المعرفة بيروت لبنان.

(ن)

٧٦- النبوات ، تأليف شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية ٦٦١ . ٧٢٥ هـ المطبعة السلفية ومكتبتها ١٣٨٦ هـ القاهرة.

٧٧- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تأليف جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي، ٨١٣ . ٨٧٤ هـ نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب وزارة الثقافة والإرشاد القومي المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.

٧٨- نفحات صدر المكمد وقرة عين المسعد لشرح ثلاثيات مسند الإمام أحمد، تأليف العلامة محمد السفاريني الحنبلي، ولد ١١١٤ هـ (١) ١٣٨٠ هـ المكتب الإسلامي للطباعة والنشر بدمشق.

(هـ)

٧٨- هداية المرشدين إلى طريق الوعظ والخطابة . تأليف الشيخ علي محفوظ، ط (٢) مطبعة السعادة بدون تاريخ.

٨٠- الهلال، عدد عن القرآن ديسمبر ١٩٧٠ م

(و)

٨١- الورع، تأليف الإمام أحمد بن محمد بن حنبل،/ ط (١) ١٣٤٠ هـ مطبعة سقارة نشر الكردي.

****

******

**

*

المحتويات

المقدمة (أهمية البحث وأسباب اختياره – منهج البحث وأقسام الرسالة)

تمهيـــــد

الباب الأول: المؤثرات الرئيسية لتكوين أحمد بن حنبل ومنهجه.

الفصل الأول عصر الإمام أحمد بن حنبل وأثره في تكوينه وتكوين منهجه

مدخـــــل

المبحث الأول: الحالة السياسية وأثرها.

المبحث الثاني: الحالة الاجتماعية وأثرها.

المبحث الثالث: الحالة الثقافية وأثرها.

ما يستنتج مما سبق:

الفصل الثاني: البيئة الأسرية الخاصة التي نشأ فيها الإمام أحمد بن حنبل وأثرها في تكوينه وتكوين منهجه.

المبحث الأول: مولده ومكان ولادته – كنيته

المبحث الثاني: نسب الإمام وأسرته. ١) نسب الإمام ٢) أسرته (أبوه – أمه).

المبحث الثالث: نشأته ورعاية أمه وأثر ذلك عليه.

أثر هذا التوجيه على أحمد وأثر اليتم عليه.

الصفات التي اكتسبها أحمد من دراسته: (الأمانة – حفظ السر – النجابة – شهرته – حسن أدبه– الورع – قيام الليل – الصبر والجد).

عوامل نبوغه:

ما يستنتج مما سبق:

المبحث الرابع: حياته الخاصة .

موارد الإمام: اللقاط – العمل: (نسخ الكتب – الحمل في ظهره – الاستقراض في حالة الضرورة).

الفصل الثالث: البيئة العلمية الخاصة التي نشأ فيها أحمد بن حنبل وأثرها في تكوينه وتكوين منهجه.

المبحث الأول: اجتهاده في طلب العلم والحديث.

المطلب الأول: اجتهاده في طلب العلم والحديث في إقليم العراق.

١- بغداد.

اتجاه الإمام في طلب الحديث:

١- في بغداد.

مجمل ما سبق كله.

٢- الكوفة.

مجمل ما سبق.

٣- البصرة .

مجمل ما سبق.

٤- واسط

نجاح التلميذ في الاختبار

المطلب الثاني: اجتهاده في طلب العلم والحديث في إقليم جزيرة العرب

١- الحجاز – مكة – المدينة.

٢- صنعاء.

٣- اليمن.

المطلب الثالث: اجتهاده في طلب العلم والحديث في أقاليم أخرى.

١- طرطوس.

٢- الرقة.

٣- الري

المبحث الثاني: تواضعه مع شيوخه والمتاعب التي لقيها في رحلته لطلب العلم.

١- تواضعه وتأدبه مع شيوخه.

٢- ثناء شيوخه عليه وحبهم له.

٣- المتاعب والمشاق التي لقيها في طلب العلم.

الهدف والثمرة من وراء ترحاله وتأثره بشيوخه ونوعية علمه.

المبحث الثالث: وفاة الإمام.

١- مرضه وإتيان الناس لزيارته.

٢- وصيته وما يستنتج منها.

٣- وفاته .

٤- غسله وتكفينه.

٥- الصلاة هعليه. وخروج الناس لتشييع جنازته ودفنه.

٦- أثر وفاته.

الباب الثاني: أصول منهج الإمام في الدعوة الإسلامية.

مدخل:

١- التعريف بكلمة منهج

عند اللغويين:

عند علماء الدعوة:

العلاقة بين المعنيين:

٢- منهج الإمام أحمد .

٣- أصول منهج الإمام أحمد بن حنبل إجمالاً.

الفصل الأول: القرآن الكريم.

الفصل الثاني السنة النبوية الشريفة.

مدخل:

المبحث الأول: تعريف السنة

في اللغة

في الاصطلاح.

١- في صدر الإسلام ولسان الشرع.

٢- عند علماء الفقه الإسلامي.

٣- عند علماء الأصول.

٤- عند علماء الحديث.

ما يستنتج مما سبق:

المبحث الثاني: حجية السنة.

١- الأدلة على حجيتها.

- من القرآن الكريم.
- من السنة.
- من جهة المعقول.

٢- الشبه الواردة على عدم الاحتجاج بالسنة والرد عليها.

المبحث الثالث: منزلة السنة من القرآن الكريم عند الإمام أحمد.

المبحث الرابع: مراتب الاستدلال بالسنة عند الإمام أحمد.

١- أقوال النبي صلى الله عليه وسلم.

٢- أقوال الصحابي.

حجية أقوال الصحابة عند الإمام أحمد.

درجة أخذه من فتاوى الصحابة.

٣- الحديث المرسل والضعيف (الحسن لغيره).

٤- قول التابعي.

تعريفه رأي الإمام أحمد في الاحتجاج بأقواله.

الفصل الثالث: الإجماع والقياس.

المبحث الأول: الإجماع.

تعريف الإجماع.

في اللغة.

في الاصطلاح.

رأي الإمام في الأخذ بالإجماع.

المبحث الثاني: القياس.

تعريفه.

لغة .

اصطلاحاً.

رأي الإمام أحمد في الأخذ بالقياس.

ما يستنتج من الباب كله.

١- مصادر منهج الإمام أحمد.

٢- خطوات منهج الإمام.

٣- نموذج تطبيقي لخطوات منهج الإمام (خلق الإنسان).

الباب الثالث: الوسائل التي نشر بها الإمام أحمد منهجه

مدخل:

تعريف الوسيلة.

في اللغة.

في اصطلاح أهل فن الدعوة.

الفرق بين الوسيلة والأسلوب.

الفصل الأول: وسائل التبليغ بالقول.

المبحث الأول: المقابلة.

أ) أنواعها. ومكانها

المسجد – المنزل.

ب) ملحوظات على درس الإمام أثناء المقابلة.

- جلسة الإمام ذاتها.
- العناية بمظهره.
- يسود مجلسه الوقار.
- كان قليل الكلام.
- لا يتكلم إلا بما فقي الكتاب والسنة.
- غرضه الأجر والمثوبة.

ج) منهج الإمام في التحديث أثناء المقابلة.

١- أن يكون التحديث من كتاب.

٢- أن يكون التحديث على حسب متطلبات الواقعة.

٣- لابد من إسناد العلم إلى أهله.

٤- لابد أن يكون الخط واضحاً.

المبحث الثاني: الوعظ والإرشاد.

تعريف الوعظ لغة – اصطلاحاً.

مجالات وعظ الإمام

١- الإخلاص وترك الرياء .

٢- الزهد والرقائق.

٣- فنون أخرى.

منهج الإمام في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

أولاً : الالتزام لمنهج الكتاب والسنة.

ثانياً شروط من يتولى هذه المهمة.

فقهياً – عالماً – زاهداً – ورعاً – عفيفاً – بصيراً بما يأتي.

ثالثاً: الاعتبارات التي يضعها أمامه فيمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

المبحث الثالث: المناقشة والمناظرة.

تعريف المناقشة والمناظرة.

نموذج للمناظرة.

نموذج للمناقشة.

الفصل الثاني: وسائل التبليغ بالتدوين.

المدخل:

١- الإمام أحمد وتدوين الكتب.

٢- مناقشة قضية كراهية الإمام للكتب والرأي الصحيح فيها.

المبحث الأول: كتب الإمام أحمد.

المبحث الثاني: تقسيم كتب الإمام.

١- تقسيمها على حسب موضوعاتها.

٢- تقسيمها على حسب وجودها من عدمه.

أ) كتب لم نقف عليها إلى الآن.

ب) كتب موجودة ووقفنا هعليها.

أ) كتب غير موجودة.

١- كتاب طاعة الرسول.

٢- كتاب التنفسير.

٣- كتاب المناسك الكبير.

٤- كتاب المناسك الصغير.

٥- الناسخ والمنسوخ.

٦- الفضائل.

٧- الفرائض.

٨- التاريخ.

٩- حديث شعبة.

١٠- المقدم والمؤخر في القرآن.

١١- جوابات القرآن.

١٢- الفوائد .

١٣- الإيمان

ب) كتب موجودة ومتداولة.

١-كتاب العلل.

٢-مسند الإمام.

- الأسباب الت يجعلت الإمام يجمع المسند.

- المنهج الذبي سار عليه الإمام في ترتيب المسند.

- شروح المسند ومختصراته.

- ترتيب المسند.

أ) في القديم

ب) في العصر الحديث.

٣-كتاب الرد على الزنادقة والجهمية.

* تحقيق نسبة الكتاب إلى الإمام أحمد.

سبب القدح في نسبة الكتاب .

٤-كتاب الصلاة.

٥-كتاب الأشربة.

٦-كتاب المسائل .

٧-كتاب الزهد .

٨-كتاب السنة.

أهم هذه الكتب.

١- كتاب طاعة الرسول.

٢- كتاب الرد على الزنادقة والجهمية.

٣- كتاب السنة.

٤- كتاب الزهد.

٥- المسند. وكتاب التفسير

المبحث الثالث: الرسائل:

١- الرسائل التي يرسلها الإمام .

نموذج تطبيقي منها.

٢- الرسائل التي تفد على الإمام

نموذجين تطبيقين لها.

ما يستنتج من الرسائل.

نموذج تخطيطي لرسائل الإمام:

المقدمة – الموضوع – الخاتمة.

الفصل الثالث: وسائل التبليغ بالأسوة.

مدخل:

المبحث الأول: صفات الإمام.

أ) الصفات الخَلْقِية.

١- حسن الوجه.

٢- العناية بمظهره الخارجي.

ب) صفاته الخُلُقية.

١- الخوف من الله.

٢- الشجاعة والثبات على الحق وجراءته فيه.

٣- التواضع.

٤- مشاركته لمجتمعه.

٥- ورعه وزهده وتعففه عما في أيدي الناس.

٦- عفوه وحلمه.

المبحث الثاني: سلوك الإمام التطبيقي.

الباب الرابع: مميزات منهج الإمام أحمد بن حنبل.

الفصل الأول: التمسك بالأصول الإسلامية الصحيحة.

مدخل:

١- تقديم الاستدلال بالنص على الاستدلال بالعقل.

٢- الاستدلال بالنصوص الشرعية.

٣- رفض التأويل العقلي.

الفصل الثاني: الإحاطة والأخذ بالحيطة والحذر.

المبحث الأول: الإحاطة.

١- الشمول والعموم.

٢- التوازن.

المبحث الثاني: الأخذ بالحيطة والحذر.

١- عدم الأخذ بالحيلة.

٢- عدم الأخذ بالرخصة.

٣- عدم الأخذ بالتقية.

الفصل الثالث: مشابهة الواقع المخالف للدين.

١- عدم خضوع الدعوة الإسلامية بغير الله.

٢- محاربته البدع المخالفة للدين.

تعريف البدعة لغة: تعريف البدعة اصطلاحاً:

- الغناء.
- الطنبور – الطبل – المزمار – الدفوف.
- الهجاء – القراءة بالألحان.
- اللعب بالشطرنج.
- القبور والقراءة عليها.
- ذهاب المرأة إلى الحالق
- ذهاب المرأة إلى طبيب يعالجها.
- الخاتمة.
- نتائج البحث.
- المراجع.
- الفهرست.

انتهت ولله الحمد